

الكاتب و المهرّج و الملاك الذي... هناك

سعيد نوح

رواية

الكاتب والمهرج والملاك
الذى.. هناك

رواية

سعيد نوح

وزارة الثقافة



وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة
تجليات أدبية

- الكاتب والهرج والملاك الذي.. هناك
- سعيد نوح
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2013م
13,5 × 19,5 سم
- تصميم الغلاف: أحمد شوقي
- المراجعة اللغوية: محمد منصور
- رقم الإيداع: ٢٠١٢/٨٠١٢
- الترقيم الدولي: 978-977-718-322-2
- المراسلات:
باسم / إدارة النشر
على العنوان التالي: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)
- الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الكاتب والمهرج والملاك

الذى.. هناك

إلى..

شهداء ثورة 25 يناير

سأبدأ من حيث لم يأت السابقون.

وهو لماذا اخترت ذلك الاسم للرواية التي بين..

أين أضعها الآن؟

الآن سأبدأ بالكاتب. سعد الله الطالع علي عبود.

هل تعرفونه؟

لأكن أكثر رحمة بكم.

هل فهمتم شيئًا؟

"يجب على الملاك أن يتدخل، فتلك السخرية التي يملكها الكتّاب عادة، تكون عادة أيضًا".

هكذا قال المهرج.

أنا الملاك الذي هناك أقول لكم: إن سعد الله الطالع علي عبود هو اسم الكاتب الذي كان يجلس مع اثنين من أصدقائه الحميمين حين رن تليفونه المحمول، فرفعه بيده وقربه من أذنه قائلا:

ـ أيوه مين؟

بتلك الجملة تحرك سعد الطالع إلى زاوية الحجرة التي يجلسون فيها بمكتب صديقه المحامي الشهير بميدان القلعة. غاب عنهم مقدار خمس

دقائق، ثم عاد ليكمل إنصاته إلى بقية الحديث الدائر بين الدكتور عبد الحميد عبد العليم الشهير بعبد الورد، والأستاذ محمود الضبع، ويستمع بشغف إليه الزبون محمد فرج الشهير بشمش.

لن أكون حملا ثقيلا حتى أستطيع تجسيد شخصية المهرج..

ولكنني أنبه فقط إلى حس الدعابة التي تصيب بعض كتاب الرواية رغم وجودها بشكل أعمق وأشد تأثيرًا منذ أول السابقين، وهو سرفانتس الذي وعد كاتبا أن يأتي بعالم يأت به هؤلاء. ولا تواخذوني في التعبير، جزمتهم أحسن من..

ـ اخرس ولا تتفوه بكلمة واحدة زيادة.

أنا الملاك الذي هناك أقول لك: اخرس.

قالها الملاك للمهرج الذي راح يرتعش من تلك القوة الغاشمة التي امتلكها الملاك على حين غرة، ثم تحرك قليلا، ووقف أمام الكاتب وهو يضيف:

ـ المهرجون حين يشيخ بهم الزمن، ويجلسون جوار الملوك لأكثر من ربع قرن، تنتابهم حالة ممارسة السلطة الغاشمة، فلتغفر زلته أيها الكاتب.

كانوا ما يزالون يتحدثون عن الوضع الداخلي والخارجي الذي يمر به البلد. اتفق الأصدقاء الثلاثة على اللقاء غدًا طوال اليوم حسب ما قاله الأستاذ محمود الضبع المحامي بالاستئناف العالي ومحاكم أمن دولة طوارئ:

ـ بكرة، الحمد لله، ضايع من أوله في حب مصر.

وقف محمد فرج الشهير بشمش وهو يقول:

ـ القعدة معاك يا محمود باشا أنت والبهوات.

وأشار على سعد الله والدكتور عبد الحميد بيديه وهو يضيف:

ـ في حد ذاتها مفخرة، وفيها فخر. يا راجل كفاية علينا إن احنا عرفنا حال البلد المخروب ده من حضرتك.

ـ بالطريقة دي يا عم مشمش انت هتحبني بعون الله.

رد محمود وهو يطرقع بيده على كف مشمش الذي أحسّ بقوة الضربة وتلخبط قبل أن يقول وهو يتلعثم:

ـ يا خبر هو أنا أقدر ياسعادة الباشا!

قال سعد وهو يقف ويغلق المحمول بعد أن لمح الرقم ثم وضعه في يده الأخرى ومد يده اليمنى لمحمود كي يسلم عليه:

ـ بقول لك إيه يا أبو حنفي، زي ما انت شفت كده، محتاجني قوي في الجورنال. بكرة بقى الليل وآخره.

ـ طيب يا حبيبي، أشوفك بكرة.

وقف الدكتور عبد الحميد هو الآخر وقال:

ـ خدني معاك بالمرة يا سعد علشان عندي مواعيد في العيادة.

ـ انت كمان يا دكتور النسوان هتمشي؟

سأل محمود.

مد سعد يده وسلم على مشمش وهو يقول له:

ـ وانت يا عم مشمش، عاوزين تشوفلك كير من هنا ورايح.

ثم وضع يده على كتفه وأضاف:

ـ وكمان أنا عاوز أحيك على حتة الحشيش ديه. من زمان مشربتش زيها.

ـ يا بيه دي حاجة بسيطة قوي، وآدي الكارت بتاعي أهو، فيه نمرة الموبايل. وأيتها خدمة في العربية، إحنا خدامين يا باشا.

قالها وهو يهز رأسه بفخر قبل أن يركز عيونه في عيون سعد ويضيف:

ـ رغم الدور اللي عملته عليَّ. وبجد كنت خايل فيه أوي.

أحس سعد بالإحراج من الثناء عليه المقترن بالعتاب الظاهر من نظرة مشمش، فقال:

ـ العفو يا راجل.

ثم مد يده ووضعها على كتف مشمش بود، وأضاف بصوت المعتذر:

ـ واوعى تكون زعلت من الحركة اللي عملتها معاك؛ إحنا إخوات، مش كده؟

ـ طبعا يا سعادة االباشا؛ أنا تشرفت بيك، علشان كده بقول لحضرتك أيتها خدمة في العربية بتاعة حضرتك.

ثم رفع يديه وخبطها بقسوة فوق عنقه وهو يضيف:

ـ وبرقبتي يا باشا.

ثم أنزل يديه، وأمسك بيد سعد الطالع في ود وثقة منه أنه عرف اليوم

باشا كبيرًا سيضع كارته الذي أخذه منه منذ ساعتين على رأس الكروت الكثيرة التي يحتفظ بها.

ـ العربيات بس؟

قالها سعد وهو يمر بيده على شاربه وينظر إليه نظرة فاحصة مما جعل تفكير مشمش ينتقل إلى شيء "وحش" حسب تعبيره:

ـ لا. لمؤاخذة يا باشا، احنا ملناش في المشي الوحش ده.

حتى لا يطيل الكلام والحوار ويبحث هؤلاء المتخصصون في علم السرد افهمه سعد أنه أخطأ التفكير وأن كل ما يسأل عنه فقط هو الحشيش.

ـ لا في الحالة دي. زي محمود باشا ما قال طول النهار في حب المخروبة دي.

ثم أشار إلى الشباك حسب ما رأى محمود يشير.

ـ أهوه ده يا عم مشمش اللي بيسأل عليه؟ مش مخك بوديك لحاجة تانية.

ثم أفرج عن ابتسامة وهو يتحرك خطوتين حتى وقف وراء محمود الذي كان يجلس على مكتبه مضجعا ووضع يده على رأسه بحب وهدوء، وبسرعة نزل بها على ذقنه وهو ينظر إلى مشمش ويضيف:

ـ إنت شايف الأخ محمود طالع له دقن أهوه. يعني ميفعشي مخك يروح لحاجة وحشة، واحنا مش عايزين أكتر من الحشيش يا عم مشمش.

ضحك محمود وهو يسحب وجهه من بين يد سعد الله ووقف وهو يمسك يد سعد ويقول برود:

ـ ماشي يا عم سعد.

ثم مر بيديه على ذقنه حتى يسويها وأضاف:

ـ وأما بنعمة ربك فحدث. والحمد لله على نعمة الإسلام.

ـ ونعم بالله يا باشا. زي ما حضرته بيقول، أحسن حاجة إداهلنا ربنا نعمة الإسلام يعني لا مؤاخذة.

قال مشمش، ليشترك في الحوار، مما جعل الاثنين يضحكان وهما يحضنان بعضهما البعض وبصوت هامس في أذن محمود صرح سعد الله الطالع:

ـ ده مزبش. مش علشان الحشيش بس يا أبو حنفي. كفاية عليه إنه أعلن إسلامه قدامك أهوه. أظن دي فرصة متتبش من واحد ماسك توكيل ربنا زيك.

ـ طيب يا مجرم. والله انت خسارة في شطحاتك.

خرج الثلاثة من الحجرة الداخلية في المكتب التي يتخذها مجموعة الأصدقاء الذين تحابوا في الله والوطن والحشيش مقرا للقائهم. قال الدكتور عبد الحميد:

ـ عندي حالة طارئة في العيادة، هاتيجي ولا أمشي أنا يا عم سعد؟

لم يرد سعد الذي واصل إغلاق الخط في وجه من يتصل للمرة الخامسة ونظر إلى محمود قائلا:

ـ يا محمود، مشمش أمانة في رقبتك هيسألك عنها الله فيما لو أضعتها.

وهو يشير بيديه ليؤكد على كلامه حتى كاد يفقأ عين صديقه الذي

رجع برأسه إلى الخلف وأخذ بجسد سعد المسطول تماما في حضنه وضحكا بصوت مسموع.

ـ بس الحلا عندك حق يا واد يا سعد. حشيشة مشربتهاش من زمان.

عند ذلك تحرك عبد الحميد ونزل على السلم بعد أن تأكد له سطل أصحابه، ودخل الصديقان الذي يبدو عليهما السطل وسعد يقول لمحمود وهو يكاد يموت من الضحك:

ـ مشمش أمانة في صحتك وعافيتك يا محمود.

ـ بس ده يحبس يا سعد.

نظر سعد إلى أبو حنفي وقال وهو يشير بيديه في الهواء:

ـ يحبس مين يا راجل؟

رد محمود مفزوعًا:

ـ يحبسني بسهولة ويوديني في ستين داهية.

ـ في ستين داهية يا راجل. هو إحنا مستفيدين منك بحاجة غير واحد زي مشمش ده؟ تقوم تضيعه وتتمحلك، قال إيه هيوديك في داهية!

قالها سعد بسرعة وكأنه يتحدث عن شيء لا يمت بصلة له، ثم رفع يديه في الهواء وأشاح بها وقال وكأنه يتخلص من دفقة هواء محملة بالحشيش وهو يقلد الحكماء:

ـ بقى بذمتك اللي انت عايش فيه دلوقتي عاجبك؟

ـ اسكت متفكرنيش والنبي يا سعد وخليني مسطول أحسن.

ـ يبقى توكل على الله وروح.

ـ فين؟

سأل محمود بصدق وجدية.

ـ في ستين داهية.

قالها سعد بجدية تامة وهو يشير بيديه مما جعل محمود يفتح فمه، ويعود إلى وعيه وكاد يرتمي على الأرض من الضحك، وهو ينظر إلى صاحبه منذ طفولته الذي يبيعه من أجل المدعو مشمش الذي لم يتعرفا عليه معًا إلا منذ ساعتين أو أكثر بقليل، ولم يجد خير تعليق من أنه أمسك نفسه ونظر بحكمة وهو المؤمن الذي لا يلدغ من الجحر مرتين، وهز رأسه ثم قال:

ـ متوفي. هقولك إيه أكتر من كونك متوفي؟

ثم هز رأسه بجدية تامة وهو يتذوق الكلمة في فمه قبل أن يؤكد لنفسه، ويضيف:

ـ متوفي أصيل.

كاد المهرج يبكي وهو يسمع تلك الجملة من فم الكاتب حتى لا يظن به الملك الظنون، لكن الملاك الذي كان هناك تحسر قليلا على بعض الطيبين الذي شاء حظهم العاثر الوقوع بين مهرج يكاد يبكي وكاتب يرجع بظهره إلى الخلف ليتأكد من وجود مسند على كرسي الفوتيه في حجرة المكتب الذي دخلوه بعد أن أغلق سعد المحمول للمرة السادسة ووجد نفسه في حضن صديقه بعد أن كاد يغادره ويذهب إلى عمله وهو ينظر إلى محمود

ويسأله بجدية تامة:

ـ تفتكر كل المنايفة بالشكل ده فعلا يا محمود؟

وهو يشعل سيجارة ويشعل لسعد سيجارته التى أعطاها له، وبتفكير يزيد عن المطلوب، وتأكد من أنه ربما. ربما يقول الحقيقة.

نظر إليهم الملاك فى تأمل قائلا:

ـ الحقيقة ليست شيئا مطلقًا.

التاريخ الإسلامي يقول ذلك. مواقف كثيرة قرأها لم يعرف أبدا أين توجد حقيبة الحقيقة؟

دائمًا هناك أجزاء من تلك الحقيبة ناقصة، فى الحقيقة إن المرء زمانه فى الدنيا لحظة، وانسيابه فى وجوده، وإدراكه فى ضباب، ومصيره غير معروف، فالحياة صراع ومقام غربة، والمجد الوحيد الباقى له هو الخمول.

وهذا ما يتمتع به الصديقان الآن. فكيف استطاع هذا السعد أن يحمل حقيبة الحقيقة الفارغة ويلقيها بتلك الطريقة؟

قال سعد بيقين امتلاك الحقيقة:

ـ دى جينات وراثية من أبد التاريخ يا سعد يا أخويا.

نظر الملاك الذى هناك للمهرج قائلا:

ـ لماذا أعترض على تواجدك؟ لا يحق لى ذلك، لكنى أنبهك فقط أن المهرجين لا يكون كثيرًا، وخصوصا على شيء مثل الذى عبث على الكاتب فيه. فحين قال محمود جملته نفى عن مليكك الذى تدين له بالولاء تهمة ربما

أنقصت منه كثيرًا في عيون خدامه. أنا آسف يا صديقي، لكني أعرف أنك جد رحيم بي، وقلبك يسع ليس بالكاد ملاكًا يحبك، وكاتبًا تركناه يهز رأسه ويأخذ نفسًا من السيجارة بعمق ويفكر.

أخرج سعد نفس الدخان الذي أخذه بعمق، وطيّره في الهواء وراح يتبعه في متعة قبل أن يهزه محمود قائلا:

ـ إيه يا متولي، رحت فين؟

ـ معاك.

بتلك الجملة المختصرة واجه عيون محمود المتربصة به، ورفع يده مرة ثانية ونظر إلى السيجارة المشتعلة بين أنامله وهزّها وهو يضيف:

ـ يظهر فعلا يا أبو حنفي دي جينات وراثية.

ثم اعتدل في جلسته ورسم الجدية على وجهه وهو يتساءل:

ـ على كده بقى ولادنا هيشربوا من المدعوك (قاهر الرجال)، على رأي أخوك مشمش اللي زمانه حمص لوحده دلوقتي جوه، لغاية رابع حفيد على الأقل؟

ثم هز رأسه، وراح يحسبها بروية وهو يفرد أصابعه في الهواء حتى يراها محمود، وأضاف:

ـ مش جمال ابن المدعوك حسني عنده 39 سنة. وقول هيموت على التسعين. يعني نص قرن بالميت، يعني هنقضل في حكم المنايفة إحنا وولادنا، ويمكن كمان ولاد ولادنا؟

ثم وضع عيونه في الأرض وحرك قدميه على السجادة التي ينام في منتصفها طاووس معتز بنفسه أيما اعتزاز، وأضاف وكأنه يحدث نفسه:

ـ لا يا عم؛ يفتح الله. قال والمدعوقة مراتي، الهانم أختك، عاوزة عيال تاني؛ يفتح الله. أنا مش هجيب عيال يركبهم المخفي جمال ابن البقرة الضاحكة، باينه هيركب على قلوبنا خلاص.

ضحك محمود وقال:

ـ ربنا هيغفر للمنايفة من غير حساب. رفع القلم عن ثلاث..

ـ أنا أحتج.

ـ هكذا وجّه المهرج حديثه للملاك قائلا:

ـ بالذمة ده مش كلام يزعّل يا سيدنا الملاك. مش ده كفر ونعوذ بالله!

إيه عرّف المدعو محمود الضبع بان ربنا هيغفر للمنايفة زي ما كان عاوز يقول لو سبته يكمل النكتة بتاع رفع القلم عن الطفل والنائم والمجنون والمتوفي، ولعلمك، ممكن ديوان أمن الوطن يحاكم أي حد يغلط في سيدنا وتاج راسنا رغم كيد الظالمين. وبعدين، قالها المهرج وهو يشير بنفس طريقة محمود الضبع، ولكن بحدة أكثر وأنامل أطول وبها رعشة جاءت من طول العمر والحكمة المكتسبة من تواجده في ديوان الحكم، وأضاف:

ـ إن بطش ربك لشديد. نبّهه إن عمره بالطريقة دي بيزقزق. وهو بقى وقدره. أنا عملت اللي عليّ وقولتلك وانت بقى قول الكلام ده للكاتب.

كاتبنا الذي كان يجلس مع صديقه، وكالقدر الغاشم دخل عليهم

مشمش وهو يضحك ويكاد يقع من طوله. لدقائق قليلة ظل لا يملك نفسه قبل أن يعطي لسعد السيجارة الملفوفة، وباعتذار عما فعله مع وضع كل الأصابع والمساحيق التي تكفي لإظهاره في الكادر بصورة تليق به من وجهة نظره هو لا أحد غيره قال:

ـ دي تحية بسيطة مني أنا العبد الفقير اللي لا مؤاخذة كنت بتشرف بالقعدة مع الناس الكبار اللي زي حضراتكم.

وخبط على صدره خبطات جعلت سعد ينتبه إلى إشارة محمود الذي يريد أن ينبهه إلى سيجارة الحشيش التي يمكن أن تمكنهم من تحمل هذا المشمش الذي تعرفوا عليه منذ ساعتين ونيف بعد أن حكى قصته التي يريد رفعها على زوجته التي ترفض تطليقه، ولا تسمح له بالزواج بأخرى، رغم أنها استأصلت ورمًا في الرحم، ففقدت على إثره جهازها التناسلي. كان مشمش يشير بالمستند الذي يثبت عدم أهليتها كزوجة في الهواء قبل أن يضيف:

ـ وأنا دفنته حسب الطريقة الإسلامية لا مؤاخذة، في ترب الغفير قبل أربع سنوات بإيدي دي.

في اللحظة الأولى التي رآه سعد فيها يعرض مستندات القضية على محمود قرر أن يتخذه تسلية الليلة. كان مشمش يؤكد كلامه لمحمود بالمستندات التي يحملها في الظرف الأصفر ذي الحروف المتسخة بالشحم. بحث عن الورقة التي تثبت أن زوجته قد استأصلت جهازها التناسلي، لم يجده في الظرف الأصفر، ففتح المحفظة للبحث عنها. عندها سقطت منه قطعة

حشيش كانت ملفوفة بعناية ومحشورة في داخل جيب المحفظة الداخلي.
أمسك سعد بقطعة الحشيش ولا يعرف كيف واتته الشجاعة على تمثيل دورالضابط. للحظات خارت فيها عزيمة مشمش وكاد يعترف على اسم صديقه الذي أهداه تلك القطعة قبل أن ينتبه محمود الضبع إلى التمثيلية التي وقع فيها موكله الجديد، والتي استحسنها في البداية، ثم وجد أنها سخيفة ومملة حين كاد مشمش يبكي وهو ينفي التهمة عنه.

انتبه سعد إلى إشارة محمود وأشعل السيجارة ومشمش ينزل يده من فوق صدره ويضيف بنبرة صوت الشاكر لنعم الله التي حباه بها ومنحه إياها:

ـ أنا وأعوذ بالله من كلمة أنا. أنا برضولِّي مخ. ومخ كبير بيفهم في صنعته قوي لدرجة إني عامل كباس هوا صغير بيتحط في خزان الهوا الكبيراللي فيه (الباكم) لا مؤاخذة، علشان لو لا قدر الله خرطوم الهوا بتاع الفرامل اتقطع صدفة، ممكن يشتغل الكباس أتوماتك لوحده.

ـ والله العظيم يمين أُسأل عنه يا أخ مشمش زي ما بيقول محمود باشا دايمًا، انت راجل عسل. والقعدة والحشيش بتاعك ما ينساب من غير لا مؤاخذة اللي لزقة في كلامك على طول.

ـ مية مية يا باشا على الناس ولاد الأصول.

قالها محمود وهو يعطيه السيجارة.

أمسك بالسيجارة ثم وضعها بين إصبعين وأقفل يديه الاثنين عليها وسحب نفسًا عميقًا من فتحة صنعها ما بين الكفين المضمومين، وانتظر قليلا

قبل أن يحبس النفس ثم يخرجه مصحوبًا بعيونه التي خرجت تودِّع النفس كما قال سعد لمحمود حين تذكراه في ليلة بعد تلك الواقعة بسنوات ثلاثة، وترحّما على أيامه التي لم تدم.

ـ ماسألتنيش يا سعد باشا سبب التحية دي إيه!

بذلك السؤال وقف محمد فرج، وتحرك حتى أعطى السجارة له وهو يواجهه.

ـ من غير ما أسأل يا عم مشمش.

قال سعد وهو ينظر السجارة في الهواء قبل أن يضيف:

ـ انت تحيتك فرض واجب. فاهم يعني إيه فرض واجب؟

وانتظر حتى شاهد هزة رأس مشمش قبل أن يضيف:

ـ تحيتا وقت ما تعوز. أول ما تحب تحينا أنا ولا محمود باشا.

ثم أشار إلى محمود قبل أن يشير بيده ويبتسم في وجهه ويضيف:

ـ مايضرش برضه. ترن بس واحنا ليك علينا لو قاعدين مع المرحومة ديانا أو الست أولبرايت بذات فخذها هنسيبها ونجيلك واحنا بنلبي نداك لو عاوز من غير لا مواخذة.

قال الملاك الذي هناك يرقب الحوار الدائر الآن بين الصديقين والمدعو مشمش، موجهًا كلامه للمهرج الذي تلبّسته الحكمة، وظل يعترض على سعد الله الكاتب الذي أوجده من عدم:

ـ لا تنظر إليَّ هكذا. تذكر. لم أرد عليك أيها المهرج. فقط تركتك تشرح

كلامك وانتهيت بأن استدعيت قول الله عز وجل في محكم آياته في غير محله. عليك فقط أن تعرف أن سبب وجودي في تلك الرواية أن أنقل ما يخفى عن الكاتب لحظة غيابه، ليعرف ما حدث وبماذا وصفه الأصدقاء. على أني لن أنقل أيّ كلمة تخرج عن إطار الدين أو الأخلاق حسب طبيعة الملائكة كما في أذهانكم. لكن ما يطرح في وجود أشخاص هم في الحقيقة أحرار في كتابته والحساب عنه أيضًا أمام الله، أو محاكم التفتيش، أو أمن الدولة طوارئ التي تخوّف بها الكاتب الذي أخذ ثلاثة أنفاس من السيجارة قبل أن يستمع إلى سؤال صديقه محمود الضبع الذي ضحك على كلام صديقه في البداية، ثم تغيّر لون وجهه حين ذكر التلبية التي لا تكون لغير الله فقال:

ـ أتعرف أنه وجب عليك الخوف ؟

ثم هز رأسه له وهو يضيف:

هل تعرف يا سعد الله الطالع من وجب عليه الخوف ؟

لم يهتز كما اهتز مشمش حين خرج التساؤل من فم محمود. هو لا شك قرأ كثيرًا في الأديان جميعًا. اختص دينه بالحب لكنه لم يهمل أيًا من الأديان، حتى الموضوعة، مثل البوذية. لكنه الآن. الآن وحسب، ليس بعد لحظات كما سيحدث، وهو يفكر في هؤلاء الذين وجب عليهم الخوف من لقاء الله، استبعد نفسه تمامًا، تمامًا كما استبعد أن يكون صديقه الأقرب محمود قد فكر في منحه تلك المنزلة البغيضة إلى نفسه. حين طال التحدث مع نفسه تنحنح

محمود كما كان يفعل حين يدخل ميضة جامع جمال عبد الناصر، مما جعله على غير المطلوب منه يفرج عن ابتسامة بها كثير من التمني للعودة إلى ذلك الزمان الذي لم يكن يحمل فيه همًّا، ويحمله شبابه كما يقولون.

أما الآن وهو يحمل كل هذه الهموم التي يمكن له أن يستطرد في وصفها، وبنقاط مختصرة ومفيدة، فقد غاب عنه الشباب الذي يستطيع به، وبه وحده، أن يتحمل الإنسان ذلك المجهول.

قال الملاك الذي هناك.

ـ إيه؟

قال محمود وهو يشير بيده إلى سعد الذي يبدو أنه يفكر بشكل عميق.

تحرك سعد بجسده حتى اعتدل على الكرسي الفوتيه، ثم نظر إلى مشمش الذي كان يخرج النفس الذي كتمه وسأله:

ـ أنت عندك فكرة عن سؤال الأستاذ محمود يا عم مشمش؟

ـ سؤال إيه؟

رد مشمش وهو غائب عما يحدث ويفكر فقط في كيفية صناعة سيجارتين من آخر قطعة من القرش الذي نحل وبره ولم يعد له وجود بعد أن يتمكن من صنع السيجارتين الذي مشى بريقه عليهما وتركهما على الترابيزة مبقوري الأمعاء، وراح يقطع الحشيش وهو مسطول تمامًا.

بابتسامة حنون وعيون ضائعة وعقل صار مترددًا الآن في معرفة إن كان قد أصبح خائفًا من لقاء الله أم لا. كان يعرف أن النفس أول ما تؤذي

تؤذي ذاتها، فعندما تنفصل النفس عن الذات تشبه كثيرًا وربّما خبثًا ظهر على الجسد. كان يعلم أن السخط على أي شيء تجري به الأقدار هو مجرد انفصال عن الطبيعة التي خلقها الله، هز سعد رأسه وأغمض عيونه الضائعة وانفصل عن محمود ومشمش وعاد إلى ذاته.

قال مشمش وهو يمسح بيده على زجاج الترابيزة قبل أن يرص الفناجين المتبقية من القرش:

ـ يظهر الباشا سرح.

لحظات طويلة ظلت رموشه مسدلة على عيونه، عاد فيها شريط حياته. يا لغرابة ما شاهد وهو يرفع رموشه من فوق الحجب! شاهد نورًا، فأنشد بصوت رائق:

غبت عنك لفترة ورأيتك

فعرفت أن لقاء نا قد حانا

يا ملهمي من أنت؟

أنت تعرف من أنا

أنا فيك أحيا منذ بدئك كانا

إن قلت أنت فإنني

أنا أنت الذي أعني

وأقصد بالندا إيانا

فذاتي لها ذات

واسم اسمها ذاتي

ولسنا على التحقيق ذاتًا لواحد

ولكنه نفس المحب حبيبه!

ـ الله عليك يا سعد الله. الله عليك بجد. رد عبقري.

هكذا قال محمود وهو يتحرك في صعوبة وبحركة رجل مسطول حتى أنه أطار "الترابيزة" الصغيرة وهو في طريقه ليحضن صديق عمره ويربت على ظهره لمدة طويلة، تلك "الترابيزة" التي وضعت عليها طفاية سجائر ممتلئة، وبالقرب منها سيجارتان مشقوقتان وتخرج أحشاؤهما من التبغ، وعلى زجاج تلك "الترابيزة" التي كانت تقف شائخة أمام مشمش كان ينام ـ بطريقة هندسية ابتدعها رغم أنه لم يعرف أبدًا فيثاغورث ـ الفتات الأخير من قطعة الحشيش التي أمسك بها سعد الله الطالع منذ ساعات ثلاثة ونيف وراح يشير بها في الهواء قائلا بصوت ضابط شرطة متمكن:

ـ إيه ده يا محمد يا. انت قولتلي اسمك بالكامل ايه؟

ـ محمد محمود فرج يا سعادة البيه.

ـ وأمك بتدلعك بتقولك إيه يا روح أمك؟

ـ مش أمي يا باشا. دول أصحابي في الورش. حكم أنا عندي ورشة تصليح عربيات في شارع السلطان حسن جنب حضرتك هنا.

وأشار بيده في تردد وخوف ممكن منه.

ـ انت هتحكيلي قصة حياتك بروح أمك.

عاجله سعد الذي يمثل دور الضابط.

ـ أنا آسف يا باشا.

ـ فيه إيه يا سعد باشا.

قال محمود وقد انتبه للدور الذي يتقمصه بحنكة ومَغلمة صديقه.

ـ اللي حضرتك شايفه أهو يا محمود بيه.

ثم رفعه في الهواء وقربه من عين محمود ثم مر به من أمام مشمش الذي صار وجهه "على كل الألوان يا بطـــة" قبل أن يضيف:

ـ حرز. قضية جات في معادها. أنا فعلا محظوظ إني فت عليك النهارده يا محمود.

ـ ليه بس يا باشا.

قال محمود وهو يسايره في الرسم على المغفل الذي أسقط منذ لحظات ما يقترب من قرش حشيش فوق المكتب وهو يبحث عن ورقة التقرير الذي يثبت أن زوجته ليس لديها رحم كما قال له منذ ما يقرب من خمس دقائق أعقبها بحثه في كل أوراق الدوسيه الأصفر قبل أن يخرج محفظته ويبدأ في إخراج محتوياتها بدقة. تحرك سعد خطوات وهو ما زال يمسك بقطعة الحشيش وأضاف:

ـ عارف أنا قبل ما أجيلك بساعتين. العميد بتاعنا اداني دش بارد علشان..

ثم نظر إلى محمود وهو يكمل كلامه بهزة رأس.

ـ عنده حق والله.

قالها وهو يمر بقطعة الحشيش أمام عين مشمش الذى أسقط فى يده، ثم راح يطيرها فى الهواء ويلتقطها أثناء لفه حول مشمش ومقعده مضيفًا بصوت صار تهكميًا..

سوف أعيد صياغة تلك الجمل لتخرج هكذا

ـ عارف أنا قبل ما أجيلك بساعتين.. العميد بتاعنا اداني دش بارد علشان.

ثم تحرك خطوات وهو يكمل كلامه بهزة رأس ورفع يده فى الهواء.

ـ عنده حق والله.

قالها وهو يمر بقطعة الحشيش أمام عين مشمش الذى راح يصب جام غضبه على تلك الزوجة التى لم تكن هناك، كما أنها لم تكن هى التى أعطته قرش الحشيش. وما إن بدأت اللفة الأخيرة وهو ما زال يطير قطعة الحشيش الملفوفة فى ورقة سوليفان أخضر غامق فى الهواء، ويلتقطها فى أثناء لفه حول مشمش الذى التصق بمقعده تمامًا بعد أن سحب رجليه فى اللفة الأولى ثم سحب يديه فى اللفة الثانية حتى بدا فى اللفة الأخيرة مثل قنفذ يلتف على نفسه.

على الملاك الذى كان هناك وصف ذلك المشهد، فوجه محمد فرج فى تلك اللحظة لن يتشكل بالدقة والوضوح المطلوبين لإظهاره بالروعة التى كانت عليه من خلال المهرج الكاتب. أو الكاتب المهرج.

لم ينتبه محمود إلى ما فعله بالترابيزة وأخذ سعدًا في حضنه لدقائق، ثم قال بصوت يشبه تمامًا صوت صديقه سعد في روعته أنشد محمود:

ـ ينادي المنادي باسمها فأجيب • • • وأدعو ذاتي عن ندائي تجيب

وما ذاك إلا أننا روح واحدة • • • تداولنا جسمان وهو عجيب

كشخص له اسمان والذات واحد • • • بأي تنادي الذات منه تصيب

عند ذلك قال المهرج وهو يشير بقسوة للملاك الذي هناك:

ـ تبتسم الآن وتفشخ حنكك، وتعيب عليّ أن بكيت!

تخاطب منا في الوجوه عيوننا • • • ترانا سكوتًا والهوى يتكلم

همس الملاك الذي كان ينظر بود للمهرج الذي وقف غاضبًا ومحتدًا على تصرفاته.

ما أن أنهى محمود إنشاده حتى عاد الصديقان إلى الواقع الذي يضمهما بعيدًا عن أبيات الشعر. وسأل محمود مشمش عما يفعل:

ـ انت بتعمل على الأرض إيه عندك يا عم مشمش؟

كان مشمش جالسًا على الأرض يتحسس السجادة برهافة كأنه يتحسس جسد امرأة جميلة وهو يبحث عن قطع الحشيش الصغيرة التي تناثرت حين تعثر سعد بالترابيزة وأوقع كل شيء.

ـ بدوّر يا باشا على البلوة اللي عملها صاحبك.

انتفض سعد وعاد بجسده إلى الكرسي، وقال وعلى وجهه جهل العالم

وتساءل العليم وفرق صدره يده اليمنى تحط بقـــوة:

ـ أنا يا عم مشمش؟

ـ أيوه أنت، طيرت الترابيزة يا باشا، وضيعت علينا آخر سيجارتين.

1

غير إنكم لا تعرفون عن بطلكم شيئًا.

بيد أن بطلكم في الحقيقة محض وهم.

صنعتموه أنتم بأيديكم.

جعلتموه يتحرك في الليل لينقذ ابنتكم التي تتربص بها الوحوش، أو يتفقد بيت أحدكم ويقول للمرأة التي تحاول غش اللبن بالماء: إن كان بطلكم لا يراها، فإن الله يراها.

أما عنه فقد كان يستمع إلى تلك الأحداث كأصغر واحد فيكم، وللحق أراد كثيرًا أن يكذبكم.

أن يقول لكم:

- أيها الناس الأعزاء. يا أصدقائي. لم أكن أنا ما فعلت ما تقوله ألسنتكم.

لكنه خاف عليكم.

نعم. خاف أن تخسروا حلمكم فآثر السكوت.

فقط آثر السكوت وهز الرأس لكل إشاعة تطلقها ألسنتكم.

فلماذا الآن تقفون أمام وجهه ؟

وترفعون أيديكم وتحاولون إنزاله من فوق عرش صنعتموه بأمانيكم ؟

وتعلنون بكل وضوح أنه لم يكن حلمكم.

هل قال يوما إنه حلمكم ؟

وللحق، ومنذ اليوم الأول الذي رفعتموه فوق الأعناق إثر محاولة اغتيال ناجحة من أفراد ينتمون إليكم استطاعت بمباركة منكم أن تقتل حلمكم وحاكمكم السابق، قال:

ـ إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

قالها بلا خوف أو خداع لواحد فيكم. قالها وهو يضرب بيد من حديد على المنصة التي صنعتموها بدمائكم، ثم أضاف وهو ما زال يمسك بتلك الفوتنات التي تملكت قلوب شعراتكم:

ـ لا بد من العمل.

أو تدرون ما العمل الذي طلبه ؟

ربما كان يعني العمل بإخلاص من أجل رفع شأن الوطن.

أو العمل بكل ما تعنيه كلمة العمل في الأديان السماوية.

هل تعلمون ؟

ربما كان يعني العمل على التخلص منه ؟

وربما وربما.

ولكي نعرف الحقيقة عن قرب. أو على الأقل لكي نزيل ذلك الالتباس

الواضح في كلمته عن العمل، علينا أن نقترب منه. إن نجده غير متيقن ومتيقن منه أيضًا.

ولكن كيف نقترب منه وهو ما هو؟

هل أتاكم حديث الغاشية؟

إنه لمن لا يعرفه هو الحديث عن بطلنا.

عما صنعناه بأيدينا، ثم رويدا رويدا، ويومًا بعد يوم، طلب منّا أن نعبده فصار إلهًا بعيد المنال.

إن الطريق إلى معرفته، أو معرفة حقيقته، غير صالح للعبور.

كما أن كل الأشياء غير داعمة للتمكن منه.

أو قرب زوال مملكته.

لقد أعد لنا ابنه ليكمل مسيرته العطرة.

2

ـ تيجي نبدأ من الأول؟

ـ ما عنديش مانع. اتفضل، بس لو سمحت شوف لنا الشاي اللي بيقلل على النار.

ـ عندك حق.

قام وخرج، ثم عاد وجلس خلال ست دقائق.

ـ نبدأ من الأول يا عم؟

ـ اتفضل حضرتك. وبالمرة كمان اتفضل سيجارة علشان خاطر العطلة اللي عملتها لك.

ـ ده واجب في الأول وفي الآخر يا عم.. إلا صحيح حضرتك مين؟

ـ مش لازم اسم.

ـ يعني أقولك إيه لما أحب أنادي عليك؟

ـ ليه يا عم هو أنت هتنزل وتسيبني تنادي على من الشارع ولا إيه؟

ـ مش للدرجة دي يا..

ورفع جناحيه في الهواء، ووضعهم فوق كتف الكاتب وهو يضيف:

ـ شفت.. أهو.. أنا عاوز أقول اسمك.. قول لي بقه، أعمل إيه؟

ـ بقول لك إيه.. حكاية لما أحب أخاطب مصر أكلم مين دي ما لهاش لازمة. أنا مش عاوز أقولك اسمي. أنا حر. زي ما أنت حر في اسمك برضه.

ـ أنا اسمي.

مرت ما لا يقل عن دقيقة وقف فيها الأول وأمسك بفم الثاني قبل أن يخرج من فمه اسمه، وعاد الأول إلى مكانه والثاني ينظر إليه وهو لا يعرف ماذا يقول.

ـ على راحتك يا باشا.

ـ وما بحبش الألقاب كمان.

ـ لأ بقى، أتعامل معاك إزاي في اليوم الأغبر ده؟

ـ بسيطة. اعتبرني واحد بيحاورك وخلاص زي حكاية قال وقالت أو هو وهي.

ـ على كيفك، بس كده ممكن القارئ يزهق منا ويرمي بالكتاب على قد ما تجيب إيده.

ـ هو حر، الكتاب هيكون ملك القارئ، وأنا الكاتب صاحب الكتاب بقولك ده كتابي وأنا حر فيه برضه..

ـ الرواية هاتضيع في الرجلين كده.

ـ ما تكونش فاكرني عم نجيب.

ـ أقدار العظماء محفوظة، لكن أنت أيضًا كاتب.

ـ اسمع علشان نخلص. ابدأ الكلام من الأول زى ما احنا أتفقنا وسيبك من الكلام اللى لا ها يودى ولا يجيب ده.

ـ عندك حق، بس لى فى البداية كلمة عن النفس التى تؤذى نفسها فى خمس نقاط سريعة يجب أن نتفق عليها.

ـ اشجينى يا سيدى.

ـ أول حاجة تؤذى النفس هى النفس ذاتها.

ـ مفهومة نوعا ما؛ خش على نمرة اتنين.

ـ مع أنى متأكد من عدم فهمك كيف تؤذى النفس نفسها، إلا أن نمرة اتنين هى أن تنأى بذاتها عن كائن إنسانى آخر، وعند ذلك يبدأ الخصام والغضب والإيذاء، الثالثة هى حين تركن إلى اللذة أو الألم، والربعة حين تتكلف وترائى فتقول غير الصدق وتفعل غير المطلوب بالحق. خامسًا وأخيرًا حين تفتقد للهدف، فتميل لذاك وتحيد عن ذلك. ببساطة هى فى تلك الحالة كأنها تخيط الثوب المهترئ.

ـ مفهوم بس وحياة والدك تخش على الموضوع لأنى مش غاوى فلسفة ووجع دماغ.

ـ بص يا سيدي، مع بداية ثورة يوليو 52 اقتصر العمل السياسى على

الدولة بواسطة أجهزتها الإدارية والتنفيذية، فتم إسقاط دستور 1923 في ديسمبر 1952 وألغيت الأحزاب في يناير 1953. فيما عدا الإخوان المسلمين الذين اعتُبروا جمعية لا حزبًا، وتراخت تصفيتهم إلى عام 54، وصدر الدستور المؤقت في فبراير 53، والذي منح سلطات مطلقة للرئيس، ودمج السلطة التشريعية في السلطة التنفيذية، لتفقد الأولى استقلالها، ويتأكد هذا الفقدان باشتراط دستور 1956 فيما بعد تولي الاتحاد القومي الترشيح لمجلس الأمة. وكان من شأن ذلك أن يجمع رئيس الدولة كل السلطات السياسية والتشريعية والتنفيذية في يديه.

ـ وهو فيه واحد يقدر على كل ده. زي ما النبي محمد قال: "ما خلق الله من قلبين في جوف".

ـ بلاش الكلام اللي ما لوش لازمة لأن الموضوع ده حصل من أكثر من خمسين سنة وزي ما بيقول المثل (العايط في الفايت نقصان عقل ودين). وبعدين الرسول الله يرحمه ما كانش يعرف اللي ها يحصل بعد كده، ود مش كفر أعوذ بالله لأنه عليه الصلاة والسلام لو نزل دلوقتي الانتخابات هيسقط سقوط مدوي، وخلينا نكمل أحسن.

ـ على رأيك؛ خد سيجارة.

ـ لا لو سمحت المرة دي عليّ أنا.

ـ الجيب واحد.

ـ لا، علشان ما حدش فينا يحس لحظة واحدة إنه حمل على التاني.

ـ ماشي كلام أبناء آدم؛ ولاد الأصول.

ـ لما الرئيس مسك السلطات كلها كرست السلطة الجديدة التنظيم الواحد بدءًا من هيئة التحرير سنة 1953 مرورًا بالاتحاد القومي وانتهاءً بالاتحاد الاشتراكي العربي. كل دول طبعًا كانوا تحت قيادة الدولة العليا، ولم يكن لهم أي تأثير في اتخاذ القرارات السياسية الكبرى، زي تأمين قناة السويس أو الوحدة مع سوريا أو التأميم أو حرب اليمن.. ألخ.

ـ مش فاهم.

ـ يعني الحزب على عيني وراسي، بس الرئيس هو اللي بياخد القرارات بذات نفسه، ومن دماغه.

ـ مش المفروض إن الحزب يفكر وبعدين يقدم مشروعه للمناقشة، ثم يخلص من الكلام بنقاط مختصره، ويتقدم بيها لرئيس الجمهورية حسب ما بينص الدستور؟

ـ ده كلام فارغ ومضيعة للوقت. الأحسن طبعًا الرئيس يفكر ويقرر وينفذ على طول. شوف مثلا الخطاب اللي بعته الرئيس لمجلس الشعب علشان يقول له فيه إنه عاوز يغير المادة 76 من الدستور.

ـ قصدك ركاكة الجمل وعدم فهم الكلام من الأساس.

ـ لا طبعًا؛ أنا قصدي الطريقة. لولا إنه هو اللي قرر كان الحزب قعد

عشرين سنة على ما يخطر على باله الموضوع ده، وده بقى العبقرية اللى اختص بيها المولى الرؤساء.

ـ بس دى طريقة مش ديمقراطية.

ـ أنت جاى تحاورنى وعامل لى ملاك ووقف قدامى وعاوز تكمل معاى لغاية المحروقة دى ما تخلص، وفى الآخر تقولى قال إيه مش ديمقراطية!

ـ بس بالطريقة دى يبقى أطاحت ثورة يوليو بما كانت قد انتزعته الحركة الوطنية والديمقراطية من حريات، وأقامت دكتاتورية صارمة.

ـ عليك نور. بس كان عندها سبب وجيه.

ـ سبب إيه ده اللى يخلى الثورة تضيع نص قرن من المكاسب؟

ـ كانت نايمة على الاصلاحات الاجتماعية ذات الأفق البرجوازى. حلو البرجوازى ده. خد بقى السبب الأشد وجاهة. معاداتها للاستعمار المتربص بينا من أول التاريخ.

ـ بس طول عمر السادة الرؤساء بيعاملوا العدو ده من تحت الترابيزة.

ـ أديك قلتها بنفسك "من تحت الترابيزة". إيه عرّف الشعب اللى عمل توكيل على بياض لجناب الرئيس. تصدق وتؤمن بالله؟ فيه رئيس من الرؤساء اللى مسكونا ما كانش يعرف الموضوع ده غير لما قعد فى الحكم 16 سنة. أى والله العظيم تلاتة يا جناب الملاك ولا ليك علىّ حلفان، الرئيس ده ذات نفسه أول ما اكتشف إنه عنده توكيل من الشعب راح بايع القطاع العام،

وما حدش قدر يفتح بقه ولا يقول له تلت التلاتة كام؟ طبعًا الرئيس معاه كل التوكيلات والمخابرات والبوليس والإعلام.

ـ ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم، وأحسن حاجة كمل.

ـ بعد 23 يوليو بأقل من شهر استخدمت الثورة الدبابات وقوات الجيش لفض اعتصام العمال المُضربين عن العمل في كفر الدوار. اعتقلت قادتهم وأعدمت في 7 سبتمبر اتنين منهم، الأول اسمه مصطفى خميس، والتاني اسمه إسماعيل البقري. وحكمت بالسجن المؤبد على عدد كبير من العمال.

ـ بس ده معناه إن اللي قاموا بالثورة رفضوا حد غيرهم يقوم بثورة صغيرة علشان تحسين أوضاعهم أو تكوين نقابة بالانتخاب الحر أو زيادة الأجور أو صرف المنحة. على ذكر المنحه؛ فاكر لما الرئيس القائد صاحب الضربة الجوية الأولى كان بيخطب في عيد العمال ويأجل حكاية المنحة لغاية ما يمشي والناس تنادي عليه المنحة يا ريس، فيعود يضحك ويقول 10 %؟

ـ قديمة، وبعدين ولع علشان الكلام يحلو.

ـ ما تخدش على كده.

ـ بعد الموضوع بتاع كفر الدوار، جه هجوم الدبابات على مصانع في الإسكندرية، وبعديها مصنع نسيج الشوربجي بإمبابة في 7 سبتمر 1953، وهلمّ جرًا. بعد كده سنّت الدولة، وبدون استشارة العمال نفسهم، سواء تنظيمات أو نقابات، شوية قرارت، منها زيادة في تعويض الفصل، وإدّتهم

أجازات سنوية أطول، ومواصلات مجانية، ورعاية صحية، وقبل ما يتنفذ أي قرار منهم كانت الدولة نفسها عاملة أمر عسكري يحرم الإضرابات بجميع أشكالها، الكلام ده أمتي؟ مش ها تصدق؛ في 8 ديسمبر 1952.

- ده كلام خالي من الصحة تمامًا لأني أنا بأم عيني شايف إضراب للعمال يوم 29 مارس سنة 1954 في كل شوارع القاهرة بيهتف وهما رافعين يفط كل الشركات المشاركة في الإضراب، والتي جاءت من كل شبر في أرض القطر المصري، وهما عمالين يقولوا: لا للأحزاب، لا للديمقراطية.

- عندك حق طبعًا، بس الموضوع ده بالذات له حكاية يمكن ما تعرفهاش.

- قول لي يا أبو العريف؛ منك نستفيد.

- بص يا سيدي. بعدما تكوّن ما يُسمى بهيئة التحرير التي كان أمينها العام هو جمال عبد الناصر، والنائب بتاعها هو الصاغ إبراهيم الطحاوي، ومدير شؤون النقابات هو الصاغ أحمد طعيمة، حصل إشكال 54.. عارفه؟

- تقصد ما أراده محمد نجيب ويوسف صديق؟

- الحكاية باختصار إن المجموعة الصغيرة دي، ومعهم خمسة من أعضاء قيادة الثورة، كانوا عاوزين يردوا الحكم للشعب، ويرجعوا الجماعة بتوع الجيش لمواقعهم. حصل إشكال بقى ما بين أنصار الديموقراطية وأنصار الحكم العسكري، وكان لا بد من الاحتكام إلى الشعب ذاته، ومن هنا عملوا اجتماع يوم 26 مارس في مكتب الصاغ أحمد طعيمة، وقرروا يعملوا

إضراب العمال بتاع يوم 29 اللي حضرتك شفت فيه العمال اللي خد فيهم كل واحد حته بدنة، خمسة جنيه، حتة بحالها، وقعد يهتف: لا للأحزاب.. لا للديمقراطية.. وفي الآخر رجعوا على بيوتهم ماشيين بعدما صرفوا الخمسة جنيه كلها في "الكلوب" وما لقوش العربيات اللي جابتهم من بلادهم، سابتهم ومشيت وطلعوا شليطي مليطي، وولع بقى، خلي الكلام يحلو.

3

استشار عبد العظيم محمود الشيخ، الشهير بـ" أبو ربعو"، الله والهدى الإسلامي والشيخ مجدى في موضوع الإسهال الذى أصابه.

أما الله، فقد ظل ثلاثة أيام يسأله أن يشفيه، وهو يتناول القهوة المخلوطة بعصير الليمون وحبات الحمص الناشف، ويزيد في تضرعه حتى يخفف عنه ألمه. بعدها استشار الهدى الإسلامي الذى ذهب إليه في تمام السادسة والنصف من مساء اليوم الرابع، وبعد أن دفع مبلغ 3 جنيهات، وأمسك في يده بورقة تحدد دوره في الكشف أمام دكتور لم يعرف اسمه، وخرج من عنده وفي يده ورقة أخرى مكتوب بها مجموعة من الأدوية دفع فيهم مبلغ 11 جنيهًا، وصار لمدة عشرة أيام يتناول تلك الأدوية من دون أن تظهر أدنى نتيجة تذكر، مما جعله يستشير الشيخ مجدى الأخ لزوجته، والذى كان يتابع استشاراته السابقة عن كثب.

ولما كان الشيخ مجدى من الأطباء الذين أخذوا العلم الطبي من مجموعة الأمراض التي أصيب بها هو وأبوه وأفراد من عائلته، وتعمق في الطب حتى

أنه ترك كل شيء تعلمه في مدرسة التجارة المتوسطة وتفرغ للطب، من هنا قرر الدكتور مجدي أن يبدأ معه من الصفر. لم تطل فترة الاختبار لأكثر من أسبوع قرر خلالها الشيخ مجدي أن يرمي بثقله الطبي بعد أن يئس من مراجعة كل حالات الإسهال ومنحه بعض السفوف ذات الألوان المختلفة، ولقد شاء الله أن ينصر الدكتور مجدي وينقطع الإسهال بعد ساعات خمس فقط من تناول عبد العظيم السفوف، مما جعله يبش في وجه زوجته ويقول لها:

ـ يظهر سر الشيخ مجدي باتع يا أم ربعو.

ـ ما أنا قلتلك من الأول يا أبو ربعو؛ ده غاوي، وبيقرا، ومُطّلع.

ـ عندك حق والله.

قالها بفم مليان قبل أن يهز يده ورأسه في الهواء ويضيف:

ـ يا خسارة الفلوس اللي دفعتها عند دكتور الهدى الإسلامي.

ـ فداك يا أبو ربعو؛ الحمد لله إن ربنا كرمك.

مضى الليل وجزءًا كبيرًا من النهار بدون أن يدخل عبد العظيم الحمام ولا مرة واحدة، مما جعل الفأر يلعب في عبّه وهو يجلس فوق الترابيزة المهكّعة أمام مبنى المحكمة. بعد مضي أربع وعشرين ساعة، وبالتحديد في الساعة نفسها التي شرب فيها الحبوب مختلفة الألوان أحس بألم شديد في معدته، مما جعله يجأر بصوت أصاب زوجته المشلولة القدم والذراع بحالة هسترية لم تتخلص منها إلا وهم في عربة سيد حسين الذي أغاثها، وحمله هو وباقي سكان بيت عبد العظيم، وذهبوا به إلى مستشفى النصر للتأمين الصحي؛

الشهيرة بمقبرة الغزاة، رفض الأطباء التدخل للكشف عليه إلا بعد أن يروا كارنيه التأمين الصحي، ولما كان عبد العظيم يعمل "عرضحالجي" على باب الله ونيابة ومحكمة حلوان؛ لم يجد أهله بدًا من الذهاب به إلى مستشفى المستعصية (حلوان العام).

- هو خد إيه؟

سؤال خرج من فم الدكتور "النوبتجي" في الاستقبال.

- هو كان عنده إسهال وبعدين أخوي الشيخ مجدي.

ثم رفعت يديها في اتجاه السماء وهي تضيف:

- ربنا يستره يا رب إدَّاله شربة حبوب خف والحمد لله بعد امّا غلبنا في اللف على الدكاترة.

- وأخوكي الشيخ اسمه إيه ده اللي ربنا..

لم يكمل كلامه نظرًا لتدخل الأخت التي لم تتركه يكمل، وقالت له:

- الشيخ مجدي يا أخويا.

- الشيخ مجدي بتاعك ده دكتور؟

- لا، بس هو عبي كتير وكتر الحزن يعلّم البكا.

- بكا إيه ولطم إيه يا ست انتي يا متخلفة!

- الحقوني، بطني ها تتفرتك. اعملوا معروف؛ أبوس إيديكم.

بتلك الجملة أنهى عبد العظيم الكلام حول أخيها الشيخ.

- طب اعمل معروف الحقه.

ثم اقترب منه وهو يضيف:

ـ شوف الرجل اللي بيفرفر قدامك وبعدين تشوف الغلط على مين.

عرض قدّمه الحاج محمود صاحب البيت الذي يسكن فيه أبو ريعو، وهو يمسك بيد عبد العظيم الذي صار وجهه أزرق.

ـ ما أنا لازم أعرف إيه الحبوب اللي خدها.

ـ اعمل له غسيل معدة يا دكتور.

عرض آخر تقدمت به الست أم حسني، جارة المريض، والتي صممت على الإتيان معه إلى المستشفى للاطمئنان عليه مثلما فعل أبو ريعو ـ ذاته ـ مع المرحوم زوجها.

ـ طلّعي الناس دي كلها بره يا نيرس.

أمر خرج من الدكتور وهو ينظر باحتقار إلى المرأة التي كانت تنظر للمريض وتواسيه وتهون عليه الأمر قائلة:

ـ شدة وتزول يا أستاذ عبد العظيم.

ـ طب نفهم الأول هو عنده إيه يا دكتور.

تساؤل خرج من فم سيد حسين.

ـ عنده تسمم واضح يا سيدي؛ ممكن بقى حضرتك تاخد الزيطة والزنبليطة اللي عاملينها لي دي علشان أعرف أشوف شغلي.

ـ خليكي معاي يا أم ريعو؛ أنا بموت.

ـ إن شاء الله العدوين يا اخويا.

قالتها الزوجة وقلبها يكاد يطير من الخوف ودموعها تسح على خدها.

لخمسة أيام تنقل خلالها المدعو عبد العظيم على مستشفيات مدينة ناصر والمقطم وعين شمس التخصصي وعاد مرة أخرى إلى مقبرة الغفراة قبل أن يخرج منها جثة هامدة في عصر اليوم السادس من دون أن يكتشف أى من الأطباء ما أصابه على يد الدكتور مجدى أخي زوجته التي ترملت وهي في بداية الثلاثينيات.

4

ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج.

وليس أيضًا على الكتف أى حرج.

قالها الشيخ رحومة، مؤذن جامع السنة المحمدية، وظهره يكاد ينكسر وهو يكنس جوار سور الجامع الذى اتخذه المعلم إبراهيم الشحات، الشهير بالكتف، مقرًا لاستراحة حميره وبغله وحصانه.

ـ يا راجل حرام عليك؛ المصلين ضجّوا من الدبان والريحة.

كان الشيخ رحومة يفرد كفه على المنطقة السفلى من ظهره مظهرًا الألم الذى يحس به من إمساكه بعرجون النخل الذى اتخذه مقشة يرفع بها فشل الحمير الذى يجمع الذباب.

ـ يا عم حرام عليك؛ دا أنا سامع بردنى اللى ها ياكلها الدود دهيه الشيخ بيقول إن الصحابة والمجاهدين اللى كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا بيربطوا أحصنتهم فى الشباك بتاع الجامع النبوى ذات نفسه، مش جامع أبو تعلب.

ـ يعني هو ده اللي طلعت بيه من الرسول يا كتف.

تساءل الشيخ بسخرية وغيظ وألم.

ـ حصل ولا محصلش يا شيخ رحومة؟

ـ الله ياخد الشيخ رحومة علشان يرتاح منك ومن حميرك يا إبراهيم بحق جاه المصطفى.

قالها الشيخ وهو يترك العرجون ويرفع يده بجدية تامة حتى يستجيب الله له.

ـ خلاص يا عم الشيخ. ليك عليّ أربطهم بعد آذان العشا.

ـ يا راجل حرام عليك؛ ده بيت ربنا.

ـ أدي أنت قلت، يعني مش بيتك علشان تتحكم فينا كل يوم بالطريقة دي. وبعدين ما أنا بخلي العيال تكنس على طول، لكن أعمل لك إيه، الواد ولا البت تيجي تكنس تلاقيك خلصت؛ دايمًا طلقك حامي ومستعجل يا عم الشيخ مع إن ربنا خلق الدنيا دي..

وأشار بيديه وهو يلف أمامه على الاتجاهات وهو يضيف بتأكيد:

ـ في سبعة أيام. لكن أنت طلقك حامي دايمًا.

ـ يا راجل المصلين بقوا يروحوا يصلوا في جامع الحاج طه.

ـ أول حاجة بتوبهم ثواب أكتر.

قالها وهو يرفع يديه في الهواء أمام وجه الشيخ قبل أن يضيف وهو يبتسم في وجهه:

ـ تانى حاجة شيخ جامع الحاج طه رجل وشه بشوش، مش نكدى زيك كده.

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل.

ـ أيوه هو ده اللي أنت شاطر فيه بعد كل غارة تعملها.

ثم اقترب منه، وأشار بيده إلى بيته، وهو يمسك به من كتفه، وأضاف:

ـ شوف بقى خمسة أدوار من قرَك الدكر.

ثم ترك كتفه وابتسم وهو يضع قبلة على رأسه وهو يضيف:

ـ عليّ اليمين أنت أجدعها شيخ عرفته في حياتي. ملقيش معاك فص؟

أمسك الشيخ بالعرجون فجرى إليه إبراهيم وأمسك به واحتضنه قبل أن يضربه به كعادته الدائمة بعد أن يذكره الكحف بحاله أيام الشقاوة، قبل أن يهديه الله، وإن كانت الهداية ليست كما ينبغي. ففي مرات كثيرة أمسك الشيخ بعمامته ورماها على الأرض قائلا للذى أخرجه عن إيمانه:

ـ لا؛ أنا ابن سبعة، وماليش خلق لقلة الأدب دي، وماتفتكرش إني شيخ بجد. لا، أنا صايع قديم.

جاء اسم الكحف للمعلم إبراهيم أبو ليلى ذات يوم ليس بالقريب وليس بالبعيد أيضًا. وعلى وجه الدقة كان ظهر أحد أيام الجمع. كان يومًا من شهر يوليو. وللحق كان لا يعمل أبدًا في ذلك اليوم، لكنه أصرّ على النزول إلى العمل بناء على إلحاح جاره أولا، ثانيًا طمعًا في الورقة فئة الخمسة جنيهات التي عرضها الجار أجرة مشال طن ونصف من الحديد من المعصرة حتى

الحكر على عربته الكارو التي يجرها حصان. اقتنع أخيرًا بكلام جاره وزوجته التي تدخّلت في الشغل من أجل عيون جارهم أبو دعبس الذي يساهل كل خير والذي وقع في عرضه بعد أن اعتذر كل سائقي العربات حين علموا أن العنوان هو الحكر الذي ليس به أي طريق مستوٍ، أو على وجه الدقة: ليس له إلا طريق وحيد متعرج، وبه منخفضات ومرتفعات حسب طبيعة الحكر الجبلية.

ـ معلش يا أبو ليلى؛ علشان خاطرى أنا. الراجل واقع فى عرضك. وبيقول لك الصنايعية جايين الصبح، وكده كده يومهم محسوب زى ما اتفق معاهم. وبعدين ده دفع عربون يا أبو ليلى.

ـ أنتِ عارفة يا أم ليلى، أنا بتشاءم من يوم الجمعة.

ـ حد يقول كده على اليوم اللى خلق ربنا فيه الأرض والناس وسيدنا آدم.

ـ اليوم ده بريّح فيه البهيم الأخرس، وكمان بريّح فيه العضم.

ـ يا عم دول ساعتين زمن وكان الله يحب المؤمنين.

ـ يا عم ده فيه ساعة نحس، وأنا ملدوغ فيها قبل كده مرتين. سامحنى يا أبو دعبس يا أخويا.

ـ يا عم الساعة اللى بتقول عليها دى بعد الضهر.

ثم رفع يديه ونظر في ساعته الأورينت وأضاف بحسم:

ـ الضهر لسه قدامه ثلاث ساعات ونص؛ تكون جيت واتشطفت ورحت تصلى معايا بإذن الله تعالى. بس أنت قدم المشيئة وتوكل.

ـ يا أبو دعبس!

قالت الزوجة برجاء:

ـ خلاص بقى يا أبو ليلى.

ـ وأنا ها أدفع 7 جنية يا عم الحاج.

ـ والله ما على الفلوس يا أبو دعبس يا أخويا.

ـ أنا عارف طبعًا وشايل جميلك فى رقبتى.

خرج إبراهيم بعد أن استخار زوجته والله وتوكل عليه بعد أن أمسك فى يده السبعة جنيهات التى صمم على دفعها أبو دعبس قبل التحرك.

ـ لا أنا بعد إذنك هسبقك على المعصرة بالعربية علشان أوزن وأدفع على ما تيجى أنت على مهلك.

قالها أبو دعبس وهو يرفض الجلوس بجوار إبراهيم الذى تزحزح من فوق جزء كبير من شلته الخضراء لجاره الذى استبشر خيرًا كثيرًا من السجائر سوف يصيبه طوال الطريق إلى المعصرة والعودة منها.

وصل كما توقع إلى المعصرة بعد حوالى 45 دقيقة ليجد أبا دعبس واقفًا على الباب فى انتظاره كما توقع أيضًا.

ـ أتأخرت عليك؟

سأل المعلم إبراهيم جاره الذى كان مكفهر الوجه من الحر كما ظن المعلم من بعيد وهو يراه.

ـ أبدًا يا معلم. بس حظنا هباب.

ـ خير يا أبو دعبس إن شاء الله!

ـ أبدًا، العربية بتعتق بقالها نص ساعة.

ـ عربية إيه؟

ـ اللي جايبة الحديد من الدخيلة.

ـ بسيطة، كلها كمان ربع ساعة وتخلص.

ـ طب اركن وتعالى نشرب شاي على القهوة وخد لك حجرين بالمرة.

ـ الأول ناخد دور علشان ما حدش يخش قبلنا.

ـ عندك حق.

جلسوا على القهوة مقدار نصف ساعة كاملة، وعادوا ولا تزال العربية تعتق بعد أن اختلفوا في الوزن وبدأوا في الوزن من البداية كما اتضح لهم.

استمر الوضع حتى دخل المعلم إبراهيم وحده بالعربة والناس تنهى صلاة الجمعة في مسجد الحاج طه. ولما كان الطريق في ذلك المكان عتاز بمرتفع لا يقل عن متر ونصف. ولما كان الحصان يجر طنًا و685 كيلو حسب الوزن الفعلي الذي أمسك بفاتورة تحدده بدقة أبو دعبس الذي تركه يأتي وحيدًا بعد أن علق صاحب إحدى عربات الكارو واصفًا ما يراه بأنه افتراء على الحصان، وطلب منه أن يرحمه ويتكل على الله ويترك السائق الذي سيحاسبه الله حسابًا عسيرًا. ولما كانت أسياخ الحديد تزيد على طول العربة حتى أنها تجرجر في الأرض وتزيد من الثقل الحقيقي للحمولة، فقد وقف الحصان يستريح قليلا قبل أن يقدر على طلوع ذلك المطلع.

ولما كان الحر قاسيًا. ولما كان فم إبراهيم جافًا كالعصا. ويخاف أن يخرج المصلون في تلك اللحظة، فصوت الإمام كان يختم الصلاة، فقد نزل بكل قسوة بسياطه على ظهر الحصان الذي لم يستطع تحمل الضرب، وحاول التحرك لكنه لم يقدر. ومن هنا آثر تحمل ضربات السياط على التحرك عكس طبيعته دائمًا كما ترى، وكما يعرف إبراهيم الذي أحس بالإحراج والعطش والضيق، وكاد يقسم أن الحيوان قد مسه جن وغيّر من طبيعته التي يعرفها منذ اشتراه من أكثر من عشر سنوات. لم يجد أمامه حلا وهو يرى الناس تنظر إليه في غل وقسوة، وكثيرٌ منهم أصدر همهمات تشي برفضهم ما يحدث أمامهم من افتراء وخسة وجبن كما ادعى واحد تعمد أن يخفي وجهه ويُعلي من صوته.

رجع بعض الخطوات ثم تقدم بقوة ووضع كتفه بجوار عرش العربة، وأراد سحب الحديد مع الحصان الذي رفض أن يشاركه كما رفض المصلون أن يتعاطفوا معه، أولئك الذين كانوا يقفون على الجانب الآخر من الطريق الذي يفصله ترعة مخلفات مصنع أسمنت بورتلاند حلوان، والذي يلزم مشاركتهم اللف من فوق الكوبري المصنوع من النخل بعد مسافة لا تقل عن 250 مترًا على الأقل.

أحس بالقهر من حصان رباه على الطاعة العمياء بمجرد الإشارة بالسوط في بعض الأحيان، ومن هنا عاد بجسده إلى الخلف، وتقدم دفعة واحدة إلى جسد الحصان الذي رفع إحدى قدميه في تلك اللحظة، ربما من أجل تفادي

وقع السياط، كما أحس، مما منح إبراهيم فرصة عظيمة أمام الناس لانتشار الخبر الذي شاهده ربع سكان الحكر بأم أعينهم حين وجدوا الحصان يقع على الأرض بمجرد أن ضربه إبراهيم بكتفه. ومن هنا انتشر الخبر الذي أصبح على مدار الأيام لقبًا ومصريًا للأمثال على القوة التي خص بها الله الكتف كما أصبح يُسمى، وبالرغم من أن ذلك اللقب صار يلزمه بأشياء في المأكل والمشرب والملبس، فإنه أحبه كثيرًا وصار يفتخر به على كل أقرانه، ومن هنا حين أرادت الحكومة أن تعين للعربجية رئيسًا بعد أن أصبحوا شبه نقابة، لم يجدوا خيرًا من الكتف كرئيس اتفق عليه الجميع وفاز بالتزكية.

5

أنا فلفل عبد العال مهران كما اعترفت لي أمي.

أم فلفل. تلك المومس التي لم تكن لتعترف لي أبدًا لولا ما فعلته بها.

أتعرفون ما فعلته بها؟

هل يتخيل أحد منكم ما يمكن أن يفعله فلفل؟

أنا الذي عُرِفتُ منذ طفولتي بأني ابن حرام. لم تكن لأقوال الناس أي فضل لمعرفتي تلك كما يظن بعضهم.

لم أكن على استعداد لتلقي كلامهم الخبيث عن أمي. أم فلفل. أنا الذي شاهد منذ طفولته الرجال وهم يتناوبون النوم والهياج عليها وأنا مركون في جانب ملفوف بقطعة قماش – في المكان نفسه الذي تنام فيه لهم – حتى تستطيع أن تضع إصبع الوسط في فمي حين أبكي من رفسة هائج أو همسة راكب جسدها.

لكن الفضل – كل الفضل – في معرفتي بأنني ابن حرام يعود إلى بشرة أبي عبد العال مهران الذي نام مع أمي في أحد الأفراح قبل أن تنال لقب أم فلفل.

كانت تعمل راقصة درجة رابعة، وفي أحد الأفراح، وبعد أن أعجبها أبي، وهو يرقص أمامها، وملك على الناس ألبابهم، ودق قلبها له. لحظتها نادت على حسن الطبال الذي يعشقها منذ ثلاث سنوات حتى النخاع وطلبت منه، وهي العليمة بأنها لو طلبت منه أن يرمي بنفسه إلى التهلكة ما فكر أبدًا قبل أن يكون في الجحيم، أن يقف ويتبع عبد العال في رقصته، يدق له الطبلة بمهارة فائقة مثلما يدقها لها، وتتمايل بجسدها على دقاتها التي تملك روحها.

جلست لتستريح على الكرسي وتنظر بأبها إعجاب إلى الشاب الأسود الذي راح يتحرك حركات لم تدشينها على مر العمر، ليرقص كل شباب حلوان وما حولها على طريقته التي اخترعها في بداية الثمانينات.

أبي الحقيقي، والذي شاهدته للمرة الأولى أمس في مستشفى النصر، وبالرغم من ذلك لم أحس نحوه بأي تعاطف كما كنت أظن؛ ربما ساعدت الأربطة التي غطته تمامًا في عدم تعاطفي، لا أعرف ربما.

انتهى أبي من الرقص ونزل من على المسرح ساحبًا قلب سميرة، أم فلفل الذي لم أكن أنا بعد هناك. اقترب حسن الطبال من عبد العال أبي بناء على (زقة) من أمي، وأعطاه زجاجة براندي. وأمسك به من لحظته ولم يرخه طيلة الليلة حتى أركبه معه العربة، وفي حجرة حسن ذاته بالعزبة البحرية نام عبد العال مهران أبي مع أم فلفل. أنا الذي تشكلت في تلك الليلة.

شيت ليلحق باسمي اسم رجل غلبان؛ وليس لعضوه أيه قيمة في تشكيلي.

أو يعرف أحد منكم حسن أبي في شهادة الميلاد؟

أيعرف أحد منكم معنى أن يخلقه الله، الذي هناك في السموات، مثل ملاك كاتبا، بعضو عاطل عن العمل؟

هذا هو (حسن أبو علي) الذي أقنع أبي عبد العال مهران بأن يدخل على سميرة، وهو يجلس على الباب ليحميهما، حتى لا يشك صاحب الحجرة والبيت فيهما، وبالرغم من أنه كان مشاركا فيَّ بكل شيء، بداية من طريقة تواجدي إلى اختيار اسم فلفل، فإنه صمم على عدم السماح لأحد بأن يطلق عليه أبو فلفل، كما صمم على مدار عمري كله على شرب البيرة والجلوس بجوار أم فلفل. أنا الذي نزل من بطن أمه معلقًا برقبته الشقاء والندامة، الندامة التي ظلت تلازمني والصغار ينادونني بها، ولا تنتهي معاركي معهم، لكن هيهات أن تكون تلك الفاجرة هي سبب كل معاركي مع أولئك الشبية. ألم أقل لكم إنني خلقت بشقاء معلق برقبته ويده؟ وهذا هو الأهم.

لقد علمني حسن، زوجها، السرقة منذ نعومة أظافري، رجل يكره أمي حتى الحب، ويستمر في الجلوس إلى جوارها حتى يأتي زبون، فيتركها، ويمضي، لكي لا يعكر مزاج ذلك الزبون الذي يريد الاختلاء بأم فلفل. ولهذا لم تكن عشتها ـ التي صنعتها في أرض ملك الإصلاح الزراعي بمنطقة نشأت في بداية حكم الرئيس بكفر العلو، سميت فيما بعد بحكر أبو دحروج ـ مكانًا دائمًا لإقامتها بعد أن هجرت الرقص بناء على نصيحة حسن

الطبال الذي عقد عليها قبل أن ينتقلوا إلى تلك العشة. فمنذ العاشرة صرت زبونًا دائمًا لكل الأقسام المنتشرة في عهد سيادته أيضًا من أجل أمثالي. وله الحق في ذلك ما دام الله خلق نوعية من عينة أم فلفل. أنا الذي أصبح على مدار الأيام حامي حماها ومعيد حقها المسلوب من بعض الذين ينامون عليها من دون أن يمنحوها هذا الحق.

لا تسألوني عن كل هذه العاهات والندبات المنتشرة فوق وجهي الأسود، ولكن اسألوني السؤال الأهم.

كيف عرفت أن الرجل الذي زرته بالأمس ووقفت أمامه ـ من دون أن يخرج من فمي أي كلمة أو تنزل من عيني أية دمعة، ومن قلبي أدنى إحساس بأي شيء ـ أبي؟

هل تخيل أحد منكم ما فعلته؟

سأختصر كل ما فكرتم فيه لأقول لكم.

دخلت عليها وهي نائمة مرتدية جلبابها الذي تقابل به بعض الزبائن الذين أصبحوا ندرة الآن بعد تقدم العمر. خلعتُ القميص والبنطلون ثم خلعت ملابسي. راحت تنظر إليّ غير مصدقة للذي يحدث أمامها، ومن أجل ذلك فركت عيونها لتتأكد من أن الواقف أمامها هو أنا: فلفل ابنها الذي أمسك بزجاجة قاهر الرجال وأفرغ بقية محتواها ثم قذفها.

جلست جوارها وأنا أمد يدي وأحاول أن افتح ما بين فخذيها بقوة، وهي تفتح عيونها دهشة ولا تقدر يداها أن تبعداني عنها. حاولت أن

تصرخ لولا أني أنا فلفل ابنها أمسكت بها، ووضعتها على الأرض سريعًا، وأمسكت برقبتها بين يدي ورحت أقول لها:

ـ لو سمعت ليكي صوت ها موّتك.

ـ أنا أمك يا فلفل.

ـ أنا عارف دي. لكن أنا عاوز حاجة تانية.

ـ إيه؟

برعب، وهي لا تقدر على التخلص من تحتي، أجابت وهي تفكر كيف ستقابل الله بعد ذلك.

الغريب أنها نامت لمئات الوجوه والأجساد ولم تفكر مرة أن تسأل نفسها ذلك السؤال: هل حرام ما تفعله؟ واليوم تخشى أن يضاجعها ابنها، وتفكر في الحلال والحرام؟

ـ عاوز أعرف مين أبويا؟

ـ عبد العال مهران.

أجابت بسرعة وبرعب أقل وهي ترمي بعيونها على عضوي الذي انكمش.

ـ ساكن فين؟

ـ ما اعرفش والله يا فلفل.

ـ يبقى انتِ بقى اللي غاوية تجربيني.

قلتها وأنا أمر بيدي على ملامح وجهها الذي صار يماثل ملامحي التي

تفجأني حين أنظر في المرآة.

ـ ورحمة أبويا ما أعرف بس إديني يومين وأنا هعرف ؟

ـ يومين بس والتالت مفيش فلفصة زي المرة دي. انتِ فاهماني طبعًا يا أم فلفل.

قلتها وأنا أرتدي الجلباب وتركتها والدموع تتساقط من عينيها. أمسكت بصندوق بيرة من جوار الدولاب وخرجت.

6

يتضمن هذا الفصل وصفًا لحكر "أبو دحروج" الذى خرج منه أبطال العمل. يشتمل على خصائصه السكانية والاقتصادية والنشاط لأهل الحكر ورؤية الإخباريين لأهم مشكلاته.

هذه الدراسة قام بها ثلاث جمعيات أهلية متخصصة فى ذلك المجال على المستوى الدولى.

أولا : وصف الحكر.

أ ـ الموقع:

يقع حكر أبو دحروج شرق النيل، وبالتحديد يبعد عن كوبرى المرازيق العلوى بمقدار كيلو و675 مترًا، على مسافة 6 كيلو من مدينة حلوان، وعلى بعد 2 كيلو من مدينة التبين، ويعتبر الحكر تابعًا إداريًا إلى حى حلوان، ويتبع حى التبين ماليًا وميدانيًا بحسب السجل المدنى.

ب ـ الخصائص السكانية:

يبلغ عدد سكان الحكر فى آخر دراسة ميدانية، بالاشتراك مع عاملين بسجل مدنى التبين التابع له الحكر فى 2002/7/15، 875.42 نسمة،

وكان عدد سكان الحكر، وفقًا لآخر إحصائية للمجالس القومية المتخصصة التابعة لمركز الإحصاء العام للسكان عام 96، 23987 نسمة، وترصد هذه البيانات الخصائص السكنية الآتية:

1 ـ بلغت نسبة الذكور 2.48 %، ونسبة الإناث 8. 51 % (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء 1996، ص123).

2 ـ يتوزع السكان (10 سنوات فأكثر) وفق الحالة التعليمية على النحو الآتي:

تبلغ نسبة أمية السكان (10 سنوات فأكثر) 95.8 % تقريبًا، وهي 92.93% بين الذكور، و98 % بين الإناث.

تبلغ نسبة القراءة والكتابة 2. 4 % (20 % ذكور، 8 % إناث)، وحصل 5 % على الشهادة الابتدائية، و11 % على أقل من المتوسط، و7 % على الشهادة المتوسطة، ونحو 1 % على الشهادة الجامعية، وما يعادلها، ومنهم خمسة أخوة لرجل من أبطال حرب أكتوبر، كما اتضح للمصدر، و1 % على شهادة فوق جامعية (أنثى واحدة في الحكر كله كما ذكر المصدر السابق).

3 ـ يتوزع السكان (15 سنة فأكثر)، ويبلغ عددهم 28940 نسمة وفق الحالة العملية: على النحو الآتي: 12 % منهم داخل قوة العمل، و29 % معاش مبكر، و22 % خارجها، ويمثل العاملون بأجر نقدي 37 %، وهم يعملون لحسابهم، وتصل نسبة المتعطلين 56 % (60 % سبق لهم العمل وخرجوا إلى المعاش المبكر).

4 _ يكشف توزيع السكان (15 سنة فأكثر) وفق أقسام النشاط الاقتصادي الرئيسية، عدم التحاق 73 % منهم بأي قسم من أقسام النشاط. (يبلغ عددهم 8765 نسمة، ثلاثة أرباعهم من الإناث).

ويكشف التوزيع عن اشتغال نحو 74 % من الملتحقين بالتجارة الحرة، وتضم المحال والأسواق والبيع والشراء 11 % بالصناعات التحويلية، ومعظمهم من الذكور، و3 % بإصلاح السيارات، و6 % في حرف يدوية مثل صنع الجريد والحصر وغير ذلك من أنشطة يعمل بها أعداد قليلة من السكان.

(الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء 96. ص 345)

5 _ يكشف توزيع السكان (15 سنة فأكثر) وفق المهن الرئيسية: عن وجود 3. 76 % غير ملتحقين بمهن. (المصدر السابق)

7

الآن، وبعد مضي أسبوعين من الألم الرهيب، تذكر عبد العال مهران الكارثة التى حلت به وقلبت حياته رأسًا على عقب كما كان يسمع من أصحاب الابتلاء، هؤلاء الذين يحبون أن تستمع لهم طوال عمرك. عمر عبده اقترب من الثمانى والأربعين. لا شك عندي أنه استمع كثيرًا إلى هؤلاء.

ـ اصبر شوية.

جملة محببة للناس؛ يرددونها كثيرًا، يقولها له كل زائريه. كثيرًا ما كان يلقيها على مسامع الأصدقاء الطيبين الذى كان يزورهم عبده ذاته، لكنه وهو يستمع إليها من عاطف الجحش الذي يرجع إليه الفضل فى رقوده بلا حركة، وبكثير من الألم، طوال الأسبوعين الماضيين، أحس بعدم جدواها.

أقول أنا الملاك الذى هناك إن جزءًا كبيرًا من الفضل، وليس كل الفضل، يعود إلى صاحب جملة "اصبر شوية".

ـ مقبرة الغزاة.

جملة مكتوبة بخط ردي، ظلت طوال الأيام الماضية لا يستطيع فك

رموزها أو مجرد السؤال عن حروفها المتشابكة بالرغم من كثرة زائريه ومصَبريه في الوقت نفسه. أخيرًا، وبعد أن عاد بصره اليوم حديدًا، وبعد أن تأكدت له الحروف راح يتلوها بصوت هامس.

مقبرة الغزاة.

كما سماها سائق بيجو كان يعمل على خط باب اللوق ـ حلوان في منتصف السبعينيات. وبالرغم من أن ذلك السائق ـ الذي لا نحتاج اسمًا له ـ لم يكن يقصد إطلاق ذلك الاسم على المستشفى الوليدة في تلك الفترة، فإن الجملة التي خرجت على لسانه لأربع عشرة أذنًا مصغية كانوا يشاركونه الطريق إلى حلوان كما شاركوه مأساته في فقدان ابنه ذي العشرة أعوام منذ تحرك من موقف باب اللوق. وقف أمام المستشفى التي كان يفصلها عنه طريق موازٍ لاتجاه عكسي، وبدموع اختزلها طيلة المسافة من باب اللوق إلى حيث يشير الآن، والتي تقترب من 25 كيلومترًا، وقال:

ـ دي بقى مقبرة الغزاة يا حضرات، لا يدخلها أحد ويخرج سليمًا أبدًا. ابني ـ قرة عيني ـ خرج منها على قبره.

وبالرغم من أن المقصود من جملته عكس ما صرح به تمامًا كالاتجاه الذي أشار منه وهو في الطريق إلى حلوان على باب المستشفى والاتجاه الذي تحتله المستشفى للخارج من حلوان، فمقبرة الغزاة اسم أطلقه بعض المؤرخين على مصر التي تصبح مقبرة لأي غاز وعدو، فإنه استطاع بصوته المليء بالحزن والحنين أن يغير تاريخ الاسم «مقبرة الغزاة»، فصار في ذهن كل قاطني

حلوان يطلق على مستشفى النصر، ولا يطلق على مصر التى أراد المؤرخون أن يؤكدوا على قهرها لغزاتها.

ترى وهو يشير بيديه وتغافله دمعة بماذا كان يفكر؟

هذا سؤال فلسفي نحن في غنى عنه الآن.

قال المهرج.

فالآن، وقد أعجبت السائق تلك الجملة التى خرجت منه مصحوبة بدمعة ورنة حزن صار يرددها على كل الأذان التى تشاركه المرور من أمام باب المستشفى فى غدوه ورواحه، ولأن الوجوه تختلف كل يوم، فقد انتشر الاسم بترديده، ليس من السائق فحسب، بل من كل الذين كانوا يشاركونه الأسى ومصمصة الشفاة وهم يستمعون إليه. مما لا شك فيه أن هناك عوامل كثيرة جعلت ذلك المستشفى يسمى بذاك الاسم. سأختصر كل هذه العوامل ولن أذكر فضل تعليقات بعض المرضى. هؤلاء الذين يحبون أن يتركوا بصماتهم على جدران المستشفى قبل أن يتركوا الحياة، والتى عادة تكون بخط رديء، وتهتم بإظهار الاسم والتاريخ فى أحسن صورة لخط المريض، وأقول إن السبب الذى جعل لجملة السائق البعيدة كل البعد عن مبغى من أطلق الجملة يومًا، والتى وجدت آذانا مصغية راحت تقتنع بها وترددها هو أن المبنى القديم الذى كان يحتل مكان المستشفى قبل تطويره كان عبارة عن مشرحة لضحايا المستشفيات القريبة من حلوان.

وهكذا اتحدت عوامل عدة، وبمجموعة من الصدف قل أن تجتمع، ليقرأ

عبده الاسم الذي لم يكن يختفي عنه بصفته من مواليد حلوان.

ـ منك لله يا عاطف الكلب.

هكذا همست شفتاه وهو يجز عليهما من الآلام المبرحة، ثم نظر أعلى السقف الذي تزينه أربعة كشافات مشتعلة وراح يفكر فيما حدث منذ دخل الفرح بصحبة صديقه. كان منذ بلغ العشرين عامًا قد أخذ بينه وبين نفسه قرارًا بعدم مشاركته في الأفراح. ولا يرجع السبب في ذلك إلى حادثة أو مشكلة حدثت له على وجه الخصوص كما يتذكر. لكنه الآن، وهو يراجع نفسه، تأكد له أنه كان يعرف مصيره منذ 28 عامًا، ومن أجل ذلك قاطع الأفراح بعد أن حضر فرحًا وهو بعد شاب صغير ورقص فيه ثم شرب براندي من يد شخص لا يتذكره، كما لا يتذكر ما حدث له في ذلك اليوم، وربما من أجل ذلك قاطع الأفراح عمومًا. لكن ما لا يعلمه عبده حتى الآن أنه حرم نفسه من شيء ربما أدخل السرور إلى قلبه، ولكن ذلك حديث آخر.

ـ امسك.

بتلك الكلمة بعد محاولات عدة للرقص منه تخللتها نظرات شغوفة من عيونه على الراقصة الأولى التي يرى لحمها مباشرة تحت بدلة رقص حقيقية، ومحاولات أكثر من فم عاطف (امسك) بكوب ملئ حتى منتصفه بنوع جديد من الخمرة اسمه "قاهر الرجال".

ـ قاهر إيه يا أبو عاطف؟

سأل عبد العال بسخرية وهو يمسك الكوب من يد عاطف التي كادت

تدلقه عليه من كثرة الرقص.

ـ الرجالة يا عبده.

أجاب عاطف وهو يهز رأسه بامتنان للظروف التى ساعدته على اللقاء بعبد العال فى ذلك اليوم، وعلى حين غرة كما يقولون.

ـ مش منهم برضه يا عم عبده؟

باغته رمضان سعد، الشهير بـ"رارا"، نسيب عاطف، بتلك الجملة:

ـ تحب تشوف؟

بذلك الرد أخرس رارا وأضحك عليه الحضور الذين نحن فى غنى عن وجودهم تمامًا كسائق البيجوه.

أسرها رارا فى نفسه، ولم يظهر غضبه من رد عبد العال مهران، جار أخته، وزوجها عاطف، لكنه كان قد صمم أن يضحك الحضور الكثيرى العدد عليه تمامًا كما ضحكوا منذ قليل على رده، ومن هنا راح ينتظر التفاتة الكثير على الراقصة بعد أن أفرغ محتوى الكوب دفعة واحدة ووضعه أمام رارا الذى كانت عيونه تطق بالشرر، وراح يملأ الكوب كلما فرغ من أمام عبده الذى صمم على قهره هو مع الاستمتاع للمرة الأولى بالراقصة. مضت اللحظات سعيدة وهو يرى مدى قهره لـ"رارا" الذى اشترى على حسابه، وعلى غير عادته، ثلاث زجاجات من قاهر الرجال ليقيس بهم قوة عبده الذى وقف بعد أن انتهى الفرح ومشى باتزان أمام الحاضرين، وأطفأ جذوة الأخذ بالثأر التى دفع فيها رارا ستين جنيها بالتمام والكمال.

ودع الأصدقاء الجدد بقبلات كثيرة، حتى رارا ذاته طبع ما يشبه القبلة على خده وتحرك مع صديقه الطيب عاطف من حكر أبو دحروج إلى حيث يسكنون في منشية جمال عبد الناصر، مختصرين الوقت ومارين بطريق الترب المظلم. وصلا إلى باب البيت وتركه عاطف بعد أن نظر في ساعته وقال إن الوقت تأخر كثيرًا.

استيقظت زوجته على حركته الغريبة ما بين المطبخ والصالة وصوت ارتطام أغطية الحلل وفتح الثلاجة. وضعت أمامه الطعام وهي تنظر إليه في شرود، وعلى محياها يرتسم سؤال لم تصرح به. أمسكت ريموت التليفزيون وشغلته له، ثم دخلت إلى المطبخ مرة أخرى وصنعت له كوبًا من الشاي وعادت لتضعه أمامه كما طلب، لكنه لم يكن هناك. كان باب الشقة مفتوحًا على مصراعيه. راحت تبحث عنه في الحجرتين، ثم نظرت من البلكونة في ذلك الوقت المتأخر فلم تر شيئًا. أغلقت الباب واستمرت تنتظر لمدة لا تقل عن عشر دقائق قبل أن تستمع إلى أصوات جيرانها في البيت، والذين صحوا على غير العادة. فتحت الباب في توجس وانتظرت كغيرها من السكان معرفة مصدر الصوت الذي يئن في مكان ما. كان عبد العال مهران الشهير بعبده، والذي شرب ما يقرب من لتر ونصف من الخمرة المصنوعة في عرب راشد. والتي تزين زجاجها غريبة الشكل صورة لرجل يشبه إلى حد بعيد شمشون الجبار من مخيلة رسام فاشل قد جلس يأكل بنهم الفرخة التي صمم على أن تحمرها الزوجة التي دخلت تصنع له الشاي وتركته أمام التليفزيون.

وبلفتة مفاجئة انتبه إلى صورة التلفزيون المهتزة، فرر في تلك اللحظة إصلاح ما أفسده الهواء الذي اشتد في تلك السويعات المتأخرة من ليل ديسمبر. لم ينتظر حتى يكمل بقية طعامه، ودعاه قدره الغاشم - كما اتضح لاحقًا - إلى الطلوع إلى السطح وإصلاح الإريال.

ارتقى سطح البيت ووقف. كانت مجموعة الأرايل من الكثرة بحيث اختلط عليه الأمر.

أيهم، فهم كثرا

بذلك البيت من قصيدة أبي فراس الحمداني راح يتبع لسلك الساقط من الأرايل السبعة. عند المسقط المفتوح عليه شبابيك للتهوية كان يدندن بصوت عذب فاجأه هو شخصيًا.

معللتي بالوصل والموت دونه • • • إذ مت ظمآنًا فلا نزل القطر

الآن لا يعرف إن كان قد استمع إليه وهو يقول فلا نزل القطر أم كان يستمع إلى صوت جسده وهو يتخبط في ذلك المنور، ليستقر بعناية الله وفضله في الدور الثاني.

8

المحروس من العين السيد الشحات. هكذا صمم السيد الشحات أن يسمي ابنه. بعد أربعة أبناء وبنتين، غير سقط لم يتم التعرف على نوعه، جاء المحروس، كما قالت الجدة التي كانت تعرف اليمين الأخير الذي أطلقه المعلم السيد الشحات العريجي، ومن أجل ذلك أمسكت بابنتها فردوس وذهبت بها إلى مولاها أبو الطرابيش بمنشية جمال عبد الناصر في العاشرة من صباح الجمعة، وانتظرت معها حتى ارتفع آذان ظهر الجمعة وتركتها تدخل مع أطفال حديثي المولد في مقام المحروس محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عرب شاه الشهير بأبي الطرابيش، وتستمر في إسكاتهم حتى يسلم الإمام ويختم صلاته. يومها نذرت أن يكون اسم المولود المحروس على اسم مولاها الشهير بأبي الطرابيش.

"من العين" كانت إضافة الأب التي استمرت تؤرق حياته حتى يومنا هذا.

قال بطرس أفندي عبد الرسول، كاتب الصحة، وهو يفرج عن ابتسامة خبيثة:

ـ ياعم مفيش حاجة اسمها من العين دي. خلصني الله يسترك وراك طابور.

ـ يعني إيه مفيش يا أفندي أنت؟ أنا حر، أسمي ابني زي ما أنا عاوز، إن شا لله أسميه كارتر ولا ريحان حتى.

ـ اسمه ريحان يا جاهل؟ وبعدين فيه كارتر لو عاوز. أنا كتبت بايدي دي..

ورفعها في الهواء، وهو يكمل:

ـ أربع عيال اسمهم كارتر.

ـ لا والله؟ فكيه الأخ! اكتب وخلصنا بدل ما أروح أعمل تلغراف لوزير الصحة أقوله فيه إنك رافض تكتب لي ابني في المواليد.

ـ روح يا عم اشتكي في رئاسة الجمهورية مش الصحة بس.

ـ خليكم شاهدين أهو، على الأفندي مش عاجبه وزير الصحة ولا رئيس الجمهورية الجديد.

قال المعلم السيد الشحات أبو اليزيد العربجي وهو يمر بيده على بعض أجساد الواقفين في الطابور.

ـ لو سمحت علشان اللي بعدك.

قال بطرس وهو يزيحه من أمامه بقرف.

ـ سلام عليكم.

قالها السيد الشحات وهو يرفع يده عاليًا وذهب إلى السنترال وكتب

تلغرافًا لوزير الصحة بناءً على نصيحة عبد العظيم محمود الشيخ، كاتب المحكمة الذي يسكن جواره. لم يمض أكثر من سبعة أيام كما حدد له عبد العظيم الذي أمسك بيديه في صباح اليوم الثاني الذي رفض فيه بطرس أفندي كاتب الصحة كتابة المحروس ودخل به إلى السنترال مرة أخرى، ليكتب ستة تلغرافات صورة طبق الأصل من التلغراف الأول المكتوب للسيد رئيس الجمهورية الطازة، والذي أعلن في خطبته العصماء أنه لن يحكم هذه البلدة الكئيبة أكثر من دورتين، إلا ووقف بطرس عبد الرسول نعيم، موظف الصحة ذاته، أمام عشته التي يحوط عليها في أرض ملك الدولة بحكر أبو دحروج، وفي يده شهادة ميلاد المحروس من العين السيد الشحات أبو المعاطي، وهو يطلب منه أن يسامحه ويعفو عن خطئه في حقه.

نشأ المحروس في ظل رعاية تخاف عليه من الهواء الطائر حتى أنه كان كثيرًا ما يحلم باللعب مع أقرانه في حكر أبو دحروج أو مع أولاد عمه إبراهيم الشحات الشهير بأبي ليلى، قبل أن يشتهر بالكتف. في الأوقات القليلة التي كانت تسمح فردوس، أمه، له باللعب تحت نظرها كان يتفنن في صنع (قمشة) كرباج عبارة عن عصا طويلة مربوط بها من نهايتها أسلاك، ويروح يضرب الكراسي والكنب قائلا بصوت رفيع وقاس:

- حاه يا حصان.

كان يقولها بشوق عارم للإمساك بالكرباج الأصلي الذي يمسكه الأب ذاته ويتركه خلف الباب بمجرد دخوله قبل أن يجري إليه المحروس، ويمسك به وكأنه أمسك بحلمه الأزلي.

مرت سنوات عشرة وهو محبوس في البيت من دون أن يصنع شيئًا غير الأكل والتبول والتبرز ولحظات قليلة يمسك فيها بالكرباج الذي أصبح يفتن في صناعته كما أصبح يجيد العزف به على الكنب والكراسي تمامًا. أخيرًا، وبعد الاطمئنان عليه أطلقه أبوه ليتدرب على عربة عمه الكارو الصغيرة قبل أن يقرر وهو في سن السادسة عشر أن يدشن عربته الجديدة، والتي كتب على حوافها بخط "رقعة" جميل المعلم جمال "بلف"، خطاط العربات الكارو بعرب كفر العلو، بعد أن زينها باللون الأحمر والأخضر الزرعي، ورسم علم جمهورية مصر العربية مرتين على الجانب الخلفي للعربة من الأطراف، وبينهما كتب بلون أزرق "ملاكي المحروس من العين رقم 13/10/1981 القاهرة".

ومن ذلك الرقم نعلم أن المحروس من العين قد جاء إلى الدنيا وحيدًا لأب كان قد أقسم على الزواج بأخرى لو أتت له زوجته فردوس بطفل آخر يحمله بين يديه لمرة وحيدة وهو في الطريق إلى المدافن في يوم تنصيب السيد رئيس الجمهورية الجديد دائمًا. وشهدت الخطتان الطموحتان، الأولى والثانية، طفولة المحروس الذي رفض أبوه أن يدخله المدارس ووهبه للمعلمة. وفي منتصف الخطة الثالثة كان المحروس قد بدأ تدريبه على عربة كارو صغيرة بحمار يشبه حمار سنشو بنشا، حامل سلاح النبيل دون كيخوته دلامنشا، وعندما بدأت الخطة الرابعة دشن المعلم السيد الشحات، وبجواره أخوه الأكبر إبراهيم الشحات، الشهير بإبراهيم الكحف، وفي

وجود كوكبة من العريجية وزوجاتهم وأبنائهم الذين كانوا كالمحروس يتفننون في صنع (القمشة).

نزلت العربة يجلس فوق حصانها ـ الجر ذي الذيل الأحمر من دم الخروف الذي ذبح تحتها قبل أن تتحرك خطوة واحدة ـ المحروس وهو يمسك بابنة عمه ليلى، والتي وُهبت له كعروس طاهرة سيدخل عليها بعد ذلك في نهاية الولاية الرابعة للرئيس الذي لم يعد يتذكر أرقام الخطط التي وضعها من فرط تداولها وصار يطمع فقط أن يكلل الله مجهوده بأن ينال الولاية السادسة ليصبح سادس الخلفاء الراشدين بعد أن أقنعه أحد معاونيه بأن عمر بن عبد العزيز قد ضحك عليه ولهف منه الولاية الخامسة للخلفاء الراشدين. كانت العروس ليلى قد قدمت هدية لزوجها المستقبلي وابن عمها قبل أن تركب أمامه على الحصان، هذه الهدية عبارة عن كرباج سوداني مشغول اليد ومكتوب عليه بلون مخالف للون الشغل..

(ولي فيها مآرب أخرى)

وتحتها بخط آخر ووسط قلب يتخلله سهم:

(ليلى والمحروس إلى الأبد)

يؤرخ بعض قاطني حكر أبو دحروج بأن ذلك اليوم الذي تمّ فيه تدشين عربة المحروس من العين هو اليوم الأول، أو على وجه الدقة، هو المساء الأول الذي ظهر فيه البانجو بالحكر بتلك الطريقة. وللحق، حتى لا يشكك أحد في حكم هؤلاء المؤرخين ويقول إن البانجو قد ظهر قبل ذلك

بأعوام، وهو صادق لا شك لو كان المؤرخون قد اكتفوا بظهور البانجو فقط، ولكنهم كانوا واضحين أشد الوضوح حين أضافوا جملة بتلك الطريقة. فهم يؤرخون لطريقة وضع البانجو في أطباق ملامين فوق أكثر من ثلاثين عربة من عربات الكارو لأي شَرِّيب جاء يجامل المحروس في حضور مطرب حلوان الشهير المرحوم رمضان البرنس الذي فقدته مصر إثر تعرضه لحادثة بعد أن أحيا أحد الأفراح في محافظة الشرقية بعد أن تناول شجرة بانجو كاملة لوحده كما يُشاع، وكان المعلم إبراهيم الكتف قد أتى بشوال منه للاحتفال بطهور ابن أخيه المحروس الذي لم يختن إلا في ذلك اليوم على مسمع ومرأى من نسوان العربجية العجائز أهله وعشيرته، وذلك بعد أن لهف ما يقرب من شجرتين كاملتين من غير البذر. كان المحروس لا يستطيع الحركة من أثر يد عمه الكتف فقط، كما لا يستطيع الكلام والصراخ من أثر البانجو الذي أصبح كالشلجم في فمه، ومن هنا ظهر اسم الشهرة الذي صار يلقب به بعد ذلك. كان الألم الذي يشبه وضع سيخ محمي فوق منطقة حساسة، مثل تلك المنطقة، هو ما جعله يرد على عمه إبراهيم الذي راح يسأله بعد أن أتم عوض الحلاق مأموريته العجيبة. كما أصبح يطلق عليها، وهو يحلق لزبائن أبو دومة، وربما يرجع الفضل إليه في انتشار لقب المعلم المحروس من العين، والذي كان في غنى عن أي لقب بعد أن عهد إليه الأب المعلم السيد الشحات بلقب هو أشد إحكامًا من لقبه الجديد.

ـ إيه يا معلم محروس؟ حاسس بإيه يا جوز بنتي؟

سأل المعلم الكتف.

ولما كانت الدماء تسيل ما بين أفخاذه ساخنة ما زالت وهو يفرشخ قدميه على العربة الجديدة أمام البيت بعد أن وضع عليها مرتبة كنبة ومخدة تحت رأسه، وهو يمسك بيد مرتعشة بجوان من البانجو الخالص ويأخذ نفسه، ويحاول كتمه كنصيحة من أم العروس التي أطمأنت كثيرًا وتأكدت أنه يشبه عمه وكادت تخذر ابنتها التي لم تكن موجودة نظرًا لتكاثر الرجال والنساء العجائز اللائي لم يعد لديهن شيء يخفن عليه وصرن يتحللن من ارتداء أي شيء يحمل نجاسة، ولكنها أجلت ذلك الكلام حتى يحين موعده إن شاء الله. أراد المحروس أن يرد عليه ويقول له إن سيخًا محميًا يسكن الآن في أعلى شيئه. ولكن البانجو الذي قد أتى ثماره على فمه جعل الكلمات تخرج ناقصة ولا يُفهم منه شيء ذو بال، مما جعل الكتف ـ أبا ليلى ـ يقول له باستنفاذ صبر نتيجة التهتهة التي أحدثها المحروس:

ـ بيقول إيه يا معلم؟

أشار إلى الحديد الذي يظهر من صبة الدور الأول. وحرك يديه في الهواء، ثم حركها على خصره ليوضح ما يريد أن يقوله.

ـ بيشاور على الصبة يا جدعان.

قال أحد المهنئين، والذي كان قد لف سيجارة جديدة من البانجو الخالص وأشعلها ثم دفسها في حنك المحروس كتحية طائرة من أحد أقربائه، أخذ

نفسًا من السيجارة ثم قال، والسيجارة ما زالت فى فمه:

ـ الحديد اللى فى المشلح اللى هناك ده.

ـ المحروس بيشاور على المشلح وهو مشلح يا رجالة.

قالها الكتف وهو يكاد يغمى عليه من الضحك، ثم صارت لقب المحروس الذى لم يعد من العين، بل صار المحروس المشلح رغم أنه حتى الآن يجدد العربة المرسوم على زاويتها الخلفية علمان لمصر يقف بينهما "ملاكى المحروس من العين رقم 13/10/1981 القاهرة".

9

اسمها إحسان الطالع علي عبود. ألا يستدعي ذلك حضوري أنا سعد الله عامر الطالع علي عبود، كاتبكم المفضل؟ إني الأول الذي يحق له من الناحية القانونية أن يتحدث عن إحسان الطالع عبود. وهناك نقاط كثيرة في فصل الناحية القانونية. وسوف أوجز ذلك الفصل بسرعة، وبفضل صديقي محمود الضبع الذي يمكن له استعمال صفة الكاتب بجوار صفته القضائية، كما يحق للدكتور عبد الحميد عبد العليم أن يقوم بذلك الدور أيضًا. وذلك ليس كرمًا مني كما يظن أحد منكم بعد أن منحني الأستاذ محمود خبرته.

هذا فقط حقه.

النقطة الأولى لا بد قد فهمتموها من اسمي واسم عمتي الوحيدة، والتي تبلغ من العمر الآن 63 عامًا، سوف أتجاوزها جميعًا ببعض ملاحظات من نوعية ولدت وترعرعت في كفر هلال مركز بركة السبع مديرية الغربية. ألا يستدعي ذلك العنوان لديكم سؤالا؟

ـ نعم، محمد فرج الشهير بشمش، بلديات سعد الله الطلع عبود.

أنا الكاتب الذي أمسك بلدياتها في بداية ذلك العمل ولم يرخه من يده حتى بعد أن نزلت دموعه أمام المهرج والصديقين عبد الحميد عبد العليم ومحمود الضبع والملاك الذي هناك.

أي قسوة يملكها هؤلاء المصريون على بعضهم البعض!

ألا يوجد فيلسوف واحد يقول لنا كيف وصلنا إلى هذا الفساد في الأخلاق فقط؟

الكتّاب أنواع يا ناس.

لا بد من وجود كاتب في كل شيء حتى نعرف كيف وصل السوس إلى قلوبنا.

حتى أنني حين أمسكت بقطعة الحشيش تسقط من جيب صغير في المحفظة التي ظل مشمش يتجنب البحث فيه لحظات حتى نسي نفسه تمامًا، وأخرج كل الأوراق الكثيرة والكروت ووضعها على سطح المكتب، وأنا ومحمود نقف بجوار الشباك نتكلم بهدوء، وعيوننا على ما يفعله هذا المجنون الذي رفع المحفظة في الهواء، وراح يهزها وهو يكاد يفقد عقله من ضياع هذا المستند الخطير الذي سأله عنه محمود، ليتأكد من كلامه، والذي لا يعنيني تذكره الآن تمامًا. كما كان لا يعنيني لحظتها سماع المدعو مشمش والطاسة خربانة، بعد فشلنا في العثور على محسن أبو حربية تاجر الحشيش الذي أغلق محموله مدة نصف ساعة جلستها في مكتب صديقي محمود استمعت فيها إلى قصة المدعو مشمش الذي دخلت وهو يبدأ في سردها. الغريب في الأمر أننا عرفنا بعد ذلك بخمسة أيام، وعن طريق الصدفة المحضة، بعد أن جنبنا ابن بلدي

مشمش السؤال عن محسن أبو حربية، أنه قد تم القبض عليه، وأنه حين كنا نقسم بالله على مقاطعته والبحث عن بديل يمولنا بالصنف الذي لا نستطيع الاستغناء عنه كان هو يقف أمام وكيل النيابة يرد على تساؤلاته. بعد أن تركنا المدعو مشمش يبحث في الأوراق، واقترب مني محمود وهو يسأل عن محاولاتي المضنية مع المحمول للبحث عن ابن المعفن محسن الذي كان يقف أمام وكيل نيابة قسم الخليفة يرد على نفس السؤال: من أين أتى بالحشيش؟

ما إن لمحت قطعة الحشيش تتساقط من محفظة مشمش على زجاج المكتب حتى لمعت الفكرة في رأسي وتحركت سريعًا وقلت له وأنا أمسك بها في الهواء تمامًا كما يفعل وكيل نيابة شاب يبلغ من العمر 32 في نفس اللحظة، ولا يبعد كثيرًا عن مكتب الصديق محمود مع اختلاف بسيط يمكن حذفه، ألا وهو الكمية الممسك بها كل منا:

ـ دي إيه بقى؟ تسمح تفهمني كده بالراحة!

لا يعنيني ما حدث مع محسن أو وكيل النيابة الذي أصبح منذ الآن في خبر كان بالنسبة لي، ولن يعود إلى الرواية مرة أخرى.

انظروا إلى الكاتب الذي يحدثكم. إنه سايكوباتي على ما أظن. تمامًا كحاكمنا.

ما الذي يغري فينا هؤلاء الناس؟

الساعة آتية لا ريب.

ـ نجزم مع رجال الدين ونبصم على ذلك.

لكنه خوفنا يا عم المهرج. خوفنا الذى اتضح لى أنا الكاتب حين لمحت وجه مشمش.

كان يرتعش.

أليس لخوفنا هذا نهاية؟ همس الملاك.

ليعلم الخائفون على أولادهم وأعمارهم أن مليكي يخاف أكثر بكثير من خوفهم لأنه يمتلك بجوار ذلك ما لا أذن سمعت، ولا قلب رأى، ولا خطر على بال عبد.

ومن أجل ذلك جعل الرئيس الأمن شعارًا له، بداية بالأمن القومي، والأمن الغذائي، والأمن العلمي، والأمن المركزي، وأمن السواحل، والأمن العام، وأمن المطار المكتوب عليه:

ادخلوها بسلام آمنين.

ـ بص كده يا عم محمود. أنت كنت خايف ومرعوب ومشمش بيقول كلمتين لا يودوا ولا يجيبوا. أنا وراىا رواية بعتبرها كتابة بجد، وعمر عاوز أمتع بيه بعيدًا عن وادى النطرون، وبنت أشوف مستقبلها، وزوجة، وأخوات، وأشياء كثيرة جدًا.

ـ عنده حق فعلا، أنا مش موافق على الكلام ده، ولا بد من حذفه من مضبطة الجلسة.

قال محمود وهو ينظر إلى عبد الحميد عبد العليم الذى هز رأسه بسرعة دليلا على موافقته غير المشروطة ولو بزيادة حرف.

ـ يظهر المهرج عاوز يحبـك ويستولى على الرواية لحسابه يا عم سعد.

قال مشمش، وهو ينظر إلى سعد الطالع الذى كان يستغيث بالملاك الذى هناك.

ـ لا يا عم. هو أنا هاحضّر عفاريت ومش هعرف أصرفها! مش أنا اللى يتعمل فيه كده.

أنا يا عم مستغنى خالص عن إنى أكمل اللى حصل بينى وبين مشمش فى أول لقاء اللى بديت بيه الرواية المحروقة اللى هتسبب فى موتى دي، أحسن حاجة أرجع لإحسان الطالع عبود.

عمتى لزم.

أخت أبويا.

شقيقته.

وأحسن واحد يحكيلكم عنها هو العبد لله. بقول لكم إيه، صلوا على النبى. عمتى دى اتولدت فى كفر هلال سنة 40، أبوها كان شيخ البلد.

ـ بص يا عم الملاك، بدل ما أنت قاعد هناك قول للجدع الكاتب ده يبطل فتح علب علشان الناس بقت روحهم فى مناخيرهم.

قال المهرج وهو يشعل سيجارة.

ـ والله العظيم دى لا فنجرة بُق ولا فتح علب. وفى الآخر اللى عاوز يصدق يصدق، واللى مش عاوز يروح يعمل لها فيش وتشبيه. ويجى بقى يكدبنى.

بس الأول يورينى شطارته مع سيادة اللواء المخبر إبراهيم عيسى موسى

اللي عنده استعداد يسحبه من قفاه على بيت نعتمد.

ــ مين بيت نعتمد ده يا سعد؟

سأل الملاك الذي هناك.

ــ بيت نعتمد ده حجرة التعذيب اللي عاملينها في مبنى أمن الدولة في حلوان. والسؤال ده بالذات نفس السؤال اللي قاله حمدي للسيد.

ــ ومين حمدي؟ ومين السيد ده يا عم سعد؟

سأل المهرج.

حمدي إبراهيم ده عامل في مصنع أسمنت بورتلاند حلوان سابقًا. "أسك" حاليًا بعد خصخصتها. قابل بلدياته ونسيبه سيد محمود السيد العامل في نفس المصنع بعد عودة الاثنين من إجازتهم السنوية فأخذه بالأحضان وسأله وهو يطمئن عليه قائلا:

ــ عملت إيه في العشر تيام يا عم؟ ما حدش شافك في البلد حتى!

ــ كنت في بيت "نعتمد".

رد سيد بأسى حقيقي وهو يطلع من بين أحضان حمدي. لكن حمدي الذي فكر خطأً أن (نعتمد) امرأة سيئة السمعة ضحك وهو يمد يده ليخبط بها صديقه النمس حسبما كان سيقول له لو حاسبه الله على نيته، لكن سيد استقبل الخبطة الهينة من يد صديقه الذي كان يضحك في وجهه وهو يوجهها إليه قائلا:

ــ آه، بالراحة يا حمدي؛ جسمي ملصم.

ـ جرى إيه يا عسل؟ هي (نعتمد) دى بتعمل إيه بالظبط؟

قال حمدي وهو يشك للمرة الثانية في أخلاقيات (نعتمد) ويسأل عن عملها بالضبط.

ـ (نعتمد) دى أوضة الحبس في أمن الدولة جنب قسم حلوان يا حمدى.

قالها في انكسار ظاهر لحمدي الذي تغيرت ملامح وجهه، وهو يسأله في خوف، وهو يجلسه بهدوء على الكرسي.

ـ خير، إيه اللي حصلك!

ـ أبدًا. سكن عندى حتة مخبر في أمن الدولة من شهرين اسمه إبراهيم موسى عيسى زى ما أنا كنت قلتلك.

ـ آه، وبعدين؟

ـ ليه وليه بقوله النهارده كذا منه، والإيجار اتأخر. عاديك على اللي حصل.

ـ إيه يعني مخبر؟ ما يكونش لوا بروح أمه!

قالها حمدي وهو يظهر استعداده للذهاب مع ابن بلدته نمرة واحد، وجوز ابنة عمه نمرة اتنين، إلى البيت في تلك اللحظة والأخذ بثأره إذا لزم الأمر.

ـ ما هى العنجهية اللي في عيلتكم دى هي اللي ودتني في داهية.

قالها سيد وهو غاضب ويرفع يديه في الهواء مشوحًا بها قبل أن يعيدها

إلى جانبه بذفرة ألم ظهرت على ملامحه التي كانت غاضبة فقط، فأصبحت متألمة وغاضبة أيضًا.

أمسكه حمدي بهدوء ودعاه إلى عدم العصبية ما دامت يده لا تستطيع الحركة في الهواء، بنفس طاقتها في الوقت الحاضر متمنيًا لها دوام التواجد فقط في هذا الزمن الأغبر من أجل الأفواه الستة المربوطة برقبته والمفتوحة كما صرح له وهو يجلسه على الكرسي ويقول له بروية وحب وخوف.

ـ إيه اللي حصل؟

ـ أبدًا يا عم، بنت عمك ـ الله يكرم أصلها ـ قالت لي النهاردة 12 منه، والساكن الجديد ما دفعش الأجرة.

ـ ما غلطتش.

قاطعه حمدي وهو يهز يده مدافعًا عن صلة الدم.

ـ ماهو ده بالظبط اللي انتوا شاطرين فيه يا حمدي.

رد سيد بعصبية ونظرة سخرية متجنبًا ـ قدر الإمكان ـ الحركة.

ـ جرى لك إيه يا سيد؟ انت ها تغلط ولا إيه؟ ما تشوف بتكلم مين، أنت نسيت أصلك؟

يمكن لي الآن أن أعلق وأقول انظروا إلى ما حدث لنا بروية وتمعن. إننا يا أصدقاء لا نتشطر إلا على أنفسنا دائمًا.

يظهر سيدنا المهرج غاوي يحبسنا والسلام. بس مش دي في الحقيقة اللي همّاني دلوقتي لأني لغاية دلوقتي على البر وبكتب. يعني شاطر، زي ما

المهرج و(الفيلسوف) اللي دخل غصب عني في الرواية ما عاوزين يقولوا. لكن اللي هامني إني كل ما أبدأ حكاية ما كملهاش، وده في الحقيقة حاجة مزعجة لي في الأساس.

بصوا على النص كده ها تلقوه بدأ بعمتي. شوية ودخل لحظة إمساك الحشيش والتمثيلية اللي عملها سعد الطالع وهو مش قصده أولا يعملها في بلدياته زي ماانتوا عارفين. لكن مرة واحدة كده لبسني واحد فيلسوف وراح ينظّر للحالة التي وصل اليها الشعب المصري؟

يجب أن نعترف جميعًا بأنه لم يعد هناك ما يسمى بذلك الاسم.

ومع ذلك يستطيع كتاب الدولة والمتحدثون باسم الريس والحزن الواطي عمال على بطال. مثلا التحدث عن العولمة والقرية الواسعة مع الاحتفاظ بالهوية المصريةُ لمدة ساعات أحسن مني بكثير برسامتهم التي أصبحت سمة مميزة لتليفزيون الريادة، هو حر في بلد الأمن (المركزي) والأمان.

هل تتذكرون الأمان؟

أقصده التبس حتى لا أذهب وراء الشمس.

إننا نتكلم لغة واحدة، ومع ذلك، ويا للدهشة، تبحث عن بعضنا البعض ليصب كل منا على الآخر! لم يعد هناك أمل في شيء.

توكلوا على الله وهاتوا أي حد بتفصلوا له قوانين على مقاسه.

أهوه على الأقل ها يكون أحسن من (الوحش) لما درب المنتخب.

10

كان عبد العال مهران قد أكمل عامه الثامن والأربعين في شهر يوليو الماضي. هو إذن من برج السرطان. لن نتوقف كثيرًا عند تلك الملحوظة: فقط أشير إلى وجود وجهتي نظر في الأبراج. كل وجهة نظر تنفي الأخري، سواء على المستوى الإنساني أو المستوى الديني. فمثلا لو سألت شخصًا عن برجه ممكن أن يقول لك، وهو كله ثقة:

ـ كذب المنجمون ولو صدقوا.

لو تركته يذهب إلى حال سبيله، وأمسكت بآخر، لقال لك بكل فخر:

ـ برجي الدلو.

على المستوى الديني هناك حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طيرة ولا تطير. وهناك أيضًا حديث قدسي معناه يقول إنه لو اقتنع الإنسان بحجر لنفعه.

إلا أني لن أترك عبد العال مهران من أجل الكلام في الأبراج، وبسرعة أذكركم بأن المدعو عبد العال قد شرب لترًا ونصف لتر من خمرة صنعت بواسطة يد العبقري سلامة النمس. بعد أن تذوقها للمرة الأولى قبل أن

يتذوقها عبد العال مهران بسنة وشهرين على الأقل في بدروم مخصص كمعمل لضرب كل أنواع الخمور ذات العلامات التجارية المميزة في حكر أبو دحروج أطلق عليها النمس ذاته بعد أسبوع من اختراعه لقب قاهر الرجال في لحظة مفارقة، ثم راح المعلم موسى الذوق، صاحب المعمل بحكر أبو دحروج، يبحث عن فنان حقيقي ليرسم له علامة تجارية ليكون (بادج) لقاهرالرجال الذي ما إن تذوق منه كأسًا حتى قام وأخذ النمس في حضنه وراح يربت عليه قائلا:

ـ تسلم إيدك يا نمس؛ ده فعلا حاجة إكسترا.

أخيرًا وجد بغيته في رسام يجلس أمام مبنى الاتحاد الاشتراكي بميدان حلوان وبجواره صور كثيرة للملوك ورؤساء، وفنانين ولاعبي كرة خرجوا من ذات البلد الذي يقف في ميدانها العريق وقام برسمهم لا شك كما يظن أي مشاهد عادي للموقف. اقترب منه وقال:

ـ أنت اللي راسم صورة الريس دي؟

وأشار إلى صورة الرئيس الحالي التي تقف على رأس كل الصور الأخرى في برواز كبير عليه فرع من الورد الأحمر تجعل ضابط البلدية لا يستطيع الاقتراب منه بالرغم من أن ذات الدبابير تأمر مخبريه أن يمسكوا بالماشي جواره فقط، وليس الفنان ذاته الذي يأخذ جزءًا كبيرًا من الطريق العام يرشه ويضع فيه كراسي للزبائن. والفضل بالتأكيد يعود إلى صورة ذلك الرئيس، ولا يعود لكون الفنان من مصابي حرب أكتوبر كما يتضح ذلك من

خلال برواز صورة الريس ذاتها الذي يتدلى من أسفلها ميدلية نجمة سيناء من الدرجة الثالثة، كما يقول هو لكل الوجوه التي يرسمها.

ـ أيوه يا معلم. أيتها خدمة؟

ـ حلوة، بس فيها حاجة مش مظبوطة؟

ـ آه. إيه الغلط بالظبط؟

رد الفنان بسرعة وهو ينظر شذرًا إلى المعلم الذوق الذي يجهله.

سكت المعلم وهو يبحث بعيونه في صورة الرئيس عن الشيء الناقص أو الزائد، لا يعرف. ولما يئس الفنان من خروج أي كلمة من الرجل الذي راح يغمض عينًا ويفتح الأخرى ثم يرجع خطوتين وينظر إليها ثم يعود وينظر من جديد من دون أن يستطيع معرفة سبب سؤاله، قال:

ـ عينك.

قالها الفنان وهو يعطيه ظهره، ويبتسم.

ـ أنت بتقول إيه يا حمار؟

صرخ بها الذوق وهو يخرج محموله من جيب جلبابه الكشمير.

التفت الفنان وهو يلف بجسده إليه على أمل الأخذ بالثأر من ذلك الجاهل كما أخذه ذات يوم بعيد من إسرائيلي حقير لكنه ما إن لمح المعلم يطلب رقمًا في التليفون حتى سكت ولم تخرج منه أي حركة أو نَفَس في انتظار ما تسفر عنه المكالمة.

ـ أيوه يا محمود باشا، أنا موسى الذوق.

ـ ....

ـ أهلا بيك.

ـ ....

ـ أيوه.

ـ ....

ـ مش وقته، المهم مين معاك في القسم؟

ـ طب تعال ومعاك الظباط وأمناء الشرطة قدام الاتحاد الاشتركي بسرعة.

ـ ....

ـ آه، عمارة الاتحاد الاشتركي.

ـ ....

ـ سلام.

وضع المحمول في جيبه ثم مد يده وأمسك بكرسي وجلس عليه والفنان لا يعلم ما الذي سوف يحدث له، وإن كانت صورة السيد الرئيس الذي دافع عنها منذ نيف وخمسين ثانية سوف تدفع عنه البلوة التي جاءته من حيث لم ينتظر في ذلك الصباح الأغبر.

ـ فيه إيه يا باشا!

ـ هاتعرف دلوقت يا روح أمك.

قالها المعلم الذوق وهو يخرج علبة سجائره المارلبورو والولاعة الذهبية، وهو يشعلها بهدوء وينظر إلى الفنان نظرة احتقار.

ـ أنا غلطت مع حضرتك في حاجة سعادتك؟

ـ في عينيا يا روح أمك.

ـ سلامة عينك ياباشا، غلطت فيها إزاي؟

ـ منتاش عارف يا ابن الكلب!

ـ وليه الغلط يا باشا في عضم التُرب.

ـ غلطتهم إنهم جابوا واحد زيك ما يعرفش يكلم أسياده.

اقترب المعلم محمد، صاحب محل ملابس الأرنب الشهير بحلوان، وهو عضى في طريقه حين لمح المعلم الذوق وهو يهلل ويكبر بمجرد أن شاهده:

ـ وأنا راخر بقول الميدان منور ليه؟

وقف الذوق عن كرسيه واستقبله في حضنه قائلا بصوته الغاضب:

ـ أهلا يا أرنب.

ـ أزيك يا معلم، والله وليك وحشة يا راجل.

جلس الذوق وهو يضع قدمًا على قدم وأمسك الأرنب بكرسي وهو يضعه بجواره مد يده وطبطب بها على فخذ الذوق قائلا:

ـ أزيك يا باشا وازيّ الأولاد والأنجال؟

ـ نحمد الله.

ـ إيه، انت جاي علشان فنان حلوان الكبير شعبان يعمل لك صورة.

ولم ينتظر الرد، والتفت إلى شعبان الذي كان يبدو في حالة توهان تامة عكس طبيعته، وبالرغم من ذلك لم ينتبه الأرنب إلى شكله:

ـ ده أكبر معلمين حلوان يا فنان. يعني ليلة القدر اتفتحت لك يا شعبان. بعد إذنك من غير تكليف أنده من مكانك كده على الواد حسن بتاع العصارة، وقوله يجيب أحسن كوكتيل عنده وواحد علشانك بالمرة يا بطل.

ـ مفيش داعي يا معلم أرنب.

ـ وده كلام يا سيد المعلمين! ده بس لغاية ما نروح المحل، وهناك بقى الواجب الحقيقي بتاع جنابك. هو احنا في ديك الساعة! يا مرحب يا سيد المعلمين.

ـ ما لك كده صوتك مش عاجبني؛ خير يا معلم إن شاء الله!

ـ خير إن شاء الله!

ـ ما لك؟

ـ شوية وها تعرف.

يئس من المعرفة بسرعة، فمد رقبته إلى شعبان، ونظر اليه باستغراب، وأضاف بلهجة العاتب المحب.

ـ وانت يا عم الفنان، أنت مستكترها ولسه واقف. اقوم أنا أجيب لسيد المعلمين بإيدي. هو انا ليّ اجدع منه أخدمه بإيدي يا عم شعب!

ـ مفيش داعي؛ البُوكس جه أهوه.

قالها الذوق وهو ما زال يجلس واضعًا ساقًا على الأخرى وخمسة من الضباط ينزلون من العربات التى أوقفت الطريق قبل أن تهبط القوة الغاشمة لتقف أمام المعلم الذى وقف بعد أن وقف الضباط جميعًا أمامه وراحوا يسلمون عليه بحفاوة مبالغ فيها من ضباط المفترض فيهم الفطرسة دائمًا مع الشعب.

ـ فيه إيه يا معلم؟

قال أكبر رتبة موجهًا كلامه للمعلم:

ـ أبدًا البيه أهوه؛ اسألوه؟

وأشار إلى شعبان الذى راح وجهه مجموعة مختارة من الألوان. ربما نلتقط منها اللون الأسود والأبيض والأحمر. وربما تبدون تعاونًا معى بعد أن تعرفوا ما حدث.

ـ فيه إيه يا معلم؟

ـ ها تعرف دلوقت يا أرنب.

قالها المعلم وهو يشير لشعبان أن يتكلم.

ـ وزع الناس دى يا حضرة الظابط.

قالها أحد الضباط لضابط أقل منه رتبة.

ـ حاضر يا باشا.

رد عليه ثم تحرك خطوات ووقف أمام أمناء الشرطة وقال.

ـ مشى الناس ديه يا أمين منك له.

ـ ما تتكلم يا ابني؛ قل لنا عملت إيه للمعلم؟

ـ والله ما انا عارف يا سعادة الباشا.

ـ يعني إيه؟ هو زعلان بالطريقة دي من الهواء يا ابن القحبة؟

صوت: طراخ.

قالها وهو يضربه على وجهه فطير ضوءًا أبيض من عيونه في عز الشمس.

ـ والله العظيم ما اعرف يا باشا.

قالها وهو يفتح عينيه ليتأكد أنه ما زال يرى بهما.

ـ هو شعبان عمل إيه بس يا معلم؟

سأل الأرتب وهو يرى سرسوب دماء ينزل من فم شعبان على عبد الباسط بطل حرب أكتوبر، والذي دائمًا ما يفخر بقدمه التي "يزك" عليها، ودائمًا يرد على من يسأله عن سبب إصابته، فيقول في فخر: انصبت في حرب أكتوبر.

ـ أبدًا يا معلم، بسأله هي الصورة دي فيها إيه مش مظبوط؟ بص لي وراح ضاحك وقال لي: عينك!

ـ يعني يا ابن الكلب يا خول، سايبنك واخد نص الشارع بعزاجنا، وكمان تغلط في راجل كبير زي ده؟

صوت: طراخ.

استمع كل الحاضرين إلى الصوت السابق وهم يرون جسد شعبان يطير في الهواء.

ـ والله العظيم أنا بقول له عينيه يا باشا. وقصدي عين الريس.

قالها وهو يلم جسده المتداعي قبل أن يمسك به الخمس عساكر ويعدون بها إلى الريس الضابط. ثم أشار بقرف واضح إلى الرئيس، وأضاف وهو يشير إلى المعلم الواقف أمامه بفخر و"عنظة":

ـ مش عين سعادة الباشا.

جاء صوته بقوة على الرغم من ضعفه الظاهر على وجهه.

ـ وكمان بتكذّب الحاج.

صوت: تك.

ـ نادي على العساكر ياخدوا الصور دي ويكسروا الكشك الصغير ده اللي مالوش تصريح.

ـ استنى بس يا باشا بعد إذن حضرتك.

ـ جرى إيه يا معلم أرنب؛ إنت ها تكسر كلام الحكومة!

ـ العفو يا باشا. بس بعد إذنك أقول لخويا الحاج الذوق كلمتين.

ـ وماله؛ تعالى يا خويا.

قالها الذوق وهو يستجيب ليد الأرنب التي كلبشت على كم جلبابه.

وقفوا بجوار شعبان المرمي على الأرض وراحوا يتحدثون بصوت هامس والأرنب يشير إلى النائم أمامهما يمسح الدماء من على وجهه. ثم نزل الأرنب إليه في الأرض وكشف عن ساقه المصابة في الحرب وراح يقول أشياء لم يستمع إليها شعبان نفسه الذي كان أقرب واحد إليهما. ثم تحركا مرة أخرى إلى حيث يقف الضباط الذين كانوا يشربون عصير الكركتيل

الذي جاء به سريعًا حسن صاحب محل العصير ثم قال المعلم الذوق:

ــ لا مؤاخذة يا باشاوات؛ يظهر أنا فعلا سمعت غلط، والغلط مردود.

ــ ما يهمكش يا معلم.

ــ معلش عطلناكم الشوية دول.

ــ لا عطلة ولا حاجة؛ أي أوامر منا يا معلم قبل ما نمشي؟

ــ شايلينكم للعوزة.

ــ طيب سلام عليكم.

ــ وعليكم السلام يا باشاوات، شرفتونا.

كان الذوق يجلس على الكرسي وأمامه شعبان وهو يخبي دموعه وبعض الناس يمسح له الدماء بقطعة قماش مبلولة، وآخر يمسك بيده كوب عصير مانجو يحاول أن يسقيه له، لكنه يضع يده عاقفًا أمام إلحاحه.

ــ إيه يا فنان؟ ياللا يا عم قوم حب على دماغ المعلم واستسمحه.

ــ حاضر.

وقف وهو ينظر إلى الأرض بعيونه، ثم اقترب من رأس الذوق الذي حاول التملص في البداية، ثم استجابة لطلاق ثلاثة رزعه الأرنب الذي عرض الأمر على شعبان الذي استجاب ووقف سريعًا، وها هو يحاول طبع القبلة على رأس الذوق الذي ترك رأسه تنال قبلة مصحوبة بنقطة دم من دون أن يدري.

ــ علشان ماحسش إني ظلمتك يا شعبان عاوز أعرف منك حاجة؟

ـ اتفضل يا معلم.

ـ أنا سمعت صح ولا غلط؟

ـ صح يا معلم.

قالها شعبان بصوت المكسور الذى يقر بخطئه الذى لم يقصده فى الحقيقة. لكن الحقيقة يا إخوانى أن للملاك الذى هو أنا، والذى هناك أيضًا، قصة عن الدقائق التسعين ونيف قبل وصول المعلم الذوق إلى حيث يجلس الفنان شعبان وظهور المشكلة، يجب أن أحكيها لكم: قبل سبعة وتسعين دقيقة بالتحديد من وصول الذوق كان شعبان واقفًا تحت تلك الشمس القاتلة يرسم صورة لرجل مفتول العضلات، ما إن أمسك بها حتى رماها فى الأرض وهو يصرخ فى وجهه بقسوة قائلا:

ـ أنا شكلى ملخبط كده يا فنان يا كروديا؟

ـ يعنى أنا جبت حاجة من عندى يا عم الكابتن.

ـ لا أنا مش وحش للدرجة دى.

ـ طب إيه رأى حضرتك يا ابو الكابتن نسأل أى واحد معدى قدامنا؟

ـ نسأله عن إيه فى يومك الأسود ده؟

ـ عن إنى راسم الشكل بالظبط ولا غلط؟

ـ غلط طبعًا، هو أنت ها تعرفنى أكتر منى؟ أما إنك راجل كبير ومش محترم فعلا. أنا ترسمنى بالشكل ده؟ دانا الكابتن عوكل بطل رفع الأثقال والمصارعة الحرة بشركة الحديد والصلب!

ـ وأنا مالى إذا كنت بطل رفع أثقال ولا رفع أموات، أنا رسمت اللى قدامى وخلاص.

ثم سأل الأشخاص الذين كانوا يمرون من جواره، ووقفوا ليعرفوا ماذا جرى كعادة المصريين.

ـ والنبى حد فيكم يقول للكابتن إذا كنت راسم اللى قدامى ولا أنا غلطان؟

ـ لا؛ الرسم عشرة على عشرة.

قال واحد.

ـ الرسم مظبوط يا فنان؛ تسلم إيدك.

قال آخر.

ـ ميه ميه والله.

قال ثالث، ثم نظر إلى عوكل الذى كانت عضلاته قد انتفخت أكثر من المطلوب: وأضاف الشخص نفس.

ـ ما هو راسمك بالظبط أهو يا عم الكابتن.

ـ اللى شايف نفسه ومش عايز يغور من هنا يورينى حاله.

بتلك الجملة انفضت "اللمة" تاركة الفنان يواجه مصيره مع أبو الكباتن الذي أصبح قريب الشبه للرجل الأخضر الذى كان يظهر فى مسلسل أجنبي في منتصف الثمانينيات.

ـ والعمل يا عم الكابتن؟

ـ اشربها يا حلو. وأحسن حاجة تروح تدور لك على صنعة تفهم فيها. أنت فاهم؟

قال جملته الأخيرة وهو يمسك بطوق قميص شعبان الذي خلص نفسه من يده وقال له:

ـ طيب يا عم، الله يسهل لك ويعوض عليّ في الألوان واللوحة، مع السلامة.

ـ قطعها.

قالها الكابتن عوكل وهو يشير بيده إلى الصورة ويضع يده الأخرى في وسطه.

ـ انت مالك بقى، أقطعها، أعلقها هنا جنب المحروق ده اللي خلّى واحد زيك يعمل في واحد زيي كده، أنا حر.

رد شعبان وهو يشير إلى صورة الرئيس التي تحميه في أوقات عصيبة كثيرًا.

ـ لا مش حر.

ـ لا إله الا الله.

ـ محمد رسول الله يا خويا، قطعها أحسن لك.

ـ وإن ما قطعتهاش يا ابو الكباتن؟

ـ يبقى ها أقطعها على دماغك ودماغ اللي يتشدد لك.

ـ على إيه، اتفضل يا عم، آدي المحروقة اللي ضيعنا فيها الصبح.

ـ ما تقولش المحروقة.

ـ إيه يا عم؟ هو أنت لا منك ولا كفاية شرك؟ هو انت بتقول شر

للبيع؟ الراجل حر، يقطعها يولع فيها، أنت مالك.

قال أحد المارة في الشارع بعد أن استرقفه الجدل الدائر بين الكابتن والرسام.

ـ جرى إيه يا كابتن؟ واضح إنك زميل وبتشيل حديد.

قال عوكل وهو يخفض صوته، وهو يواجه الشخص الذي تحدث إليه، ويماثله في القوة.

ـ لا زميل ولا هباب، ولا أتشرف إنك تبقى زميلي. الرياضة أدب وذوق وأخلاق، مش تنطيط على مخاليق ربنا اللي واقفين في عزالشمس علشان يدوروا على لقمة العيش في الزمن الأغبر اللي خلّي واحد زيك يغلط في راجل كبير زي ده.

أنهى جملته وهو يشير إلى شعبان الذي كاد يجرى اليه ويقبله لولا إحراجه.

ـ ماشي يا عم الرياضي. إنت مش رياضي بس، ده إنت بتدي دروس كمان، على العموم مقبولة.

ثم مد يده وأمسك بصورته وقسمها نصفين وتركها تسقط على الأرض، ومشي تاركا شعبان يقف مذهولا من ضياع نصف اليوم وضياع كمية كبيرة من الألوان استنفدها كي يرسم عضلات رقبة المدعو عوكل قبل أن يأتي المعلم الذوق بخمس دقائق فقط.

وقف المعلم الذوق واقترب من شعبان ومد يده وأمسك بيده، وبود قال:

ـ طيب. كده أنا بقي عرفت إنك راجل وما بتخفش، وعلشان كده

آدي الكارت بتاعي، ومستنيك بالليل يا فنان.

بتلك الجمل اعترف المعلم الذوق بموهبة شعبان، وتركه بعد أن طبطب على رأسه مواسيًا إياه.

تبادل الملاك والمهرج النظرات، ثم راحا في ضحك طويل، وبعد التقاط الأنفاس قال الملاك:

ـ ما هذا يا جناب الكاتب؟ تهيأ معك في سماع قصة عبد العال مهران، ثم تذكر أنه شرب قاهر الرجال في ليلة ليلاء، وبمجرد دخول اسم قاهر الرجال في فضاء السرد تنسى عبد العال مهران وتسترسل في الحديث عن موسى الذوق وشعبان الفنان الذى رسم (بادج) قاهر الرجال؟

ضحك المهرج ساخرًا:

ـ كاتبنا، الدخان الأزرق لحس عقله، وسوف ينفرط عقد الرواية منه.

نظرت، أنا الكاتب الصانع الماهر، لأبطالي في ود، وقلت لهم إنهم لا يفهمون في التفكيك والتجريب شيئًا، من أجل هذا سأترك مهمة الرد عليهم للقارئ الحصيف والناقد الواعى والماسك لمقاليد نظريات التفكيك والتأويل.

11

ـ بس على كده، وبنظره ده، لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب. أليط ألا اطة. ربك العالم جيبها مين.

يقول عنه المعلم موسى الذوق حين يكون راضيًا عنه.

ـ واد ابن كلب وشه مطبق وإسود، وجربوع، ويقرف الكلب الجربان.

يقولها أيضًا الذوق عنه الآن حين يرفض أن يحمل أى طلبية بعربة الإسعاف التى يعمل عليها، والتى تتبع وزارة الصحة، من صنف قاهر الرجال للذهاب بها إلى (أبو رجوان)، أو غمازة الكبرى، أو الشريك الغربي، أو حتى حكر الشيخ ظاظا.

ـ جنبنا هنا خطوتين.

ويقولها الذوق حتى يقنعه بحمل البضاعة في سيارة الإسعاف، ويشير بيديه ليقرب المسافة.

ـ ما تزود له المعلوم يا معلم.

عرض يقدمه أحد الموجودين بعد غمزة من عيون المعلم ذاته الذى

ينفض بمجرد خروج العرض، ويقول أمام الأشخاص الذين يشاهدون الموقف المتكرر على مدار السنوات، والذين بالتأكيد من أقرب الخلصاء للذوق، وإلا ما حضروا مثل ذلك الموقف:

ـ وأنا عمري استخسرت في كرب حاجة؟

ـ طول عمرك كريم وخيرك على كل الناس يا معلم.

يقول أحد الموجودين وهو يكاد يتيه فخرًا بكونه يرضى الله عنه، ويجمعه بالمعلم أبو الذوق كله قبل أن يتحرك خطوات ويقف بالقرب من شحته إسماعيل الفكهاني، الشهير بكرب، سائق الإسعاف بمستشفى النصر للتأمين الصحي، أو مقبرة الغزاة كما يُطلق عليها، ويضيف:

ـ قول يا اسطى كرب، طلباتك؟

ـ شاي تقيل من غير سكر وحياة المرحومة طنط.

هكذا دائمًا يكون طلب شحتة الذي لا يزيد عن شبر وقطع كما يقول سلامة النمس.

ـ مش قلت لكم من الأول.

ثم يضرب يدًا بيد قبل أن يضيف:

ـ آه لو كانوا يصرحوا لي أشتري عربية إسعاف بس.

يسأل نفسه الذوق قبل أن يسأل الموجودين الذين يتبرع أحد منهم بالقول:

ـ ويهون عليك تقطع رزق المعلم كرب برضو يا سيد المعلمين؟

ـ يهون؟ من جهة يهون، يهون ولا أعامل ابن الكلب المعفن ده.

ـ ألف شكر يا سيد المعلمين.

تخرج من فم كرب وهو يضع قدمًا على الأخرى وينظر بتحد إلى الذوق الذي يكاد يخرج عن ملته من الغيظ، فيمسك بأي شيء أمامه ويضربه بالقرب قدر الإمكان، وبالبعد قدر الإمكان أيضًا، عن قدم كرب مصحوبة:

ـ آه يا ابن الكلب لما يكون عندي أسطول عربيات ويجي واحد زيك ربع متر ويتحكم فيَّ.

ثم يجلس ويخرج سيجارة ليقف أمامه اثنين على الأقل ليشعلوها له وهو يضيف:

ـ طظ في الفلوس اللي ها تخليني أكلم عينتك.

ـ ده من أصلك الكريم بس يا معلم.

يقول كرب وهو يشعل سيجارة من سيجارة.

ـ قوم ياد يا خول يا ابن الكلب أخرج قبل ما أخلي العيال يربطوك في عود جرجير.

يقولها الذوق وهو يغمز لأحد الموجودين بالوقوف سريعًا للإمساك بكرب الذي ما إن يستمع إلى الطرد حتى يقف ويتحرك خطوات يصر علي عدم عودته فيها علي قدميه مرة أخرى حتى يحمله الرجل أو الشخص الذي شاء حظه أن يتواجد في تلك اللحظة، والذي لم يجد أمامه بديلا عن حمله بعد أن يحرن شحته حرنان حمار تقاوي عنب كما يقول النص أيضًا.

ـ يا عم عيب عليك لما تزعل من سيد المعلمين حتى.

يقولها الشخص الذى اضطرته الظروف لحمل خمسة وثلاثين كيلو وربع من العصم المشفى الذى تربس قدميه فى الأرض وهو يعتب بجدية عليه لأنه غضب بالفعل من كلام سيد المعلمين السكر.

ـ حقك عليّ أنا يا معلم موسى، وآدى دماغك أهه: وسماح المرة دى.

يتطوع أحد الموجودين بذلك، وكأن المغلوط فيه هو الذوق وليس كرب الذى أشعل سيجارة أخرى، ولم ينبس ببنت شفه.

ـ مين بنت شفه ديه والنبى يا عم الملاك؟

سأل المهرج.

نظر إليه الملاك ولم يجب.

يقف الذوق، ويقول للرجل الذى وضع قبلة على رأسه وكاد يضع الخامسة فوق يده من أجل أن يرضى عن كرب الذى ينظر إليهم شذرًا.

ـ خلاص يا معلم علشان زهقان وحياة أبوك؛ سبنى شوية على شان خاطرى.

ـ طيب، وإيه يرضيك؟

يسأل أحد الموجودين.

ـ إنه يقوم يودى العشرين صندوق دول الحكر، وبكرة يعمل حسابه إنه هايروح مشوار غمازة وأبو رجوان.

يقولها الذوق وهو يرفع يده كثيرًا فى الهواء، ويتعمد عدم النظر إلى المكان

الذي يحمله كرب حتى لا تنزل عليه عيونه.

ـ ماشي يا معلم؛ توكل على الله وروح ريح جتتك وسيب لى أنا الموضوع ده.

يعرض حامل الخمسة وثلاثين كيلو وربع وهو متأكد تمامًا من إكمال المهمة التي أقامها على عاتقه.

ـ والفلوس؟

يسأل الذوق بجدية.

ـ الصبح يديها لك الأسطى شحته أو يسيبها مع أي حد قاعد في التوكيل.

ـ تجيب من الصناديق العشرين القدام وتجيب ورقة بالعشرين الجداد.

يخاطبه الذوق، وكأنه هو الذي سيذهب بالبضاعة وليس كرب الذي يخرج النفس تلو النفس بقرف واضح من كل مخاليق ربنا.

ـ على عيني حاضر يا معلم؛ إنت تؤمر.

ـ وتخصم لنفسك خمس برايز.

يحدد المعلم، وهو يشير بالعصا التي كانت تنام بجوار المكتب قبل أن يأتي بها؛ ويتهيأ للطلوع إلى الدور السادس كما هو مطلوب ومحدد لمساء السبت.

ـ طول عمرك إيدك فرطة يا سيد المعلمين، ربنا ما يحرمه ويحرمنا من كرمك أبدًا علينا.

ـ طيب؛ بالإذن أحسن أنا تعبت من المناهدة مع الأشكال الرمة الليلة دي.

ـ حقك علينا يا معلم، وامسحها فينا كلنا، والنبي إوعى يكون مزاجك متعكر، أو نفسك شايلة من حد فينا.

ـ مزاج إيه بقى؟ ما ضيعه ابن الكئيبة.

ـ المسامح كريم يا معلم، وحياة النبي اللى زرته ما تخرج وانت زعلان على حد فينا.

ـ لا خلاص. بس ما تنساش بكرة من سبعة بعد المغرب عاوزك مرزى قدامي هنا.

ـ أنا بكره عندي مشوار.

يقول كرب الذي يستمع إلى توجيهات المعلم الصادرة له من خلال طرف مشترك يرضي كل الرضى عن موقعه كطربوش.

ـ ماليش دعوة بروح أمك.

يقول المعلم وهو يمسك بالطرف الوسيط من كفه بجدية مطلقة قبل أن يضيف:

ـ إحنا ورانا شغل، وكده إحنا متأخرين على الناس اللى مربوطة بينا، ودي لقمة عيشهم، وبعدين يا واخد قوتي يا ناوى على موتي، إنت فاهم؟

ـ ده مشوار خاص بالشغل.

يرد كرب من مكانه وهو ينظر إلى اتجاه آخر تمامًا لاتجاه المعلم الذي يقول:

ـ الشغل ده ما يخلش عليّ. وبعدين أنا مرارتى انفقعت بالعربى كده، عاوز أطلع لمراتى الجديدة وأنا مبسوط بدل ما أقعد أسيح دم خنفسة.

ـ والله العظيم ده مشوار شغل أنا مأجله بقالي أسبوع علشان توزيع المحروق ده.

يقولها كرب قبل أن يختفي المعلم من الباب مما جعل المعلم يعود برأسه فقط ويوجه عيونه إلى الطربوش وهو يقول:

ـ طالما عرفت تأجل أسبوع بحاله بروح أمك، يبقى تعرف تأجل يومين كمان، وكله بحسابه. بأمارة البنزين اللي بتحرقه على مزاجك وبدفعه وأنا عارف وبكيفي، لحسن يوزك شيطانك ويقولك إنك بتضحك على الزوق ولا حاجة، ثم يظهر العصا مرة ثانية في سماء الحجرة التي أصبح خارجها وهو يضيف بحدة وبسخرية واضحة:

ـ ما تخلقش لسه اللي يعمم الذوق، ثم يسحب العصا من الحجرة وهو يسحب الباب قائلا:

ـ تصبحوا على نقالة منك ليه.

أنهى بها كلامه وشد باب المكتب وراءه، ولم ينتظر أن يسمع كل الحاضرين، وبينهم كرب، يقولون بصوت عال:

ـ تصبح على خير يا سيد المعلمين.

12

كان ما إن يفتح الله عليه بوجه عبد الواحد التعلب إلا ويكون يومًا أغبر كما كان يقول له في وجهه مباشرة وبدون أدنى تورية أو إضمار، وبدون أدنى إنكار لما حدث له حين اصطبح بخلقته في المرة الفائتة.

ـ هو يوم باين من أوله.

يقولها عبد العظيم محمود الشيخ العرضحالجي ثم يرفع يده ويتجه للسماء وهو يصيف بصوت مسموع للحاج إبراهيم صاحب الكشك الوحيد أمام مبنى المحكمة والنيابة بحلوان، والذي ما أن يسمع صوته بتلك الطريقة حتى يخرج من الفتحة التي يضطر إلى ثني طوله وهو يظهر من تحتها ليواجه ترابيزة عبد العظيم أفندي الكاتب:

ـ والنبي يا رب عديها على خير وبحق حبيبك النبي تعميه عني.

ـ صباح الخير يا أستاذ عبد العظيم.

يقولها عبد الواحد الديان: أبو شديد التعلب: من بعيد وهو يفشخ حنكه.

ـ سايق عليك النبي يا عبد الواحد تبعد عني، وكفاية آخر مرة كنت فيها

هنا وكيل النيابة كان مصمم مشيني من قدام المحكمة.

يقول عبد العظيم وهو يحاول دفع التعلب بعيدًا عنه بيديه.

ـ يا راجل عيب عليك تقول الكلام ده في وشي كده.

يقولها عبد الواحد وهو يمد يده ليتلقى الدفاعات القوية من يد عبد العظيم حتى يمسك بها غصبًا عنه ويهزها بشدة في الهواء وهو يصافحه.

ـ أنا راجل وحش يا عم، وبالعربي كده بتشاءم منك.

تخرج من فمه وهو يرفع يديه التي خلصها من قرموط الجرك ليشير عليه أمام الناس التي تتجمع على صوت الباشكاتب.

ـ فيه إيه يا عبد العظيم أفندي؟

يتساءل الحاج إبراهيم.

ـ بلوة على الصبح يا حاج.

ـ خير يا ابو ريحو كفى الله الشر.

ـ إنت عارف الرجل اللي حكيت لك عنه وقلت لك إني بقيت أتشاءم منه.

ـ طبعًا.

يرفع يده في الهواء، وهو يشير بحدة إلى التعلب الذي ما زال يفشخ حنكه عن ابتسامة ويقول:

ـ أهوه ده يا حاج إبراهيم.

ـ لا إله إلا الله.

ثم يرفع إبراهيم يده ويحركها في الهواء وهو يقول في سره: ـ حولينا لا علينا.

ـ طب اطلب لنا شاي من الست اللي بتعمل شاي يا عم عبد العظيم.
يقولها وهو يجلس على حافة الرصيف وكأن ما قاله عبد العظيم لا يمتّ إليه بصلة.
ـ يا عم روح اقعد جنبها هناك وقول لها هاتي شاي على حسابي وحل عن سمايا ينوبك ثواب خليني أشوف شغلي.
يقولها وهو ينظر إلى ترابيزة حسن وترابيزة رمضان اللذين اتجهت إليهما الزبائن وتركته هو.
يضع عبد الواحد يده في الصديري ويخرج الدوسيه الأصفر ويضعه في حجره وعبد العظيم لا يجد بدًا من أن ينادي على أم أحمد التي تصنع الشاي فيما يشبه الخص ويطلب منها أن تأتي بواحد شاي بسرعة. يرفع عبد الواحد يده بورقة وهو يعطيها لعبد العظيم قائلا:
ـ شوف لنا نرد على الموضوع ده آزي؟
ـ أنا مش محامي يا تعلب.
ـ عليّ اليمين إنت عندي أحسن من أجدعها محامي يا عم عبد العظيم.
ـ طبعًا، طالما ببلاش.
ـ طب عفر.
يقولها عبد الواحد وعبد العظيم يمسك بالورقة ويقرؤها بسرعة حتى ينتهي منه ويعود إلى عمله.
ـ الشاي يا أبو ريعو.

تقولها ست ربعية تدخل منتصف العقد الرابع وترسم عيونها بحدة وتحت لسانها تدور لبانة ممكن أن تخرج في وجه أحد الزبائن الذين يشكون في سلوكها كما حدث مرات عديدة.

ـ إديه للبلوى اللي قاعد قدامك يا أم أحمد.

ـ هاتي يا أم أحمد، ربنا ما يحرمنا من طلّتك علينا.

ويمد يده ويمسك بالكوب وهو يتعمد لمس يدها ويبتسم في وجهها بإعجاب منقطع النظير.

ـ هو أنت!

ـ هو فيه غيري أبو ريعو بيطلب له شاي.

ـ ما تعتق الرجل بدل ما هو يهجّ منك يا أخي.

ـ ويعتقني ليه؟ ده عملي الأغبر بعيد عنك يا أم فردوس.

ـ الله يسامحك يا أبو ريعو يا خويا.

يخرج عبد العظيم ورقة من بين الدوسيه الذي يضعه على المكتب بمجرد دخول زبون إليه ويبدأ في كتابة ما يطلبه.

ـ عاوز كام يا حاج؟

ـ اللي تدفعه يا أستاذ.

يضع يده بما أعطاه في جيب الجاكت ويعود إلى أوراق التعلب مرة أخرى.

ـ شايف وشي عليك يا أبو ريعو. والله حلوة الشغلانة ديه. ورقة فاضية

وديباجة محفوظة وخط نكش فراخ وربك الرازق.

ـ لا إله إلا الله.

ـ أنا ما بحسدكش. بس فعلا شغلانة حلوة؛ أنا بفكر آجي أشغلها.

ـ طب ما تبدأ من دلوقت وتريحني من بلاويك شوية.

ـ هي ليها طلبات؟

سأل عبد الواحد أبو شديد العطب.

ـ هي إيه؟

ـ الشغلانة ديه.

ـ أبدًا. أهم حاجة ما تبقاش نصاب بس.

قالها عبد العظيم وهو يترك ما يكتبه وينظر إلى عبد الواحد الذي أفرج عن ابتسامة فقط من دون تعقيب.

أنهى عبد العظيم كل المطلوب منه حتى يغور من أمامه ابن منطقته الذي يترازل عليه، ثم مد يده بالأوراق له منهيًا كلامه بالدعاء للواحد القهار ذي الصبر على الأرازل عز جمالا وتقدس كمالا وجلت قدراته، أن يرخي عليه نور بصره، أو أن يرسل إليه سائقًا مخمورًا، أو يطيّر عاصفة كعاصفة الصحراء عليه ولا يرى عبد الواحد الذي كان يبتسم في وجه أخيه أبو ريهو بعد كل ذلك الكلام الجارح والخارج من فمه، وهو يقف أمامه وبجواره جمع من الناس الغرباء، وذلك لأنه يعلم حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عكس المدعو عبد العظيم، والذي يقول فيه إن البشاشة في وجه أخيه صدقة.

تمامًا كما يعلم قول السـابقين الأخيار البررة الأحبار الذين بلغوا في النصـيحة، بعباراتهم الصحيحة وإشاراتهم المليحة كلامًا يرتضيه العقل، ويقبله الطبع القويم، إذ هو المنهج المستقيم. يترتب عليه الذكر الجميل ويحصـل به الثواب الجزيل. هؤلاء اللذين كرروا على محك التصـديق آثار الحك، والذين قالوا:

(إن كان لك عند الكلب حاجة هز له ديلك، وقوله من القلب: يا سـيدي)

13

سلام جمهوري للرجالة، وما نساش الجمال كله، يعني الحريم، ولكل من هب ودب ولب وشب وشاب على أرض الحكر السعيد. هكذا خرجت للمرة الأولى من فم الباشمهندس شحتة. حيا الجميع الباشمهندس شحته صاحب الأفضال على كل مرتادي مستشفى النصر للتأمين بحلوان، وهم في أرض الحكر الطاهر يمثلون ربع السكان على الأقل، فأكثر الآباء قاطني الحكر من العاملين في شركة مصر حلوان للغزل والنسيج أو شركة المسبوكات البخارية، أو محطة صرف حلوان، وبالتأكيد تعرفون جميعًا الآن أنهم مصابون، إما بالربو بسبب وبر وهبو الغزل والنسيج، وإما بالكبد نتيجة المسبوكات، وإما بالسرطان نتيجة الصرف، وإما بالتحجر التنفسي نتيجة سكنهم بجوار شركات الأسمنت، وإما مجموعة غريبة من أنيميا الدم نتيجة إنشاء حكرهم الأم تحت الأسلاك الكهربائية ذات الضغط العالي الآتية من السد العالي. ولذلك فأفضال الباشمهندس شحته تغطي أهل الحكر من فوقهم لتحتهم، ولا يخلو بيت من الدعاء له.

بمرور الأيام صار السلام الشحتاوى علامة مسجلة باسم الباشمهندس شحتة، لكنها بمرور الأيام صارت نشيدًا وطنيًا يطالب صاحبه أن يلقيه على الشعب ما دام الشعب طلب، ولكثرة أفراح الحكر وكثرة مناسباته السعيدة كان كل من أعدائه ومحبيه ما إن يلمحوه حتى يطلبوا منه الصعود إلى المنصة، وإلقاء النشيد الذى أصبح وطنيًا يخص المواطن الدحروجى. وصل الأمر أن بقية المناطق المجاورة والحكور والنجوع والمناشى بحثت لها عن نشيد وطنى يميزها، وأصبح لكل حكر سلام جمهورى يتشابك أو يتنافى مع نشيد الحكر الدحروجى الأصيل.

كان الباشمهندس دائمًا لا يُؤمَن عقباه، فكثيرًا ما حرن ورفض الطلوع إلى المسرح، بل إنه فعل فعلة حمقاء كلفته رصاصة فى قدمه ظلت بعد ذلك عاهة مكشوفة للذين يرون مشيته بالرغم من تغطيتها بالبنطلون. كان يجلس بجوار المعلم الذوق فى أحد الأفراح، وبالطبع يجلس على الترابيزة أسياد القوم والفرح. وكان المعلم قد خبط فى الشرب بعد أن أعجب بالراقصة التى نزلت من فوق المسرح، لتسلم عليه بعد أن أعلمها بوجوده، ولم تتراجع بالرغم من رفع المعلم الذوق عصاته المذهبة لكى يوقفها. لم تتنازل الراقصة عن مصافحة الكبير. وعند ذلك ظهرت همهمات ودمدمات بعض الحاضرين الذى يريدون أن تستمر فى الرقص.

ومع إلحاح الحاضرين على الانتهاء من السلام، وقف الباشمهندس شحتة. وبهدوء وروية أمسك بيد الراقصة، وسحبها من بين أتباع الذوق.

عادت الراقصة وهدأت الزوبعة. طلب مصطفى كرب أن يذهب شحته للمسرح ليلقي على أسماعهم نشيده الوطني. نظر إليه شحته، ثم هزّ رأسه رافضًا. كان كثيرًا ما يفعل ذلك، ولذلك تدخل سلامة النمس، فأخذ شحته ركنًا بعيدًا عنهم، ووضع ساقًا على ساق، وراح يدخن الحشيش بشراهة غير عادية، وينظر للراقصة بتمعن، جعل كل الحاضرين يتمنون أن يروا الباشمهندس الذي يصفونه في عدم وجوده بأنه شبر مع تلك الفرسة التي سلبت عقولهم. كلما امتلأت الكاسات ووزعت زجاجات قاهر الرجال، واشتعل لهب الحشيش؛ يطلب الحاضرون من المعلم الذوق أن يأمر شحته بأن يطلع للمسرح، لكن الذوق لم يبد تعاطفًا، كان غائبًا عما يحدث لشحته. كان الجميع يتابع من خلال سحابات الدخان عيون شحته.

أنا الملاك الذي هناك أقول إن الذي شاهد موقف الباشمهندس مع الراقصة يجب عليه أن يعلم تمامًا أنه حين تحرك من كرسيه، ومشى كطاووس مفتخر بقوته، حتى اقتحم الجمع المحيط بالراقصة، وأخذ يديها بين يديه، كبطل مغوار، تدخل في الوقت المناسب، ليفض حكاية ظهرت على حين غرة. كان ينظر لنفسه فقط، لقد كان شحته المتوحد مع ذاته هو كل من ينظر إليه، ويراه، ويتابعه. وهو يقوم بحركاته التمثيلية على المشاهد أن يعلم أن الراقصة لم تكن تدخل نظره، ولم يحدد لها جسدًا أو يحيط بها من الأساس، حتى حين وقف أمام الذوق وترك يد الراقصة، وهو يرفع رأسه ويثب على الأرض، لم يتبه إلى نظرة التعجب والاندهاش الظاهرة على محيا

الراقصة ذاتها التي قالت للمعلم الذوق في أذنه: حلو الواد ده، لو عندك واحد تاني سلفهولي أطلع بيه المسرح. وللناظر أكثر والمدقق في المشهد، سوف يلمح نظرة الثناء على ما قام به، ويظهر ذلك من لمعة عينيه ومصمصة شفتيه وارتفاع الشارب الذي يحتل المساحة الأوسع في وجه الصغير.

بعد ذلك أخذ شحتة كرسيه خطوة بعيدًا عن الجلسة، ثم رويدًا رويدًا كان يلتفت إلى الجلسة حين ينادي عليه النمس أو أحد الجالسين، ليأخذ سيجارة. وحين ذلك يطلب شخص جديد من الباشمهندس أن يمسك بعض الأموال ويطلع "ينقّط" بها الراقصة، لكنه يرفض، فيطلب آخر منه أن يرقص مع الفرس، لكنه يرفض.

في الحقيقة إن لشحتة أحوالا غريبة منذ طفولته حتى الآن لا يعرفها غيري أنا الملاك. إذا كنت مخلوقًا له عقل يفكر لحقّ عليّ أن أنظر إلى حياة غيري من الناس نظرة تعادل في الاحترام والتوقير نظرتي إلى حياتي أنا نفسي، لكني لست إنسانًا، وليس شحتة ملاكًا ليفكر مثلي.

هو يفكر في احترام ذاته إلى حد كونه مبعوث العناية، لكنه يفكر في الآخرين كبشر مخلوقين وليسوا مبعثين. لقد كان شحته، شأنه شأن أي صبي، يحلم في كثير من الأحيان بما سوف ينجزه، ويكونه في الحياة حين يشتد عوده، وكان، وهو بعد صغير السن، يرى جده الكبير ـ الذي أخذ اسمه ـ وهو القوي المتين يسوق عائلته الكبيرة كما يسوق الفلاح بقرته إلى الحقل، ويومًا بعد يوم كبر الطفل، وصار صبيًا يتبع الجد أينما ذهب، وكان الجد

يحبه فقربه كثيرًا إليه. كان شحتة يفكر بينه وبين نفسه في روعة الحياة حين يكبر ويصير كالجد الذي يشرف على ثلاثة قلاع قديمة على جبل واحد تنام بينها بيوت تشرف على المائتين، وثلاث قباب. وقبة عليها صليب ومساحة من الأرض يسرح فيه الخيل والحمير والأغنام وبعض المراعي خلف الجبل.

كل ذلك كان يفكر فيه شحتة الذي أخذ على حين غرة وتركه الجد ومضى إلى الجبل الغربي. شحتة ذاته لم يدر سبب سفر الجد إلى الجبل الكبير الذي كان يسمع عنه من الجد ذاته، كما لم يدر سبب مصمصة الشفاه حين تراه. تغيرت حياته بين ليلة وضحاها، كانت الأيام تمضي والجد لا يعود وهو يتابع الطيور الصغيرة الصاخبة، وهي تبحث عن أعواد القش، لتبني بها أعشاشها. كان يحب أن يصنع لها فخاخًا، ويروح يتأملها وهي الصغيرة جدًا كيف لا تهدأ عن البحث عن مخرج. كما كان يحلو له القراءة في كتب عن الغابات في الهند والسند وتلك الأدغال المظلمة الحافلة دائمًا بالأسرار وبالأفيال والنمور الرابضة خلف الأشجار المستعدة للقفز على الفريسة. شهرًا بعد شهر مضت الحياة والجد لا يعود وجسده لا ينمو كما الأطفال في مثل عمره، من لحظة تركه وحيدًا بعيدًا عن يد الجد العملاق. كان يعلم أنه ما من أحد خلق على ظهر البرية يعرف ما تحدثه حياته من أثر في نفوس البشرية غير الأنبياء، ولذلك لم يستطع نسيان القبلة للجد، وخرج إلى الجبل. وهناك صاحب الرعاة الذين يصعدون الجبل حيث ينبت الكلأ. ويومًا بعد يوم نسي الجد، وراح يفكر في تلك السعادة التي غمر به وهو يرى كيف يعيش طليقًا كالهواء ويمرح في هدوء.

انت رحت فين يا عم الملاك؟ انت بتكلم عن شحته مين بالضبط؟ شحته الباشمهندس سواق الإسعاف بتاع مستشفى النصر للتأمين، ولا شحته لاعب الكرة بتاع الاسماعيلي، ولا مين بالضبط؟ وبعدين إيه حكاية جده، ومصمصة الشفايف، ومرح في هدوء، وطيور؟ واضح، والله أعلم، إنك نسيت نفسك والشيطان لعب بدماغك وخلاك تمد إيديك جوه عربية الإسعاف، وتسحب قزازة قاهر الرجال، وشربتها من اللى المخفى شحته بيصدره من أبو دحروج لغمازة الكبرى والصغرى.

أنا الكاتب أقول لكم ما كان يود الملاك أن يبينه لكم، لكنه بالفعل مد يديه وسحب زجاجة قاهر الرجال الموضوعة الآن أمام شحته، ودلقها في فمه وكأنه يعب الماء، ثم دخل في موضوع آخر. لقد أراد الملاك أن يقول إن أحوال شحته تختلف من حال إلى حال كموج البحر، ففي اللحظة التي يجب فيها أن يضحك تراه يبكي، وفي اللحظة التي يجب فيه أن ينظر فقط إلى فارق الطول والجسد نراه يغمض عينيه، ويتبجح، وهكذا دواليك. لنأخذ مثلا واضحًا. كثيرًا ما يظهر الباشمهندس على خشبة المسرح لأنه متحدث لبق وابن جنت، ويتلون على كل الوجوه، ليأخذ حقه أو ما يعتبره دائمًا حقه، ولذلك كثيرًا ما يرى على المسرح في وضع المهندس، ومر اللحظات، وبعد ذلك يتمكن منه الأستاذ، وفي لحظات التمكن والابتكار تتملكه روح المايسترو، حين يلحن السلام الخاص به، لكنه حين يرقص يغمض عيونه على الراقصة ولا يرى بشرًا آخرين، ويفعل الأفاعيل التي

تجعله يبدو مسخرة كاملة المواصفات، يحتفظ المواظبون على الأفراح ببعض التعليقات والتلميحات والتصرفات، وكثيرًا ما كان محور أحاديث العائدين إلى سرائرهم لزوجات ينتظرهن، وهن عارفات بالمطلوب منهن.

روح اشرب وتعالى لاعبني. اسم أغنية طلبها الذوق على حين غفلة وهو يرمي بـ"لي الشيشة" بعد إشعاله الحجر الذي أعده صبيه. ولما كان طلب الذوق هو أمر لا رد له، فقد قيل له من باب التودد، أمرك مجاب بصوت الباشمهندس. تجاهل المعلم ما سمعه تمامًا، وأشار لصبيه أن يتصرف كما يحلو له، سواء ذهب للفرقة أو بعث أحدًا. وقف واحد من الشلة، ليقول شيئًا للمعلم، لكن العصا ارتفعت؛ فجلس، كان كل الحاضرين عنون النفس بتحقيق ذلك الطلب الذي عملوا من أجله منذ بداية السهرة منذ ثلاث ساعات ونيف، وهو طلب المعلم من شحته، ولذلك تردد صبي المعلم في تلبية الطلب، حتى ارتفعت عصا المعلم مرة ثانية، ونغذته في جنبه فقفز في الهواء، وكاد يتحرك لولا عبارة خرجت من فم أبي شديد التعلب فأغاثته، وجعلت المعلم يضحك بملء شدقيه. قال للمعلم وهو يرفع عصاه التي يهش بها على موخرات النساء: عليك بأخيك شحاته عكاشة يا سيد المعلمين. قالها بلغة عربية: خطأ أو صوابًا، لم ولن يتأكد منها المعلم الذوق الذي يفك الخط بالكاد، ولكنها تشبه كثيرًا قول الأستاذ حكم في فيلم السفيرة عزيزة حين دخل على الضابط وقال له: جئتك من سبأ بنبأ عظيم وجلل. ربما استعان قرموط البرك أبو شديد التعلب ديان بالمرحوم عبد المنعم إبراهيم، وربما لا،

لكن ذلك ما وقر في قلوب كل المغيبين بالحشيش والبانجو وقاهر الرجال، حتى ضحكوا جميعًا حتى تغررت عيون بعضهم، وكاد البعض يفطس. ومن هنا نزل المعلم على طلب الجماعة، وبعد أن مسح فمه ووجهه وعيونه بالمنديل الحرير الأبيض، عاد برأسه إلى الخلف وقال: روح يا ابن عكاشة ارمي النقوط على كل الفرح وهيّص مع الرقاصة. في حالات متشابهة وكثيرة كان كثيرًا ما يوطي الباشمهندس شحاته عكاشة السيد، سائق الإسعاف، على يد المعلم ويقبلها لأنه لا بد سيمسر ما لا يقل عن ورقة بـ"مدنة" من كل النقوط الذي سيأتي ردًا على نقوط كبير الحي. وبالرغم من أن صبي المعلم كثيرًا ما كتب كل ما أمسكه بيديه وعرف أنه خنصر، فإنه أبدًا لم يمسك به كلص، هو يمسك بأكثر من خمسمئة جنية في يديه، ويرفعهم كالحاوي الذي يرفع أوراق اللعب ويظهر الصورة: ورغم ذلك لا يكتب أحد، كما لا يمسك به أحد بغش.

هو هذا القريب من الأرض البعيد كثيرًا عنها داخل ذاته. هو لا يعرف لماذا أحس بالإهانة في اسمه واسم أبيه. هو كثيرًا ما استغرب من اسمه، وكثيرًا ما دعا على أبيه، كما دعا على جده أيضًا: لكن الآن، وهو يسمع اسمه الذي كثيرًا ما اعتز به أيما إعزاز، واعتبره قريب الشبه بحسني مبارك؛ لا يعرف لماذا قال قولته التي جعلت المعلم يقف، وبهدوء يخرج الطبنجة المرخصة ويصوبها على وسط شحاته، ثم ينزل بهدوء حتى قصبة القدم ويطلق العنان للزناد: فتخرج الطلقة لتسكن في ساق شحته ليرفعه الأصدقاء،

ويذهبوا به إلى مستشفى الهدى الإسلامى الذى يرفض عمل العملية نظرًا لضخامتها، فيأخذ إلى مستشفى النيل بدراوى حسب تعليمات المعلم الذى كان يرقد بجوار الراقصة ولم يطرف له جفن حين صوب الرصاص على ساق شحته. ظل شحته بالمستشفى أربعين يومًا، وخرج بقصور فى الساق مقداره أربعة سنتيمترات جعلته يعيش حياته الباقية بعرج يغنيه عن الحرج كما قال الله فى محكم آياته.

14

عاد شعبان إلى بيته بـ"عرب راشد" في المساء بوجه عابس وزرقة حول عينه اليمنى، فبادرته زوجته:

ـ جرى إيه يا أبو جمال؟

ـ أبدًا.

قالها وجلس على الكنبة وهو يضع عيونه في حجره حتى لا ينظر إلى زوجته التي اقتربت منه بسرعة وأمسكت بيديها ذقنه وهي ترفع وجهه لكي يواجهها بنظراته.

ـ فيه إيه يا أبو جمال؟

سحب رأسه من بين يديها وهي تضيف:

ـ اعمل معروف رد عليّ؟

ـ أبدًا، اتخانقت مع واحد عملت له صورة.

ـ كان إتشلك في إيده البعيد قبل ما يرفعها عليك يا خويا. على العموم ربنا مفيش أحسن منه.

وها يخلصلك حقك قادر يا كريم يشل إيده اللي اتمدت عليك.

عاد بوجهه إلى حجره باحثًا عن مكان يستطيع فيه إنزال دموع الرجولة. أحست به زوجه فمدت يدها لتطبطب عليه، لكنه أوقف اليد بحزم حتى لا يضطر إلى إنزال الدموع أمامها. دخل إلى الحمام دون كلمة، وهناك أنزل دموعه، ثم غسل وجهه وخرج ليجد الزوجة قد وضعت الطبلية وعليها الطعام في انتظاره بوجه عابس لأنها تعرف لا بد أن زوجها كان يبكي ضعفه وقلة حيلته وهوانه، بعيدًا عن عيونها، لكن ليس بعيدًا عن قلبها الذي أحس به، ومن أجل ذلك ظلت ترفع يديها إلى السماء وهي تدعوه أن يأخذ حق رجلها الذي أصبح معاشه لا يستطيع الإنفاق على الأولاد، فقد اضطر بسبب زواج ثلاث بنات منهم إلى استبدال جزء كبير من معاشه، كما اضطر إلى الوقوف في الشارع لكي ينفق على الباقين، فلديه ثلاثة من الأبناء ما زالوا يدرسون في الجامعة، واثنان تخرجا منذ سبع سنوات ولم يجدا عملا حتى الآن. وضعت له الزوجة التي تكتم دمعة مخنوقة، الطعام، لكنه لم يقدر على بلع لقمتين على بعضهما؛ قالت له بعطف:

ـ ما تاكل يا أبو جمال.

ـ الحمد لله. ربنا يدعها علينا نعمة. هاخش أريَّح شوية وبعدين على الساعة عشرة رايح مشوار في حكر أبو دحروج. ربنا يسهل؛ فيه شغلانة كده.

ـ ربنا يرزقك برزقنا قادر يا كريم.

بذلك الدعاء ودعته زوجته وهو يخرج من بيته في التاسعة والنصف

ـساء. وضع على عينيه نظارة شمسية يخفي بها آثار الضرب، تاركًا خلفه منشية جمال عبد الناصر، متجهًا إلى الحكر، وهناك، وأمام مقام أبو الطرابيش، لم ينس أن يسلّم على الشيخ في مقامه، وعلى آبائه وأجداده في المقابر التي تجاور مقام الشيخ الطاهر، بعد سؤال الناس عن العنوان وصل إلى مبنى ضخم مكتوب عليه بخط عريض تضيئه لمبات النيون "مجموعة المعلم موسى الذوق للاستيراد والتصدير". في مدخل العمارة وجد لافتة أخرى مضاءة بالنيون تحمل نفس الاسم، مضافا تحتها وبخط أقل حجمًا، توكيلات لاستيراد قطع غيار البيجوه والسكر والأسمنت والخمور والروائح. راح ينتقل من توكيل إلى آخر والمعلم يمشي جواره وهو يعرفه على المكان بحميمية، وكأنه يعتذر له عما أصابه منه بعد أن عرف من الأرنب ما حدث له مع بطل المصارعة قبل أن يدخل عليه هو في المحطة.

ــ ربنا يزيدك كمان وكمان يا سعادة الباشا.

ــ اتفضل يا فنان.

جلس وهو يضع يديه بين فخذيه في انكسار واضح وينظر في الأرض. قال موسى الذوق للساعي الذي أتى بالقهوة:

ــ ما حدش يخش عليّ يا سمير وخد الباب وراك وتعالى الأول شغّل التكييف.

عاد بكرسيه إلى الوراء بعد أن صدر قدمه اليسرى في المكتب ورفع قدمه اليمنى على الأخرى التي راح يتحرك بها للإمام والخلف حتى استقر على وضعية ثابتة:

ـ بص بقى يا فنان، أنا عاوزك فى شغلانة بسيطة إن شاء الله تطلع من وراها بقرشين كويسين.

ـ تحت أمرك يا معلم.

فتح ثلاجة صغيرة بجوار مكتبه، وأخرج كأسين وصب فيهما النوع الجديد من الخمرة التى صنعها ابن الجنية سلامة النمس الذى وضع لها اسمًا أعجب المعلم موسى، وها هو يبحث لها الآن عن شعار يضعه على الزجاجة التى اختار هو شكلها.

ـ إيه ده يا معلم؟

سأل شعبان بعد أن ملأ فمه وتجرعه وهو يكاد يجزّ على أسنانه من قسوة الطعم.

ـ كمل بس وبعدين اسأل يا فنان.

أكمل شعبان كأسه على أربع جرعات كان خلالهم يكاد يقرص على لسانه وهو يهز رأسه هزات سريعة ثم يغمض عيونه.

ـ إيه رأيك بقى يا شعب؟

ـ ده نبالم على رأى فؤاد المهندس.

ضحك بفخر وهو يحس بسعادة وكأنه هو الذى اخترعه وليس فقط الممول، والذى ينتظر مكاسب عظيمة بعد أن قرر تدشين خط إنتاج قاهر الرجال لتعميمه على منطقة حلوان والمعصرة والتبين وعرب أبو ساعد والحكر وأبو رجوان الشرقى والغربى.

ـ بص بقى يا عم؛ أنا عاوزك ترسم لى "بادج" عشى مع البالم ده.

ـ هو ده صناعة محلية؟

ـ ما لكش دعوة بقى صناعة محلية ولا مستورد؛ انت عليك تاخد قزازة من المدعوك ده وتمزمز فيها وترسم بقى حاجة جديدة خالص، اتفقنا يا بطل؟

ـ تحت أمرك يا سيد المعلمين.

ـ تعجبني. قول لى بقى ها تولني البادج إمتى؟

ـ إدينى يومين تلاتة وربنا يسهل.

ـ مش أكتر من كده علشان فيه فرح يوم الخميس الجاى عندنا هنا وأنا عاوز أشوف مفعوله بعيني على الشرّيبة اللى أعرفهم، وخد الاسم بالمرة علشان تكتبه بخط حلو كده.

ـ إن شاء الله يومين تلاتة بالكتير وهيكون عندك بادج حكاية.

بتلك الجملة ودّع شعبان المعلم بعد أن استلم منه زجاجة فى شنطة جميلة لا تكشف عما بها، ومئتى جنيه عربونًا، واسم قاهر الرجال الذى أعجبه أكثر من المشروب ذاته، ليدخل عليه مساء اليوم الثانى وقد صنع ثلاثة بادجات كانوا كلهم يحملون ملامح مختلفة من وجه المعلم موسى ذاته. اختار المعلم موسى البادج الذى لم يخف عليه أنه يحمل عيونه فقط، وكان عبارة عن رسم لشمشون الجبار بشعره الطويل وهو يرفع بيديه ربع قصر، وفى نهاية البادج، وعلى طرفه لم ينس شعبان أن يضع توقيعه المشهور به. قبله المعلم موسى وأثنى على قريحته ثم وضع فى جيبه ثلاثمئة جنيه.

نسي شعبان الموضوع بعد أن شفيت عيونه واستمر يخرج من بيته في الثامنة ويعود في السادسة حتى سهر في أحد الأفراح بعد ذلك بأكثر من عام وشاهد للمرة الأولى البادج الذي صنعه موضوعًا على زجاجة غريبة الشكل، ولكن ما حزّ في نفسه جدًا أن توقيعه لم يكن هناك.

15

كان لم يبلغ بعد العاشرة حين مات عبد العظيم محمود الشيخ، المعروف في حكر أبو دحروج بـ"أبو ريعو".

ترك ريعو التعليم الذي كان متفوقًا فيه ليستطيع أن ينفق على أمه العاقلة، وأخته ذات الثانية عشر ربيعًا، بعد شهر من وفاة أبيه الباشكاتب عبد العظيم محمود أثناء عمله ككاتب أمام محكمة حلوان. كان في بداية الأربعينات، متزوجًا من ابنة عمه التي أصيبت في شهر العسل بحمى التيفود، فتركت لها يدًا وقدمًا عاطلتين عن العمل بشكل طبيعي، ولم يكن يملك من حطام الدنيا بعد شقة مؤجرة بشارع الملك إبراهيم بحكر أبو دحروج مؤسسة على "ما قسم" وبأقل الإمكانيات.

تنقل ريعو على سبعة عشر ورشة خلال السنوات الأربع الأولى لنزوله مجال العمل. وسبب ذلك أن ريعو منذ صغره لا يحب الضرب على الإطلاق، ومن أجل ذلك كان يشغل عقله تمامًا حتى لا يُفاجأ بضربة على خده، أو مفتاح طائر إلى رأسه، أو قدم غاشمة في مؤخرته، ورغم ذلك، ويا لسوء حظه! كان دائمًا ما يُفاجأ بأحد الأشياء السابق ذكرها، ومن هنا

كان يترك الورشة باحثًا للحظات قليلة عن مكان جديد بعد أن أصبح معروفًا بمدينة الحرفيين بحلوان والكل يتسابق للفوز به بعد أن أثبت ذكاء حادًا وتفانيًا في العمل. و أخيرًا استقر به الحال عاملا في مغسلة سيارات في بنزينة المعلم الدش بطريق الكورنيش.

أثبت ربعو كفاءة كبيرة في مهنته الجديد حتى صارت بنزينة "الدش" هي التي يتوقف عندها أصحاب السيارات، لكي تُغسل بضمير حسب كلام السائقين الذين اكتشفوا بمضي الأيام ذكاءه. نال لقب الأسطى وهو لم يبلغ بعد السابعة عشر. ترك بنزينة "الدش" واتخذ قهوة السائقين بجوار مستشفى النصر للتأمين على الكورنيش مقرًا لورشته الجديدة التي افتتحها بعد أن تحرر من العبودية التي كان يفرضها عليه الدش وأبنائه.

خلال رحلته الممتدة في العمل بالصيف والشتاء. زوج أخته الوحيدة "إنصاف" حين أتم الثامنة عشرة. قبل الفرح بشهر كانت هناك مداولات وجلسات لتقريب وجهة النظر بين والد العريس الذي صمم على عدم التوقيع على قائمة المنقولات بوضعها الذي كتبه الحاج محمود جار الأسطى ربعو. استمرت تلك المداولات حتى قبل الفرح بيومين، وأبو العريس ما زال مصممًا على عدم كتابة الزجاج والأشياء الهالكة حسب تعبيره. بعد أن حسب ربعو مع أمه تكاليف تجهيز المطبخ التي وصفها والد العريس بأنها هالكة قال للمجتمعين للتوفيق بين الطرفين:

ـ بعد إذن كل الناس الكبار والمحترمين، وبعد إذنك يا حاج رمضان،

ليا عند حضراتكم كلمتين اتنين.
ـ اتفضل يا ابني.
رد الحاج رمضان وهو ينظر بإعجاب وود إلى ربعو المعروف بحسن أخلاقه.
ـ دي مش أصول يا حاج رمضان.
بتلك الجملة تدخل الريس عبد الواحد الديان أبو شديد التعلب أبو العريس.
ـ ليه بس يا ريس عبد الواحد؟ مين خالف الأصول؟ ربعو شاب مؤدب ومش هنختلف.
سأل أحد الموجودين من المحكمين، وهم ستة من كبراء الحكر وأعيانه وحكمائه أيضًا.
ـ كده بقى من أولها يا حاج محمود أنا عرفت حكمك، ولا مؤاخذة بقى بعد إذن الناس الكبار أستأذن.
أنهى جملته وهو يقف ويمد يده ليسحب ابنه الذي أمسك بيديه بعطف وخوف وعدم مقدرة على مواجهته وهو يقول له:
ـ اقعد بس يابا، الكلام أخد وعطا.
ـ الجواب بان من عنوانه أهوه، وعمك الحاج محمود قاعد يشكر في أبو النسب وخلاص حاكم إني غلطان، يبقى القعدة لازمتها إيه يا حمار؟
ـ ما حدش حكم بحاجة يا أبو الحسيني.

قال المقدس عوض الله، أحد المحكمين، وهو يقف ويضع يده على كتف الريس عبد الواحد ويجعله يعاود الجلوس.

ـ أمال تقول إيه يا عم الحاج عوض الله في كلام أخوك الحاج محمود، جار أبو النسب، واللي مربط عليه لبته زي ما سمعت.

قال عبد الواحد، وهو يعلم أن المقدس عوض الله مسيحي، ويشير بيديه إلى محمود الذي آثرها في نفسه.

كان الجميع يعرف حركات الريس قرموط، كما يسميه ساكنو حكر أبو دحروج، وظلوا يرفضون الجلوس في مجلس يحكم فيه على عبد الواحد الذي يلعنه الواحد القهار من فوق سبع طباقًا كما قال الحاج رمضان لمحمود الذي ذهب إليه في بيته كي يقنعه بأن يرأس الجلسة من أجل المرأة المشلولة وابنها اليتيم.

أو أبو راس سودة، كما صرح المقدس عوض الله رجل المجالس، والذي شاء حظه العاثر أن يكون ضمن خمسة مجالس سبق لها الحكم على أبو راس سودة، والذي لم ينفذ منهم ولا حكم واحد، ومن أجل ذلك كان قد أقسم أمام تمثال العدرا بدير العريان بالمعصرة أن لا يجمعه مجلس أبدًا بعبد الواحد، لكنه الآن وقد وجد أربعة من أعز أصدقائه المحكمين الذين يتشرف بالجلوس معهم يطلبون منه الانضمام اليهم، لم يجد مفرًا من الحنث بقسمه والجلوس في المجلس من أجل رفع الظلم عن امرأة مشلولة لم يرها أبدًا.

ـ احكي يا ريس عبد الواحد وخلصنا علشان لسه قدامنا مجلس تاني في عرب راشد بعد إذنك.

هكذا قطع الأستاذ حشمت، مدير مدرسة صلاح سالم الثانوية بحلوان، الطريق على ديان كما أطلق عليه الحاج رمضان الذى أخذ معه المحكمين الخمسة وذهبوا ليقنعوه بالانضمام إليهم بعد أن عجز كل واحد منهم - منفردًا - من إقناعه، وهو الذى كان قد تدخل فى ذلك الإشكال منذ بدايته من شهر وحكم أربع مرات لربعو وأمه.

- لا.. تتفضل ستى الحاجة أم ربعو تحكى.

قال عبد الواحد وهو يضع يده على العصا التى يتخذها زينة وفشخرة ولم تخل من مآرب أخرى أبدًا. فهو يرفعها فى الهواء كثيرًا، وهو يتكلم إما ليشير بها للتهديد والوعيد، وإما للإشارة، وهذا هو الأهم، لمؤخرات النساء كعادة معروفة عنه فى كل حكر أبو دحروج.

- أنا فوضت ابنى ربعو يتكلم عنى بعد أذنكم.

- يعنى إيه الكلام اللى أوله غلط ده يا محكمين.

قال عبد الواحد وهو يرفع العصا للسماء، وينتفض واقفًا بعد أن أنهت المرأة الضعيفة كلامها.

- الست حرة يا جدع إنت. أما انت صحيح...

قالها المقدس عوض الله وهو يقف، ثم عاد للجلوس وهو ينظر إلى عبد الواحد، وينزل بيده على فخذه بقسوة.

- قل لى بقى لو سمحت يا ريس عبد الواحد، هما غلطوا معاك فى إيه؟

بذلك السؤال أنهى الأستاذ حشمت كلامه وهو يعرف تمام المعرفة أنه لن يستطيع أن يزنق القرموط فى خانة "اليك" كما يقولون.

ضرب عبد الواحد العصا فى الأرض ثم حركها على أرضية الحجرة التى تحتوى على ثلاثة كنبات وترابيزة جاءت من بيت الحاج محمود وتقف شامخة أمام الحاج رمضان وكرسى قديم بعجل تجلس عليه الأم، وراح يرسم أشياء فى الأرض قبل أن يرفع يده ويترك العصا ويخرج من جيب الصديرى بعلبة السجائر السوبر المقفولة، والتى سيخرج بها بعد ساعتين ونيف بدون أن تُفتح، وراح يهز رأسه ثم قال:

ـ أيوه يا أستاذ حشمت. حضرتك سألت سؤال ومستنى منى الإجابة؟ مش كده؟

لم يرد حشمت أو غيره من الجالسين على عبد الواحد الذى راح يهز قدمه والعصا وكأنه يستمع إلى موسيقى:

ـ بص يا أستاذ حشمت. حضرتك طبعًا أستاذ كبير ومربى أجيال، منهم ابنى الحسينى ده.

ثم لكزه بالعصا وهو يغمز له كى يتعلم شيئًا ذا بال من أبيه حفيد الثعلب الكبير الذى يضرب به المثل فى الدهاء، وهو يضيف:

ـ ولفضلك معروف للقاصى والدانى. وكما قال شاعر النيل ـ رحمة الله عليه ـ الأستاذ حافظ إبراهيم:

قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا.

ثم قبل ذلك كله يا أستاذ حشمت أنت أخ حكيم فاضل وحليم، كامل الرأى المصيب، بالموضوع عليم. وتعلم جيدًا، أنه لا بد من إتمام الإحسان،

وذلك بالإصغاء وحسن الرعاية والإرعاء، فإن الاستماع هو طريق الانتفاع.

ثم رفع العصا في الهواء وهو يهزها وأضاف:

ــ فإن كان حسن الأداء هي المرتبة الأولى.

قالها وهو يكاد يتيه فخرًا بنفسه ثم أكمل:

ــ فالاستماع هو المرتبة الثانية، وهي مرتبة لا شك سامية. وتلي تلك المرتبة مرتبة الإفادة. أما المرتبة الرابعة، وهي الجامعة النافعة، فهي درجة العمل بالكلام، ويقال إن درجة العمل بها فالفضل اكمل. أما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخرة، فهي الإخلاص في العمل وطلب الآخرة ورضا المولى. أكرمنا الله جميعا بتلك الصفة.

ثم غير اتجاه وجهه وهو يرفع العصا ويشير بها للمرأة الجالسة وهي لا تفهم أكثر كلامه. وأضاف:

ــ ستي الحاجة أم ريعو قالت إيه بالحرف الواحد اللهم صلي على حبيبه!

ثم وضع العصا على الأرض وارتكز بيده الأخرى عليها وهو يرفع يده في الهواء ويضيف:

ــ أنا فوضت..

ثم سكت لحظات قبل أن يضيف:

ــ ابني ريعو يتكلم مكاني. وده كلام مفهوش أي غلط. ليه بقى.؟ حد يسألني.

ــ ليه يابا.

قالها الابن استجابة لسؤال الأب الذي لم يعلق عليه أي من الحضور.

ـ قلت لي ليه يا تعلب يا صغير. بص يا عم ولو إنك مش هتفهم حاجة.

ثم غيّر اتجاه رأسه إلى الأستاذ حشمت ووجّه الكلام له تاركًا الابن الذي أغاظه منذ لحظة بعد أن أحجم الجميع عن الالتفات لما قال:

ـ يعني الست الحاجة ليها كل الحق إنها تخلي الباشمهندس ريعو يتكلم، أو الحاج رمضان يتكلم، أو حتى الحسيني عريس بنتها يتكلم بالنيابة عنها. براحتها يعني.

ثم سحب نفسًا من السيجارة التي وقفت عن العمل أكثر من اللازم وطيّره مصحوبًا برجع صوته وهو يقول.

ـ ارجع للكلمة اللي قالتها ستي الحاجة، وطبعًا الأستاذ حشمت والسادة الأفاضل يعرفوا كويس في علم اللغة، ولكن عليكم جميعًا أن تعوا كلامي بسمع حيَ، حتى يتبين الرشد من الغي، وإن أعرضتم عن عين اليقين، فلا إكراه في الدين.

أنا فوضت اللي بدأت بيها الحاجة كلامها ده دعاء. يعني نسمع كل الناس تقول أنا فوضت أمري لله فيك. أو أنا فوضت فيك ربنا. ماشي الكلام يا أستاذ حشمت؟ ولا أخوك العبد لله الأمي بيقول حاجة غلط ؟

لم ينتظر ردًا منه، وسحب العصا وغيّر اتجاه وجهه وصار يواجهه المقدس الذي كان يعرف خطيئته منذ البداية، ويعرف أن "العدرا" لن تتركه يحنث بوعده الذي اتخذه في حضورها عبر مرور الكرام، وخصوصًا في

وجود يهوذا الاسخريوطى المتمثل الآن فى عبد الواحد الذى قال:

ـ آجى بقى لكلام عمنا المقدس عوض الله اللى سكت قبل ما يغلط لما الأستاذ حشمت شدّه من إيده قبل ما يكمل كلامه. وده مش معناه إنه مغلطش يا محكمين. المقدس بقى قال: الست حرة يا جدع، أما أنت صحيح وسكت.

إيه بقى بعد أما أنت صحيح ديه؟ حاجات كتيرة ما تتعدش. خد عندك. سماجة، رخامة، وساخة، رزالة، إلخ.. إلخ.. وده مش معناه إنى زعلان منه لا سمح الله! أنا بس زعلان من حاجة تانية خالص. المقدس عوض الله واخدنى على السمع، يعنى بيسمع فلان يقول عبد الواحد أبصر إيه، أبو شديد العلب مدرك إيه، وبعدين عبد الواحد يعمل إيه ومكتوب على ساق عرش الواحد القاهر لا راد لألسنة الناس.

ـ أنا مش ودنى يا عبد الواحد. أظن إنى عاملتك خمس مرات، وأكيد أنت فاكر كويس كانوا فين؟

قاطعه المقدس بحدة وهو يذكره بالمجالس الخمسة التى حكم فيهم عليه، لكنه هزّ رأسه وبسرعة قال:

ـ طبعا فاكر يا مقدس، بس الظروف دائمًا كانت ضدى ومش فى صالحى. وعلشان كده سيادتك كوّنت صورة مش كويسة عني، مع إنى ودى مش شكرانية فى نفسى يعنى.

ثم هزّ رأسه وهو يلف العصا بين يديه على الكليم وسكت.

ـ إحنا مش جايين مناظرة يا عم عبد الواحد. إحنا جايين في مهمة محددة وعاوزين نخلص ونتوكل على الله نشوف مصالحنا.

قال الحاج رمضان وهو يجدها فرصة سانحة للتخلص من الاستعراض الذي راح يصنعه بحرفنة المدعو عبد الواحد، والذي يلعنه الواحد الأحد من فوق سبع طباقًا.

ـ عندكَ حق يا حاج رمضان، بس بعد إذنك أرد على السؤال الأخير في دقيقتين اتنين علشان خاطر الأستاذ حشمت.

وأشار بإصبعين في الهواء.

ـ الأستاذ حشمت متشكر جدًا ليك، ومش عاوز أي إضافة من جنابك، وخصوصًا وإنه وراه مجلس حاضر فيه وزير وعشرة من أعضاء مجلس الشعب عند الحاج موسى القدوق بعرب راشد.

قال الحاج رمضان لينهي الطريق على عبد الواحد الذي رفع يديه في الهواء، وأشار بإصبعين مرة أخرى وهو يقول:

ـ هما دقيقتين من فضلك يا حاج رمضان علشان الكلام مايقلهوش ديل.

ـ سيبه الدقيقتين والنبي يا عم الحاج خلينا نخلص؛ ده أبويا وانا عارفه.

هكذا قال الحسيني وبين على وجهه الغلب والمسكنة وقلة الحيلة مع أب مثل ذلك وهو يواجه الحاج رمضان الذي ردّ عليه سريعًا قائلاً:

ـ أمري لله؛ اتفضل يا عبد الواحد.

الذي كان يرفع عصاه في الهواء ويسقط بها بقوة على الحسيني الذي خرجت منه ما يشبه آهة ويقول له بغل واضح.

ــ والله ما اعرف انت ابنى إزاي يا ابن الكلب!

ــ اتفضل يا ريس عبد الواحد وابقى كمّل تربيته في بيتكم.

قال أحد الحكماء.

ــ آه. حاضر.

آه. اللهم صل على حبيبه: كبيرنا الحاج رمضان هو مش قصده يغلط فيّ ولا حاجة، بس هو زعلان ومزمزأ مني شويتين علشان ما نفذتش آخر حكم له عليّ، وهو عنده حق، وكبير غصب عن العلب الكبير ربنا يشبش الطوبة اللي تحت دماغه، بس أعمل إيه والإيد قصيرة والعين بصيرة! وعين الحاج رمضان ميزان وبتعرف توزن الظروف وبصيرة بحالي اليومين اللي فاتوا..

ــ خلّصت يا ابو الحسيني ولا لسه عندك كلام تاني؟

قالها الأستاذ عبد العظيم حماد، رئيس النقابة بشركة مصر حلوان للغزل والنسيج، وهو يتعجب من قدرة الله عز وجل على استحمال رجل مثل ذلك تحت سمائه وفوق أرضه وهو القادرعلى أن يخسف به الأرض ليريح أي إنسان تجمعه الظروف ولو لمدة لحظات في مواصلة عامة مع عبد الواحد.

ــ آه يا أستاذ عبد العظيم. اتفضل يا حاج رمضان ابدأ من الأول.

عند ذلك جاء أحد صبيان المعلم الذوق وطلب من الأستاذ حشمت أن يأتي على وجه السرعة لأن المعلم في انتظاره، فخرجوا على موعد آخر يوم الجمعة القادم، وقبل الفرح بيومين لينهوا فيه كل شيء بإذن الله.

16

دعبس دعبس الكبير

أبو العريف. هكذا أطلق عليه ثعلب الحكر الكبير أبو شديد الثعلب، وأطلق عليه موسى الذوق لقب سيادة المستشار، وأبو موسى الأشعرى لقب منحه إياه الأستاذ خطاب عبد الله خطاب شيخ زاوية أبناء الناعورة. أما عن نشأته الأولى، فتقول أمه إنها يوم حملت بدعبس رأت رؤية فحواها أن جميع مشكلاتها ستحل من تلك النطفة التى تحركت فى بطنها. يوم مولده كانت تحمل فوق رأسها البرميل البلاستك، وتطلع السلم، وأحست بالماء ينفجر منها، وركنت جنبها على الحائط، وكادت ترمى بالبرميل، لكنها خافت من حماتها التى تسكن الدور الأول الذى سينزل عليه برميل الماء الذى يصل إلى مئة لتر كما خافت على تعكير علاقتها بزوجها الذى يتلكك لها، وينتظر ولى العهد بعد بنتين. كل ذلك مضى على خاطرها لمدة "فتو ثانية" حتى سمعت صوتًا يخرج من بطنها يقول لها: ضعى البرميل على بسطة السلم. كانت بالفعل حادثة غريبة طالما قالت عنها الجدة: إن المخسوفة زوجة

ابنها فعلتها. وهي التي خرجت على صوتها ورأتها تفتح يديها لتمسك برأس دعبس الذي حمل اسم جده الذي اختفى ذات يوم وهو يقرأ في كتب السحر، ولما جرت وأمسكت بالدعبس من يد الأم وأخرجته تمامًا وقطعت الحبل السري وأدخلته إلى شقتها ثم عادت وأمسكت بالأم ونزلت بها تسع سلّمات لتحت البرميل يقف على الترابزين فضربت يدها على صدرها واستعاذت بالله مما رأته. كان هذا مقدمة لفصل وشخصية رئيسية في العمل، ويعتبر هو محرك الدسائس ومفجر القضايا في بعض أجزاء العمل، كما يكون هو المنقذ لمواقف كثيرة، لكنني وبعد أن انتهيت منه، وجدتني فقط أشير إليه وأرفع من العمل كل ما يخصه لأضعه في عمل آخر، لذا وجب التنبيه ولفت نظر حضراتكم.

17

على رأى أم سيد. وقوع القضا ولا انتظاره.

وكما طبقه سيد ذاته، ابنها، مع حضرة الباشا إبراهيم موسى عيسى حين قال له، ليرد على كلامه عن كونه لن يدفع إيجارًا بعد الآن، وإنه أمن دولة ط.. و.. ا.. ر.. ى. وعند طوارئ يمكن من إحضار وجه الزعيم جيدًا وأخرجها بعزة نفس وثقة في عمله وإرعابًا للمدعو سيد الذي انتفض بعد سماعه "طوارئ" مقطعة بهذه الطريقة.

ـ طالما حضرتك ما بتدفعش. أنا بعد إذن حضرتك ما بسكنش.

ثم فرك يديه وهو ينظر في الأرض ويضيف: وعلى أول الشهر إن شاء المولى ها تسلمني الشقة لو سمحت جنابك.

ثم رفع يديه وعيونه وهو يقول:

ـ والشهر ده نعتبره ما عداش عليّ وعليك..

قالها سيد بأدب جم، وتحرك من أمام المخبر إبراهيم موسى عيسى وارتقى السلم وهو يفكر في تهديدات إبراهيم التي كان يستمع إليها ما زال، كما

استمع إليها مرة أخرى وهو يقف أمامه في القسم حتى دخل إلى شقته في الدور الرابع.

ـ إيه؟ صوت الأستاذ إبراهيم كان عالي ليه؟

ـ شورتك السودة.

قالها وهو يجلس على الكنبة متجنبًا ضربها، كما فكر كثيرًا وهو يستمع إلى الإهانات المتواصلة من سيادة المخبر الذي أقسم بين طلاق بأن يحلق شنبه إن لم يجعله يقول له أنا مرة، تلك الجملة التي قالها بعد ذلك بيومين وليلة فقط، وبعد ليلة وحيدة باتها في (لاظوغلي) المقر الرئيسي لأمن الدولة، وعلى الرغم من ذلك لم تشفع له، واستمر محبوسًا بقية الأسبوع ليقولها بعدها مرات كثيرة.

ـ وأنا كنت عملت لك إيه بس يا أبو السيد؟

ـ ابنه حلف طلاق ليحبسني، علشان بقول له فين الإيجار، حقي بس؟

قالها وهو ينظر إليها بغضب وتساؤل وخوف وحدة، ثم وهو يهبط بيده محدثًا صوتًا عاليًا على فخذه.

ـ الأستاذ إبراهيم؟

سألت الزوجة بعدم تصديق.

ـ أيوه يا أختي إبراهيم باشا.

ثم سكت قليلا وهو يبحث عن شيء ما يعرف أنه يضاف إلى ذلك الاسم، لكن زوجته سألته:

ـ والعمل يا أبو محمود؟

ـ مش عارف.

رد سيد وهو ينظر إليها في حيرة وشوق لمشورتها، رغم أنه منذ قليل وهو يستمع إلى ما سوف يحدث له على يد إبراهيم كان قد أقسم أكثر من يمين يعلمه الله وحده أن لا يستمع أبدًا إلى رأيها:

ـ دي ساعة شيطان، وإن شاء الله الأستاذ إبراهيم للبه أبيض، ومش هيعمل حاجة بإذن واحد أحد. ما تقلقش يا اخويا. ربنا هيسترها إن شاء الله علينا.

ثم رفعت يديها تتلمس قدرته عز وجل وتطلب أمانه ونصرته مضيفة بصوت ستعرف فيما بعد أنه لم يكن مؤثرًا في قدرة ذلك الإله على عدم تحريك أربعة لواءات أمين شرطة برئاسة عميد، غير كتيبة من العساكر حاصروا بيتها في فجر اليوم الثالث للواقعة بعد وصول تحريات قام بها إبراهيم موسى عيسى، وقالت:

ـ هو احنا لينا مين غيره هو، عالم بحالنا وغني عن سؤالنا.

ـ عندك حق. ربنا يعديها على خير.

ثم أخرج النفس الذي أخذه من السيجارة وهو يضيف مع الدخان الخارج من فمه وفتحتي أنفه: أيوه تذكرت إبراهيم باشا أبو إصبع بروح أمه.

بعد ذلك بيومين دخل إبراهيم إلى عبد الوهاب باشا الفقي. عميد أمن الوطن بمنطقة حلوان، ليرد عليه:

ـ يا باشا أنا بقالي شهر و13 يوم مراقبه حلو.

ثم رفع يديه في الهواء وهو يضيف: وقبل كده بأسبوعين كمان يا باشا.

ـ يعني أطلب أذن نيابة يا إبراهيم؟

قال عبد الوهاب وهو يرمي بقلم على سطح المكتب محدثًا صوتًا.

ـ أنا شغال مع سعادتك بقالي 11 سنة، ثم وضع يده على صدره وهو يؤكد ويضيف:

ـ وسيادتك عارف إن شغلي على مية بيضا.

ـ بس ده ما لوش دوسيه في المديرية يا إبراهيم!

رد عبد الوهاب باشا وهو يغادر كرسيه ويتجه إلى الشباك المطل على ساحة مبنى أمن دولة طوارئ أمام مبنى عمر أفندي بشارع منصور بحلوان.

ـ ابن جنية يا باشا.

قالها بسرعة وفي عيونه لمعة ثم حرك يديه وهو يشد القميص ويهز رأسه إلى نفسه بإعجاب ويضيف:

ـ بس على مين؟ أنا لبدت له في بيته لغاية ما تأكدت إنه بيوزع منشورات إسلامية.

ـ تفتكر دي خلية ولا شغل فرداني يا إبراهيم؟

قالها عبد الوهاب باشا وهو يعود برأسه من فتحة الشباك ويقترب أكثر من وجه المساعد ثاني إبراهيم موسى عيسى الذي عمل في المباحث خمس سنوات ثم عمل في مبنى لاظوغلي ثلاث سنوات قبل أن يستقر به الحال

بمنطقة حلوان منذ إحدى عشرة سنة منذ خرج من الجيش حين شاء حظه الجميل أن يخدم في سلاح الحرس الجمهوري في بداية عهد الرئيس الحالي الذي رشحه للعمل بسلك الأمن القومي.

ـ ما أقدرش أكدب على حضرتك يا باشا؛ كل اللي متأكد منه هو بس.

مد عبد الوهاب يده وضربه على بطنه برود وهو يسأله:

ـ يعني طول المراقبة ما شفتش حد معاه من ولاد الكلب اللي إحنا عارفينهم وسايبينهم؟

امتص إبراهيم الضربة بطريقته الخاصة التي أصبح يجيدها منذ عمل مع سيادة الرائد عبد الوهاب الفقي في مبنى أمن دولة طوارئ حلوان وهو يرد عليه:

ـ لا يا باشا. الشهادة لله ما شفتش. أنا لبدت له في بيته، لكني ما شفتش حد من العيال اللي إحنا عارفينهم.

في مساء ذلك اليوم نظر سيد إلى زوجته التي أنزلت يديها ووضعتها في حجرها وهي تزوغ بعيونها من عين زوجها المتربصة بها، والذي لم يجد أمامه إلا أن سألها:

ـ لما نزلتي لمراته قالت لك إيه يا أم محمود؟

ـ زي ما قلت لك والنبي يا أبو محمود، ورحمة أمي الغالية، الست حالفه لي بأنها ها تخليه يجي لك بكرة آخر النهار يسلم عليك ويديك الإيجار كمان.

ـ قطيعة الإيجار واللي شاريه. المهم هو خلاص؟

ـ الله يسامحك يا أبو محمود.

قالتها وهي تعود بعيونها الزائغة إلى عيونه بود وعشق ظاهر مما جعل سيد يكتسي بالرقة والطيبة التي يشتهر بها في الحكر ثم مد يده إلى رأس زوجته وربت عليها قائلا :

ـ مش قصدي يا ولية.

ثم سحب يديه ورفعها في الهواء مشرعة الأصابع وهو يضيف:

ـ بس مش هو تحت؟ مطلعش ليه ؟ لو عاوز يطلع ؟

ـ جاي تعبان من الشغل يا حبة عيني. كان نبطشية إمبارح.

ـ الله يكون في العون.

بتلك الجملة انتهى اليوم وانتظر سيد أبو محمود ساكنه الحبيب الذي طلب من الله عز وجل أن يمنحه العون والمدد بنية صافية حتى الساعة العاشرة مساء اليوم الثاني على أحرّ من الجمر مفضلا صلاة المغرب والعشاء والشفع والوتر في بيته على عكس عادته منذ اشترى عتبة بيته في بداية الثمانينيات بمنطقة حكر أبو دحروج بجوار عمله حتى يكون في استقباله حين يطل بسحنته الرضية المرضية في عهد دولة الأمن القومي وقانون الطوارئ والمادة 76 المعدل، لكنه لم يطل بسحنته.

ـ إيه رأيك أنزل له أنا يا أم محمود؟ ممكن مكسوف يطلع ولا حاجة.

ـ وإيه اللي ها يكسفه بس يا أبو محمود، دانا عاملة له صنية بسبوسة هياكل صوابعه وراها.

ـ ممكن مقدرش يتصرف في الإيجار؟ ومكسوف ؟ الناس لبعضيها.

ثم راح يتحرك في الصالة وهو يحدث نفسه ويلومها:

ـ أنا بس إيه اللي خلاني أقول له على المحروق الإيجار ده؟ تتحرق الفلوس على اللي دقها؛ هي اللي بتخلي الواحد في نص هدومه قدام أخوه البني آدم. يا رب. والنبي عفوك ورضاك عني والنبي يا رب.

ثم رفع يديه في الهواء وهو يضيف:

ـ تفتكري أنزل له ولا زمانه نام؟

ـ هو مين يا اخويا؟

ـ الأستاذ إبراهيم يا ولية.

ـ إنت شايف إيه؟

ـ ما أنا بسألك أهوه؟

ـ وترجع تاني تقول لي شورتك وهبابتك. لا يا عم؛ إنت حر.

ـ أنا هنزل أضرب الجرس مرتين، ما ردّش ها أطلع على طول.

أكمل جملته وهو يأخذ الباب في يده.

18

بيت أبو صلاح

كان بيتًا عاديًا مثل أكثر بيوت الحكر، لا يحظى بأي ذكر، اللهم لو سأل سائل عن مكان يرمي به شوالين من بقايا الزجاج أو الأسلاك الشائكة وبقايا مواسير الاسبستس الضارة، تلك الأشياء التي لا يمكن الاستفادة منها في ردم البيوت مثلا، عند ذلك تُذكر الوسعاية التي تلتصق بالبناء المخصص لمولد كهرباء شركة الأسمنت، ولما لا يعرف السائل مكان الوسعاية من هذا الوصف ساعتها يُذكر بيت أبي صلاح دون تعقيب. لكنه، وذات يوم، وإثر فوز الأستاذ أبو اليسر، مرشح الإخوان المسلمين، الذي يسكن الدور الثاني فيه في دورة عام 96، ومنذ لحظة إعلان فوز أبو اليسر، وأصبح بيت أبي صلاح هو ذاته بيت الأمة حسب تعبير سلامة النمس. ظلت الوسعاية لما يقرب من عشرة أعوام مقلبًا لما ذكرناه آنفًا. كانت الوسعاية عبارة عن مستطيل كبير مبنى بالطوب الأحمر. لم يبق منه غير الضلع الخلفي يمسك به ربع الضلع المتقاطع مع بيت أبي صلاح. تلك المساحة صارت تنقسم إلى

قسمين، الأول هو كوم القمامة والمخلفات الذي يأخذ نصف الوسعاية من الخلف، وينخفض حين يقترب من بيت أبي صلاح، فيبدو كصورة لكثبان رملية والنصف الأمامي فارغ إلا من بعض المخلفات الخشبية، أو على وجه الدقة بقايا الكراسي والكنب وبعض كراسي الأنتريه. كانت أم مديحة، رغم كونها أم السفيرة نعيمة كما عُرفت بين كل شباب ورجال الحكر فيما بعد، هي التي بدأت بتكوين ما يتطلبه بيت الأمة، ثم رويدًا رويدًا، وللحق فقد خبرت الناس في الحكر، وقد تنافسوا جميعًا من أجل الفوز بخدمتها. كل هؤلاء اجتمعوا لكي يكتمل المشروع، في البداية قامت الست أم مديحة بتنظيف النصف الأول وعمل خمسة محلات ومقهى يُشرف على جبل المقطم كما صار يسميه ضاربو البانجو، وهم يقصدون مرتفعات المخلفات في الوسعاية، ولقد أراد الله لأم مديحة أن تُقيم مشروعها بمباركة كل المتنفذين في المنطقة، واستطاعت تذليل كل العقبات التي لاقتها بفضل مديحة ومعجزة البنات نعيمة، بالإضافة إلى سخاء مجهودها العضلي والنفسي والجسدي ورجل مجهول ظل دائمًا خلف أستار صنعتها أسطورة لقائها به ذات مساء، وإعطائه إياها عشرة كروت شخصية منه تمكنها من تخليص المصالح التي تريدها. لم تصرح لأحد يومًا عن اسم صاحب الكارت الذي يفتح لها الأبواب المغلقة. الست أم مديحة أتمت ما يلزم لبيت الأمة خلال سنة واحدة، وأكملت المشروع بعون الله ومجهود رجال الدولة وعضو الإخوان بفتح "السوق التجاري". على سور المصنع بطول ظل يزداد

مع الأيام حتى بيعت الشركة، ولكن أم مديحة كانت قد استولت على تلك الأراضي الممتدة بطول الشركة. ربما لا يعنيني كثيرًا كلام بعض العوام عن زيادة نفوس وفلوس أم مديحة، وإطلاق اسم المرأة الحديدية عليها. لماذا أعيب عليها ما صُنع بالبلاد بطولها وعرضها؟ ولماذا آخذ موقفًا منها رغم أنها في الحقيقة وعدت وأنجزت، وأدخلت الحكر في عالم السوق الذي لم يكن موجودًا قبل وجود أم مديحة؟ بل أكثر من ذلك فلها الفضل في فتح نادي أسمنت حلوان لأبناء حكر أبو دحروج، ولولاها ما اقترب جربوع من هؤلاء الجرابيع من سور الشركة والنادي.

وللحق أن ما فعلته أم مديحة عمّر منطقة الحكر، رغم أنها تستأثر بـ90 % من المكاسب، ويكتب كل شبر باسمها وأسماء بناتها، لكنها أبدًا ما وضعت قرشًا في بنك. كانت كل الأموال المسلوبة من أقوات الناس تستثمر في هؤلاء الناس، ولهذا أجزم أن السيد مبارك لو فعل ما فعلته أم مديحة لرفعه الشعب فوق رسه، ولقبل حتى بشكله الجمالي الخالي من الروح على شرط أن يأتي مبارك وحاشياته جميعًا بكل الأموال المنهوبة والموجودة في بلاد العالم. لن أطلب منه أن يفعل ما فعلته أم مديحة، فلها عثرات كثيرة ومخزية: لكنها والحق يقال أيضًا أفرحت الحكر وأبكته، لم تترك كبيرًا أو صغيرًا إلا وعاملته كما ينبغي لمواطن دحروجي أصيل يحق له التودد إليها، ولا تحرمه أيضًا حتى من لمسها في أماكن في الحقيقة يعجز الواحد أن يخبركم عنها. يعلم الله أن أم مديحة قد حكمت الحكر كما ينبغي لحاكم أحبَّ الناس، فأطاعوه،

وعصوا الله. ربما كانت أم مديحة هي ذاتها العفريتة زوبيحة التي ذُكرت في ألف ليلة وليلة، ابنة الشيطان الأولى التي أهلكت قوم عاد وثمود، أو ربما هي إحدى تجليات الشيطان. لكنّ الشيطان العادل خير من المسلم الظالم لأهله الذين رفعوه فوق الكرسي. ويمكن لي أن أقول إن أم مديحة رغم آثامها فقد رزقها الله بنعيمة سيدة بنات أهل الدنيا والهوى والحب حتى أن المقدس عوض قد أقسم لي بأنه وقع في إغواء نعيمة، واعترف بذلك لأبيه، بل وصل الأمر به أن اعترف للست دميانة زوجته التي كانت تراه رديف المسيح في طيبته وسمو خلقه. يعلم الله أنه كلما ذكر اسم نعيمة في محفل بأرض الحكر إلا وهبت على قلبه مشاعر وأحاسيس. كان مجرد النطق باسمها يفعل الأفاعيل في قلوب رجال الحكر، وليس المقدس عوض وحده. لقد أطلق واحد ـ لا يحضرني اسمه الآن ـ على المساحة المربعة التي يقف فيها بيت أم مديحة شائعًا أطلق عليها الأرض المقدسة، حتى الباشمهندس شحتة سائق سيارة الإسعاف ما إن يقف على المسرح حتى يطلب من الشاويش أن يضرب له سلام الأرض المقدسة. لا أحد ينكر صحة الشائعات التي أثيرت حول مشروعات الست أم مديحة، فالجميع يعرف علاقاتها المتعددة بكبراء الحي وقسم الشرطة والإدارة الهندسية والحزب والوزير الذي افتتح مصنعها الصغير الملاصق لسور الشركة الذي يحتوي على ثلاثة آلاف ماكينة تريكو يعمل عليها ثلاثة آلاف أنثى وذكر من أبناء الحكر براتب يومي خمسة جنيهات. ومن هنا ظهر للمرة الأولى طريق أبي دحروج القبلي، وثمّ

عمل البنية الأساسية من الدبش الأبيض الصغير بعدها تم تدشين خمسين عربية "راما" تابعة للنقل الجماعي الذي تكفلت به أم مديحة أيضًا. حين تقررت زيارة الوزير جاءت بلدوزرات الحي، وتمّ رصف الطريق بين ليلة وضحاها، وتحول من طريق مفروش بالدبش إلى طريق مرصوف بالأسمنت الساخن التي زكمت رائحته أنوف أهالي الحكر، لكنهم دعوا لأم مديحة التي حرّكت الحي كله ليرصف الطريق ويُزرع بعمدان الإنارة.

لن أستطرد في الحديث عن فرحة الناس بالطريق المرصوف، وأنسى قرة عين الحكر وشمسها المضيئة، وباعثة الأمل في قلوب من ينبت له شيء، لكنني سوف أحرمكم جميعا من التعرف عن قرب بـ"نعيمة" حتى لا يلهفها أحدٌ مني كما حدث مع شخصية "توحة" الغندورة في رواية دائما ما أدعو الموتى.

19

ج- الأنشطة الاقتصادية بالحكر.

1- تبلغ مساحة الحكر 112 فدانًا. أرض ملك الدولة، صحراوية يتخللها سلك الضغط العالي على ثمانية محاور، ويحيط بها من الجانب الشرقي والجنوبي سور شركة أسمنت بورتلاند حلوان سابقا "أسك حاليا". ويحدها من الجانب الغربي شريط مترو يصل ما بين حلوان والتبين ومدينة 15 مايو، أما الجانب الشرقي ففية ترعة لمخلفات مصنع الأسمنت تستعمله النساء في غسل المواعين والملابس، ويستعمله العربجية كمغسلة للدواب، أما الأطفال فيتخذونه مسبحا صحيا، وخصوصا بعد ظهور فوائد عدة، ويطلقون عليه اسم (البربخ)، أما السكان القريبون منه، فقد وجدوه فرصة سانحة للتخلص من مياه الصرف الصحي، وذلك بعد أن رفع أصحاب عربات الكسح الفيزة بعد تعديل سعر السولار النضيف.

2- يوجد بالحكر 14 مصنعا.

الأول: حديد البرنس الخاص، ويعمل به 750 عاملا ومهندسا برأس مال 99 مليون جنيه، وله مدخل من الناحية الغربية للحكر، والداخل والخارج منه

يأتي من طريق عرب راشد ومايو. الثاني: البرنس للألمنيوم، وله طريق مختصر على شريط المترو الذى يربط حلوان بالتبين، ويعمل به 250 عاملا، ورأس ماله 77 مليون، والثالث: للمناديل الكلينكس المستخرجة من بقايا مستشفى النصر للتأمين، ويعمل به 120 طفلا وخمسة موظفين وحارس. والرابع: لصناعة البلاستك، ويعمل به 220 امرأة وطفلا. وهناك خمسة مصانع مماثلة يعمل بها ما يزيد عن 800 عامل وخمسمائة عربة كارو للقمامة ومخلفات الترع والمصارف.

واحد لتصنيع الثلج، ويعمل به 189 عاملا برأس مال مشترك 4 ملايين جنيه، ويمتلكه الإمبراطور، وبه أسطول عربات كارو يبلغ 280 عربة بحصان جر، كما يعمل به 460 طفلا على تروسكلات. وآخر ينتج الآيس كريم، ويعمل به 45 عاملا وعاملة. ويبلغ رأس مال المصنع حوالى 8 ملايين و900 ألف جنيه، (ثلاجة كبيرة الحجم، وماكينات لتصنيع المنتج، وسبع عربات مجهزة بالثلاجات لنقل المنتج)، ويمتلك المصنع أبناء الإمبراطور. أما الثالث فلتصنيع اللانشون، ويعمل به 27 عاملا، و240 طفلا، ورأس ماله 1 مليون و200 ألف جنيه، ويمتلكه شخص واحد. أما المصنع الأخير فهو لتصنيع مياه غازية محلية تسمى الناموسة، ويعمل به 120 أنثى غير ذكر، ورأس ماله مليون و300 ألف جنيه، ويمتلكه المعلم ناموسة الذى يفتح أبوب المصنع بالليل لوردية لم يتبين للجنة معرفة عاملهم، وهناك إشاعات تقول إنه يعمل على ضرب أنواع من الخمور لحساب المعلم الزوق، اليد اليمنى لمعلم يسمى وهمًا بالكبير أو الإمبرطوار.

20

أتذكرون إحسان الطالع عبود، عمتي؟ أنا سعد الطالع الذي لا يستطيع أي كاتب غيري أن يتعرض لها بقصة أو برواية بدون إذن مكتوب مني. لن أتكلم عن القوانين التي تحمي حقوق الإنسان مع صلة الدم. كما أني لن أسأل عن حقوقي التي كفلتها اتفاقيات الجات، وكما يقول المثل الشعبي: جحا أولى بلحم طوره. كما أني أولى بإحسان الطالع عبود، تلك الصبية الصغيرة التي ــ على غير عادة الأطفال في كفر هلال ــ دخلت المدرسة الابتدائية، واستمرت فيها حتى اجتازتها بنجاح حتى انتقلت إلى الكفاءة، وخرجت منها وهي تحمل لقب أبلة إحسان، مدرسة اللغة العربية بمدرسة السنطة الابتدائية، التابعة لمديرية الغربية في عام 1956. لا شك أن كثيرين يعرفون ذلك التاريخ، ولكن قبل ذلك علينا أن نعود إلى الطالع عبود، شيخ البلد الذي عينه النحاس باشا بقرار موقع منه ظلت الأسرة محتفظة به حتى أواخر الثمانينيات. هل تفهمون من ذلك شيئا؟ قلت ذلك لأعرفكم البيئة السياسية التي ترعرعت فيها إحسان، لأقول لكم إنها بعد أن استلمت العمل بأسبوع،

وهي البنت الريفية الجميلة، والتي لها ثلاثة أخوة أكبرهم أبي، عامر الطالع عبود، قد ذهبت للمرة الأولى في حياتها إلى القاهرة، ومنها إلى السويس وبور سعيد، واستمرت في التنقل حتى انهار العدوان الغاشم، وعادت لتفاجئ الأسرة التي اعتبرتها في عداد الذين انشقت لهم الأرض وبلعتها بقصص من البطولات النادرة مدموغة ببعض شهادات من أعضاء مجلس قيادة الثورة ليعود على إثرها الطالع عبود إلى مشيخة القرية مرة أخرى، ورغم ذلك لم يغفر لها ذلك أبدًا، وغير مصير حياتها، ولم تشفع لها عنده شفاعة الشافعين، وزوجها بمغاوري ابن خالتها الوحيد الذي عرض نفسه كضحية بعد أن فر منها أبناء الأعمام، وهم كثر بعد غيابها على خط الجبهة بدون ترك ولو كلمة تطمئنهم، وهم يمرون ما بين الجسور والترع والمصارف والاسطبلات للبحث عن أي شيء يمت بصلة إليها. ظلت حبيسة الحجرة الشرقية ببيت أبي زوجها وزوج أخت أمها طيلة 15 عاما بعد أن رفضت منذ اليوم الأول الدخول إلى عالم الفلاحين الذي غردت عليه من البداية، كما أنها لم تجده حتى وفاة الطالع عبود في 15 مايو من عام 1971. بالطبع أعلم أنكم ستذكرون ثورة التصحيح، وبطلها، وبطل الحرب والسلام، وكل الأوصاف التي أطلقها الآخرون عليه، كما أنكم لا بد قرأتم جميعا الكتب المكتوبة عنه (من مريديه ولاعنيه وما بينهما)، بالطبع لن أتعرض لذلك الرئيس، لا لشيء إلا لأن الأحداث الهامة في حياة عمتي إحسان سوف تنطلق بعد ذلك بكثير فما إن مات الأب كما ذكرت لكم في 71 حتى عادت إلى منزله للعزاء، كما

هو واجب، ولكنها رفضت أن تعود مع المغاورى الذى أغفلنا ذكره طوال 15 عاما، لكن ممكن أن نقول عنه إنه ابن أبيه في الطباع والسلوك والمعيشة والسكن والغيظ والصلاة والمشكلات والمظهر والمأكل وكل شيء عدا شيء واحد. كان عاقر. ومن أجل ذلك رفضت إحسان أن تعود مرة أخرى معه حتى بعد أن ساق طوب الأرض عليها، ولم يجد بدًا من تطليقها والزواج بأخرى بعد أسبوع من وصول ورقة المأذون يحملها أبو المغاورى وخالتها التى تطبعت بطباع المغاورية. مرة أخرى مرت أعوام السادات عليها وهى تشاهد التليفزيون الأبيض والأسود وتقرأ فى الكتب بعد أن رفض الأخوة عودتها إلى التدريس بعد ضياع العمر والطلاق الذى صممت عليه، ومن أجل ذلك تنازلت عن كل شيء للمغاورى. شاءت الظروف أن يتقدم لها رجل من نفس البلد، ويمت بصلة قرابة من بعيد، ويعمل موظفا بالمصانع الحربية في حلوان، وماتت زوجته بدون أن يرزق منها أو من غيرها بوريث فى شهر أغسطس من عام 1981، وتحدد للزواج اليوم الثالث من أيام العيد الكبير الذى على بعد شهرين. لم يؤثر موت الرئيس على موعد الزواج الذى اقتنعت به أما اقتناع إحسان الطالع ووجدته فرصة سانحة للخروج من كفر هلال التى كانت فى الطريق للانضمام إلى محافظة المنوفية محافظة الرئيس الرحل والقادم والمتوغل والمستمر والمستمر والمس.....مر.

دخلت إلى شقتها الجديدة بالبيت رقم 81 بشارع الملك إبراهيم بحكر أبو دحروج كما سيسمى فيما بعد. لسنوات عشرة أخذت فيهم الخطة

الأول والثانية من الزعيم الجديد شعارات كثيرة لم تلتفت لها إحسان أو الأستاذ فتحي زوجها الذي نسيت أن أطلعكم على اسمه نظرا لانشغالها الدائم على اللف على كل دكاترة القطر من أجل طفل سوف يمسك برئاسة شارع الملك إبراهيم الذي لا يعرف أي من علماء التاريخ الفترة الزمنية التي حكمها، كما لا يعرفون ملكاً بذلك الاسم. شاء لها الله أن تتأكد من عقمها وعقم زوجها أيضًا في شهر أكتوبر من عام 93 بعد أن أكملت الثالثة والخمسين وشاهدها دكتور ألماني الجنسية لا يتكلم لغتها، ورغم ذلك ظل يقف أمام المترجم ليتأكد من شيء واحد هو أن السيدة التي أمامه، والتي لا يعرف حتى اسمها، ولم يسبق له مجرد التحدث لها، قد اقتنعت وسمعت أنه من رابع المستحيلات أن تنجب طفلا. عادت حزينة والدموع في مآقيها ترج ما بين الرجة والرجة في العربة (الراما) إلى المنزل رقم 81 بشارع الملك الذي عثر على حفريات تؤكد تواجده في حكر أبو دحروج أثناء مروره، وهو يصطحب هاجر زوجته، كما قال شيخ زاوية أبناء الناعورة بمحافظة المنوفية بحكر أبو دحروج ذاته ذات جمعة ليؤكد للمنحرفين من أهل الحكر أن أرضهم طاهرة، وأن دينهم حنيف. فتح فتحي باب البلكونة لكي يدخل الهواء في شهر أكتوبر وهو يطمئنها ويذكرها بأفعال الله الذي لا راد لقضائه، وإذا به يفاجأ بصورة للسيد الرئيس تمنع دخول الهواء من بين الأسياخ الحديد التي صمم على عكس كل البيوت أن يصنعها بدلا من الطوب الذي، وإن كان منع انكشاف حرمة البيت، فإنه منع الهواء أيضًا،

ولذلك صرخ في صوت عال حتى أن إحسان التي كانت تتلقى منه آيات الصبر والسلوان كادت تسقط على بلاط الشقة، وهي تخرج مسرعة لتلحق بزوجها قبل أن يتحر كما صور لها الشيطان والصوت الخارج منه.

ـ إسماعيل. أنت يا إسماعيل. رد عليّ يا إسماعيل.

اقتربت منه وهي تلهث وغسك بيديه قبل الاصطدام بحديد البلكونة الذي منعت عن الوقوف فيها حتى لا يكشف أحد العاطلين الذين ينامون ليل نهار على المخروبة القهوة بتاع إسماعيل النمس لون قميص النوم أو الكلوت.

ـ فيه إيه يا اخويا؟

ـ خشي انتِ يا إحسان.

ـ مالك بس؟ حصل إيه؟

ـ منتيش شايفة البلوى اللي معلقها إسماعيل وبيجامل بها بتوع الحي والحكومة على قفايا علشان يصهينوا على البانجو اللي بيتأجر فيه عيني عينك.

ـ بلاش يا فتحي نعمل مشكلة مع ناس لبط. إحنا مش شكلهم ومش قد بلاويهم.

قالتها إحسان التي نسيت تماما الأخبار المحزنة التي سمعتها من فم الطبيب والمترجم، وهي خائفة على زوجها الثاني الذي يغار عليها من الهواء الطائر، ويلبي كل مطالبها حتى لو كان لبن العصفور، والذي عوض ما كان يفعله المخفي المغاوري. وأمسكت به لكي تدخله في اللحظة التي انتبه المعلم النمس إثر إشارة من أحد العاطلين إلى النداء.

ـ مسا الخير يا أستاذ فتحي.

قالها إسماعيل النمس وهو يلوم نفسه كثيرا أثناء تطلعه إلى فوق حيث بلكونة الست إحسان المرأة الربعة والفرس الجامح حسب تعبيره، والتى كان ممكن له أن يحدد لون ملابسها الداخلية لولا صورة المحروق التى يشترى بها نفسه من ضابط المرافق الذى أخذها حلوانة فى سلوانة، وراح يبعث بمخبريه ما بين اليوم والثانى من أجل رفع الكراسى المنتشرة فى الطريق ووضعها فى عربة البلدية قبل أن يذهب النمس نفسه ويدفع مائة وخمسين جنيه غرامة غير الإكراميات الواجب دفعها للسادة إمناء الشرطة حتى يعود بالكراسى والترابيزات بدون خدش أو نقصان.

ـ إيه ديه يا معلم؟

قال فتحى وهو يمسك بصورة السيد الرئيس ويهزها فى الهواء الذى لم يعد يدخل الحجرة.

ـ دي أوامر عالية يا عم الناس.

ـ ومين بقى اللى طلع الأوامر دي؟ سعادته؟

أشار المعلم وهو يحاول أن يمسك ببياض ورك الفرسة مرة أخرى قبل أن يتيه الفارس المحسود على فرسته وقال:

ـ طبعا لا يا عم فتحى.

اتجه النمس بوجهه إلى الأستاذ فتحى وترك مفاتن وكنوز الربعية الجميلة بعد أن تأكد أنه ما زال منتظرًا رده على سؤال خرج من فم فتحي: مين اللى حط الصورة ديه هنا؟ ومين اللى طلع فى غيابى الشقة؟ وعلقها كده؟

ـ لا متخفش. رئاسة الحي كانت باعتة العربية اللي فيها ونش بيطلع وينزل، وعلقوها بيه.

ـ يا معلم الصورة مكتوب عليها حكر أبو دحروج كله يبايع الرئيس لفترة جديدة، مع تحيات المعلم إسماعيل النمس. مش أنت برضو إسماعيل النمس، ولا فيه نمس غيرك في الحكر وأنا معرفش؟

ـ ما يستجريش نمس غيري يظهر في الحكر. كنت أفرمه بس تقول إيه يا عم؛ الشباب الصيت ولا الغني! هما قالوا لي نكتبها باسم مين، قلت لهم النمس وخلاص. يعني تحميل جمايل يا عم فتحي.

ـ على حسابي؟

ـ على حسابه.

قالها وهو يشير إلى صورة الزعيم، ثم أضاف بتهكم واضح: مش هو الكبير؟ وعنده لا مؤاخذة حساب مفتوح على بياض؟ يعني يشاور بجمعنا كلنا عند "تعتمد" يرفع صباعه الصغير يطرح عدوك على الأرض ويجيبه لحس أكتاف في ثواني. يغمز يقسم ظهر دول وممالك يعرفها ربك. يحب يضرب التخين على قفاه ما عدا الأمريكان طبعا. يعني بالمختصر المفيد هو اللي بيعين الجماعة بتوع الحساب كلهم من أول الجدول لآخره.

ـ خدتني في دوكة انت بالكلمتين دول. أنا هشيلها؛ عاوز حد يشاور له عليّ.

ـ أسبوعين ثلاثة بالكثير وربنا هيعدي اليومين دول على خير. ده الحاج

محمود طلع للجماعة اللي كانوا بيعلقوا اليافطة على بيته، ولـــه ما تكلمش كلمتين لقناهم شالوه هيلا بيله وحطوه في البوكس يا ولداه! يا عم أنـت ها تدخلني في الـــياسة وأنا راجل بقضي نص عشايا نوم؛ تصبح على خير يا عم فتحي.

قالها وتحرك، ولم يعط فرصة لفتحي أن يفتح حنكه معه، ودخل القهوة، وخصوصًا وقد انـــسحبت الفرس من المشهد. وقف فتحي يفكر في كلام النمس المرشد كما يطلقون عليه، وراح يمر بيده على حواف صورة الزعيم ليفك طرف الخيط المعلقة بها قبل أن يجد نفـــه يعيد وضعها بالطريقة الصحيحة ليظهر فيها بطل الضربة الجوية الأولى يطل لأعلى شارع الملك إبراهيم بشكل معدول على الأقل بعد أن كانت الصورة معلقة، وبها ميل غريب وواضح، وبالرغم من ذلك لم ينتبه له العاملون الذين علقوا في مساء ذلك اليوم أكثر من ألف وثلاثمائة صورة للزعيم في حكر أبو دحروج وحده.

21

دخل محمود الضبع إلى عيادة الدكتور عبد الحميد في ميدان حلوان، اقترب من الحاج سليمان، مدير عيادة النساء والولادة، وسلم عليه وهو يقبله ويعامله بكل حفاوة واحترام. جلس على أحد الكراسي بناء على إشارة الحاج الذي.كان يحاسب زوج إحدى الزبائن وزوقف حين دنا منه خالد سليمان الذي ما إن شاهده حتى أسرع إليه، ليرتمي في حضن أستاذه كما يلقبه.

ـ إزيك يا عم خالد.

ـ إزيك انت يا محمود بيه.

ـ الحمد لله. وأخبار إخواتك والحاجة إيه؟

ـ بيسلموا على حضرتك كتير السلام.

ـ النتيجة إمتى يا حضرة الزميل المبجل.

سأل محمود وهو ما زال يقف أمام الشاب الذي يعمل في عيادة صديقه.

ـ إن شاء الله بعد شهر.

ـ ياه؛ اتاخرت ليه كده؟ دي كانت على أيامنا بتأخد شهر بالكتير.

ـ على أيام سعادتك كانت الدفعة 250 طالب. دلوقتي بقت 2500 طالب.

ـ المهم إيه الأخبار؟

ـ أنا الحمد لله مستبشر خير لأني طالع الأول زي ما حضرتك عارف طول التلات سنين اللي فاتوا.

ـ منورنا يا محمود بيه والله العظيم.

قال الحاج سليمان أبو خالد ومعلم القرآن لمحمود في الطفولة وجارهم السابق قبل أن يتزوج محمود ويترك شارع الملك دنيال بشبرا.

ـ ده نورك والله يا عم الحاج أبو خالد.

التفت إلى ابنه وسأله بجدية.

ـ إيه يا خالد مش سلمت على أستاذك العظيم؟

ـ أيوه حضرتك.

ـ طب ممكن نشوف شغلنا لو سمحت.

ـ بعد إذنك يا محمود بيه.

قالها الشاب، وهو يتحرك للخلف، وينزل برأسه إلى الأرض، وكأنه في حضرة ملك أو رئيس.

ـ وبعدين يا عم الحاج؛ أنا عاوز أقعد معاه شوية.

قال محمود وهو يمسك بيد خالد.

ـ بعدين يا محمود بيه، قهوة محمود بيه مظبوطة يا خالد.

قالها الأب وهو ينظر إلى ابنه الذى ابتسم وهو يقول:

ـ عارفها، بعد إذنكم.

قالها وهو ينسحب بسرعة مخلصا يده من يد محمود الذى لم يجد أمامه غير النزول على رأى مدير العيادة.

دخل عليهم عبد الحميد الذى رحب بصديقه وقال له فى ود:

ـ لما أنت هنا ما دخلتش عليّ ليه.

ـ والله هو كان عاوز يخش لك بس الراجل بمجرد ما عرف إن عندك شغل قال يقعد يستناك.

ـ طبعا تلميذك القديم ومش ممكن تغلطه.

ـ ده شرف ليّ يا دكتور.

دخل خالد حاملا القهوة، فبادره عبد الحميد:

ـ ممكن يا خالد تقعد مع أستاذك ربع ساعة وأنا هشوف حد يعمل شغلك.

أشار محمود لخالد أن يجلس أمامه قائلا:

ـ اتفضل يا جناب المستشار.

ـ مرة واحدة يامحمود بيه.

ـ إن شاء الله هتبقى أحسن مستشار جابته المحروسة. أنا محتاجك فى المكتب الشهر ده توضب لى شوية شغل مهمين علشان أنا داخل على شغل مع جماعة هدافع عنها.

ـ جماعة آيه ؟

ـ جماعة إسلامية واخده إفراج من سبع سنين ورغم كده الحكومة مش عاوزة تسيبها.

ـ أنا تحت أمرك بس.

ـ مفيش بس، وملكش دعوة بالحاج ولا الدكتور، سيب الموضوع ده عليّ.

راحا يتحدثان لمدة خمس دقائق في ما يحدث في البلد ثم اتفقا على اللقاء غدا في المكتب بعد الظهر مباشرة. خرج من الحجرة ووجد عبد الحميد في انتظاره لكي يذهبا إلى البيت.

22

أمسك سلامة النمس بالزجاجة المليئة باختراعه العظيم الذي اختار اسمه بالصدفة. أمسك بجهاز الريموت كنترول، وراح يقلب القنوات التي شفرها ثم صب من الزجاجة التي صمم المعلم على وضع اختراعه فيها. شرب الكأس الثاني، ونسي تماما ما كان يفكر فيه وراح يغير القناة، ليستقر على إحدى القنوات التي تبث لقطات لضرب برج التجارة، ثم شاهد وجه بوش وهو يتكلم بعنجهية مفتعلة، وبالرغم من أنه لم يفهم من كلامه ولو جملة واحدة؛ فإنه كان يعلم من هو بوش الثاني. رفع زجاجة الخمر ولفها بين يديه في الهواء. ثم وضعها مرة ثانية على الترابيزة ثم أمسك بالكأس ورفعه عاليًا، وهو يثني على عمل يديه بعيونه ولبه السارح، ثم شربه دفعة واحدة. وضع الكأس الفارغة ثم رفع وجهه ويده تضرب على جبهته بشدة وكأنه يؤكد لنفسه قائلا:

ـ بتعلى تمام. ولسه هتعلا كمان وكمان.

صب الكأس الرابعة ثم شربها، شعر أن الصور التي تعرض على الشاشة

تتسارع بشكل غير طبيعي، فابتسم وقال لنفسه في سرور غامر:

ـ باين عليه قوي المرة دي.

مع الكأس السادسة فتح عيونه، وهو يشاهد جورج بوش ثانية يتحدث ويشير بيديه بدون أن يفهم منه شيئا، ثم مر بيديه على الأرض يبحث عن الريموت بعد أن أصبح غير قادر على الحركة وفرد جسده على السجادة حتى استراح تماما لوضعية جسده وأغمض عيونه وبدأ العزف المنفرد، ليصحو في ظهر اليوم الثاني على خبطات من يد زوبة.

ـ إيه اللي نيمك هنا يا أبو وحيد؟

رفع رأسه التي شعر بثقلها، وكأن بها سكاكين تمزق كل الخلايا كما أصبح يحس على مدار الأسبوع الذي كان فيه يجرب صنعة يديه التي أثنى عليها كل خبراء الماء الأعزاء أصحاب الذوق.

ـ الصنف ده مش نضيف.

وأشار بيديه إلى الزجاجة حتى تفهم الزوجة التي فتحت فمها تتساءل عمن يقصد.

ـ أنت اللي مش راحم روحك من اللي هياكل كبدك ده يا سلامة.

ـ يا فتاح يا عليم. اصطبحي وقولي يا صبح يا زوبة.

ـ صحتك؛ حرام عليك يا أبو وحيد.

ـ خايفة علي يا زوبة؟

قالها بشوق حقيقي وحب توغل في قلبه حتى أنه فعل الأعاجيب، لكي

يفوز بها منذ خمس سنوات حين لمحها للمرة الأولى بعد أن جاءت مع زوجها المتطوع في الجيش بعد أن تعارك مع أهله في الشرقية بسبب الكلام الذي يدور حول سمعتها في أثناء غياب زوجها السابق في الكيلو 106 بطريق القاهرة السويس. لم يمض أكثر من سبعة أشهر من ذلك اللقاء حتى أصبح ينام مع زوبة 22 يومًا في الشهر تاركًا أيام الحرمان الثمانية لحضرة الصول مهياص إبراهيم السيد الذي استمع إلى كلام صاحب البيت ذات إجازة، ثم صعد إلى شقته بالدور الثالث وسأل زوبة عن كلام صاحب البيت. أكدت له أنه كاد يغتصبها أثناء غيابه. اقتنع الصول بكلام زوجته وصدق أن صاحب البيت يتقوّل عليها، لأنه حاول معها وهي رفضته تمامًا، لسنة وزيادة ظلت الأقوال المتثورة تتردد خلال الأيام الثمانية التي يأتي فيهم حضرة الصول الذي لم يجد أمامه مفرًا من القضاء على الشك في زوجته، ذلك الشك الذي ملك عليه نفسه، ومن أجل ذلك خرج من الكتيبة ذات عصر بدون إذن من أحد القادة أو حتى الضباط ومشى ما يقرب من العشرة كيلومترات فوق مدق يخترق بعض الجبال، وأمام التبة وقف يشير لأي عربة تقله إلى القاهرة.

لم يذهب للبيت مباشرة، بل ذهب إلى حلوان. دخل مطعم العائلات تناول غداءه، ثم سحبته قدماه إلى سينما ماجدة ليدخل حفلة التاسعة بعد موعدها بنصف ساعة ليشاهد، ولسوء حظه العاثر، فيلما عن الخيانة الزوجية. ركب العربة (الراما) التي تدخل حكر أبو دحروج مباشرة، وهو يؤكد لنفسه

أنه يضع أفكاره في أماكن سيئة، وأنه متأكد تمامًا من براءة زوبة التي ما إن لمح ظلها خلال إحدى الإجازات منذ ما يزيد عن سبع سنوات حتى امتلكت عليه نفسه، وحاربه كل الناس لأنهم كانوا يريدون الفوز بها، وفاز هو دون غيره. دخل شقته في تمام الواحدة والنصف، مر على حجرة ابنه الصغير الذي وجد الغطاء منزاحًا عنه فأشعل النور وأحكم عليه الغطاء ثم قبله وخرج بعد أن ترك النور مضاءً، ثم تحرك إلى حجرة الزوجة، ولكنه لم يدخلها، بل ذهب إلى المطبخ وفتح الثلاجة وسحب زجاجة الماء وهو يتعمد أن يحدث صوتًا، وترك بابها يغلق من نفسه، ثم فتحه مرة أخرى، ووضع الزجاجة، وتعمد أن يضربه بيده، ثم دخل حجرة النوم ليجد زوبة التي كانت تضع يديها مرتكزة بهما على مخدة تاركة مؤخرتها يعافر معها جاره سلامة الذي كان يسهر معه طوال الأيام الثمانية خلال الشهور الثلاثة الماضية وكاد يقول له ذات مساء "رب أخ لك لم تلده أمك" بعد أن وجد أنه لا ينظر أبدًا إلى زوبة ويعاملها معاملة الأخت.

اشتعلت الدماء في رأسه وهو يجد زوبة مستمتعة بذلك الوضع الذي حرمته منه منذ الأسبوع الأول للزواج الذي دخل عامه السادس. انسحب النمس منها، سحبت الملاءة عليها في انتظار ما سوف يحدث وهي تضع كل الأوهام السيئة. جلس مهياص، حكمدار سجن الكتيبة رقم 18 الفرقة الرابعة بالجيش الثاني، على طرف السرير وهو لا يعلم بالضبط المطلوب منه. هل يدخل المطبخ ويأتي بالسكينة ويقتل الفاجرة والفاجر؟

راح يسأل نفسه ما الذي سوف يكسبه لو قتلهم الآن؟

احترام الناس.

رد على نفسه.

أين يرى احترام هؤلاء وهو غائب في السجن الحربي؟

ما الذي فعله الناس له وهو يقف في ميدان الجبهة ليحميهم من العدو؟

العدو ليس هناك.

العدو أمامه يحاول رفع البنطال الجينز ليخفي عورته وهو فاغر الفم أصفر البشرة مهيأ للذبح.

العدو ترتعش تحت ملاءة تخفي بها أشياءه الثمينة التي تملكها ثمانية أيام فقط من أجل الناس.

هؤلاء الذين يطالبونه الآن بدمها.

مرت الثواني والدقائق دهورًا على مثلث الرعب حتى فتح مهاص فمه والدموع تحاول أن تغافله.

ـ الواد السيد ابني يا بنت أرواح؟

ـ......................

ـ ردي علي.

ـ آه.

ـ تحلفي على الختمة؟

يا الله على هؤلاء البشر. لا يثقون إلا فيك دائمًا وأبدًا. علق الملاك الذى كان هناك.

اقترب منها أكثر ثم أمسك بالملاءة وكاد يسحبها ثم أضاف:

- ختمة إيه يا بنت أرواح.

ثم رفع يديه عاليا ونزل بها على رأسه ثم تحرك فى دائرة قطرها نصف متر لمدة لا تقل عن ثلاث دقائق وهو يرفع عيونه إلى السماء ينتظر نزول الوحى منها، ثم نظر إلى النمس، ثم غير اتجاه نظرته للمرأة التى قل ذعرها بعد أن أعادت شريط حياتها مع مهياص ووجدت فيه أنه لا يقدر أبدا أن يرفع عيونه فى عيونها.

- إنتى طالق بالثلاثة. شافعى ومالكى وأبو حنيفة. إنتى طالق يا زنوبة يا بنت أرواح. والواد اللى لقطتيه من كل واحد شوية حلال عليكى.

ثم خرج، وعاد إلى وحدته فى الكيلو 106 ليبدأ حياة جديدة بعيدًا عن النساء اللاتى صار يشكلهن حسب مخيلته وهو يضاجع العساكر الذين فى سجنه إذا وجد منهم استجابة، ولم يعد أبد ينزل إجازات إلا كل عام ليطمئن على إخوته وأبويه الذين يرسل إليهم معونة شهرية بحوالة بريدية بمبلغ خمسين جنيهًا لم يزيدوا سحتوتًا واحدًا، وفتح دفتر توفير وفتح مخيلته دائمًا وأبدًا منذ وضع قدمه فى عربة ميكروباص حلوان فى تمام الثالثة والربع من أمام عرب راشد التى محيت تمامًا من ذاكرته.

وقف النمس وهو يمسك برأسه ودخل الحمام ثم عاد إلى حجرة الجلوس

فوجد زوبة ممسكة بالزجاجة ما زالت وتلفها أمام عينيه قائلة:

ـ إيه القزازة أم شكل غريب ديه يا نمس؟

أمسكها من يديها وراح يلفها في الهواء وقال:

ـ عاجبة الذوق يا زوبة.

أخذتها من بين يديه، ثم قالت، وهي ما زالت تنظر إليها بضيق واضح:

ـ طول عمره ذوقه وحش يا نمس.

قالتها وهي تتحرك بمياصة وتمر بالزجاجة بجوار صدرها النافر مما جعل زوجها يقول وهو ينظر إليها بحدة.

ـ مع إنه عينه منك.

قالها وراح ينظر إليها، ليعرف رد فعلها الذي لم يتأخر كثيرًا، رفعت الزجاجة عاليًا فوق رأس النمس الذي لم يرمش له جفن رغم تهديدها الواضح، ثم أضاف بعد أن رأى التصميم:

ـ أهون عليكي.

ـ طالما ها نرجع لعب ديبو والشك يركبك تاني.

ـ يعني ماليش حق أشك.

ـ لما بتقفل الباب وراك بست سنون.

قالت وهي تلف يدها في الهواء وكأنها تمسك بالفعل الباب ثم رفعت يدها إلى أعلى، وهي تضيف:

ـ واحنا قاعدين في الدور الرابع.

ثم نزلت بيديها مشيرة إليه وهي ما زالت تقول:

- وانت قاعد في البدروم تحت. يعني أي واحد نازل من العمارة ولا داخل ترفع عينك من الشباك تشوفه. حتى الواد مبقاش بروح المدرسة. وأنا ماشية معاك بما يرضي الله ورسوله.

ثم تركت العنان لدموعها وهي تقول:

- علشان حبيتك بعني، وغلطت معاك، خلاص فكرت كلام المخفي مهياص وكأنه حصل قدامك، مع إنك أكتر واحد عارف أنت عملت إيه علشان أبص لك بس.

مد يده وأمسكها وأجلسها جواره وراح ينظر إلى دموعها، ثم أمسك من يدها الزجاجة، وقبل أن يرفعها على فمه قال:

- الذوق ابن كلب، تعلب كبير وأنا شغال معاه بقالي عشرين سنة وعارف إنه طالما حاطك في دماغه يبقى هيجيبك هيجيبك.

ثم رفع الزجاجة على فمه وأنزلها ونظر في عيون زوبة بعد أن أغمض عيونه ثم نظر إليها ليجدها كالنمرة المتربصة به، وليس هناك أثر للدموع التي ما زال منها بقية على دقة الحسن بين ذقنها.

- اسمع يا أبو وحيد، الذوق لو طالني هيبقى أنت اللي بعتني ليه بإيدك. والكلام ده لازم تعرفه. أنت مش مخليني عاوزة حاجة خالص. يعني عينيه مليانة من كل حاجة. إنت فاهمني طبعا.

- خلاص خلاص.

قالها النمس بحدة، وهو يضع الغطاء على الزجاجة، ويدحرجها على السجادة بقسوة.

ـ خلاص.. خلاص.

أنا قلت لك كل اللي عندي، ومش عاوزة أخرب بيتي بإيدي، وعاوزة أربي العيال وأقعد خدامة تحت رجليك، وكل ده علشان حاجة واحدة بس.

ثم أعادت الدموع مرة أخرى وهي تضيف.

ـ لأني والمصحف الشريف حبيتك بجد.

ـ خلاص بقى أنت هتعمليلي فيها فيلم عربي. اسمعي اسمي المحروق ده إيه؟

ـ محروق إيه؟

ـ دهوه.

وتحرك بيده على السجادة، وأمسك بالزجاجة، وأشار إلى الموجود داخله.

ـ سميه قهرتي فيك علشان أنا حبيتك وبحبك راجل وهقدر. لكن الرجالة خلصوا خلاص.

راح يرفع الزجاجة على فمه ثم أعادها مرة أخرى، أبعدها قليلا حتى ظهر خيال زوجته يهتز داخل السائل الأصفر الرائق، وقال:

ـ برافو عليك هو قاهر الرجال. قدامي بقا يا زفزف خليني أقهرك.

22 مرة ثانية

لله الأمر من قبل ومن بعد. ليس هناك حل إلا أن أكتب تعليقًا من سعيد نوح الذي حشر دون قصد. ليس ذلك فحسب. لا دول كمان مختارين اسم (نعتمد) المشهور جدًا. بداية من قسم الأزبكية مرورًا بكل أقسام المعمورة، وأنا شخصيًا أتعزمت عند بيت خالتي (نعتمد) قبل كده. ومش مكفيهم كل ده لا دول مشاورين على مبنى عمر أفندي اللي قدام أمن الدولة عندنا فعلا.

ليس ذلك إلا حبس والله يا إخواني. وعلشان كده خدوا الحوار ده بالمرة.

ـ الله يرحمه بقى.

ـ الله يجحمها مطرح ما راح.

ـ يا راجل اذكروا محاسن موتاكم.

ـ محاسن إيه تعرف تقول لي؟

ـ حرام عليك وخليك في حكمك عادل.

ـ خليك أنت سعاد وقول لي على محاسن المجحوم.

ـ يعني أنت عاوزني أعدلك في إنجازاته.

ـ اغ..ا..ز.. ت..آه. عدلي.

ـ يكفي يا أخي إنه رجع الأرض المنهوبة من الأعداء.

ـ لا والله أنجزت. أي واحد في مكانه كان لازم يعمل كده.

ـ بالطريقة دي مش هكمل.

ـ لا والنبي. سعد سعد يحيا سعد. عاوزني أهتف لك علشان تعمل شغلك. أنت المفروض راجل مهرج بتحاورني عاوزني أسجد لك علشان ترد علي.

ـ الطريقة ديه لو سمحت في المحاورات أنا مبحبهاش. خلينا نتعامل مع بعض لآخر الحوار كويس وكل واحد يعرف واجباته قبل ما يعرف حقوقه.

ـ وهي من واجباتي أن أقول كلام يرضي حضرتك علشان تتكلم معاي؟

ـ طبعا لا. بس لو سمحت قصدك إيه؟

ـ ببساطة الناس خلتك شيخ جامع. متطلبش منهم إنهم يفتخروا بكده.

ـ واضح إنك مش عارف تعرض وجهة نظرك بشكل كويس لأني مش فاهم من المثل اللي فات ده حاجة تمت لكلامنا بصلة..

ـ خليني بالمفتشر كده أقول لك أنا بصفتي الحكومة عينتك في منصب رئيس القوات الجوية.

ودخلت الحرب وانت ماسك وظيفتك والحمد لله كسبت أنا الحرب. تقوم عاوزني طول العمر أقعد أمجد فيك أنت ونسيت أني كنت بديك

مرتب على الشغلانة ديه، وأنا بذات نفسي اللي عينتك في المنصب، وتقعد تسمعني ليل نهار صاحب الخبطة الأولى.

ـ أنا مليش دعوة بيك خالص. ومش عشان أنا خايف زي ما عقلك المريض هيصور لك.. لا. لكن علشان حاجة تانية خالص، وهيه إنك راجل بايع نفسك. لكن أنا مهرج ورايا مجلس الأمناء الأعلى اللي شغال فيه.

ـ أنا زيك والله غلبان. وممكن أغلب منك كمان بمراحل. يعني أنا فاكر إني سبت أمين شرطة يضربني بالقلم، وكدت أمنحه الصدغ الثاني، وليس لأني أتبع تعاليم المسيح عليه السلام، ولكن لأني مؤمن تمام الإيمان: أن السيد أمين الشرطة ممكن يعمل اللي يعمله من غير ما يتحاسب في بلد الأمن والأمان والأمن المركزي.

ـ لو سمحت احنا بنتكلم عن الرئيس السابق.

ـ هل ممكن كنت تقدر تتكلم عليه قبل ما يبقى سابق؟

ـ والله ديه طبيعة بشرية بحتة.

ـ ليه الكلام دائما أسهل حاجة؟

ـ يعني؟

ـ يعني أسألك سؤال توهني بشوية كلام وتخش بيا على علم الإنسان وطبيعة خلقه، وممكن تكلمني ستين في الموضوع ده. وممكن تغلط وانت بتكلم في ربنا ذاته ومتاخدش بالك، لكن أول الكلام ما يبقى على حاكم موجود تلاقي الواحد عينيه مفنجلة على الآخر.

ـ أنا بس برد على ملحوظة صغيرة دخلتني نفق معتم زي ما بيقولوا، وخلتني أغلط في ربنا، ومش بعيد تكفرني كمان.

ـ علشان ما تخدنيش في دوكه هسألك تاني ليه مبنقدرش نتكلم على رئيس قبل ما ياخد لقب السابق بالموت دائما؟

ـ في الحقيقة أنا عمري ما فكرت في السؤال ده، بس ممكن أتكلم من وجهة نظري على الأقل لو كنت عاوز تعرف رأي.

ـ ما يخسرش.

ـ يعني الرئيس بيبقى موجود، ومن عادة الرؤساء إنهم ما بيتحملوش كلام يقلل من احترامهم، واحنا من ناحيتنا ناس متعودين على احترام الحاكم طالما هو موجود، وحاجات في الإطار ده يعني.

ـ لا والله حاجة كويسة. أنت تعرف إنك قلت نقطتين بس في الموضوع الكبير ده؟

ـ يعني لو عاوز أتكلم أنا معنديش مانع بس في الحقيقة أنا بفضل أسمع أكتر ما بتكلم زي ما تقول كده عادة.

ـ مفيش محسوبة؟

ـ هي إيه اللي مفيهاش محسوبة.

ـ الطاولة. تعرفها؟

ـ أظن إحنا متفقين على إن كل واحد يحافظ على مشاعر الآخر ولا يستهين به.

ـ أنا آسف، بس حضرتك قلت عادة الرؤساء وانتوا متعودين على احترامهم وبعدين بتحب تسمع عادة برضه.

يعني 3 عادة، فأنا قلت ممكن حضرتك تجرب المحبوسة مرة على الأقل، طالما كده كده ناوي تخسر فلوسك في العادة على طول لغاية ما ها تفلس وتقعد تمد إيدك للي يسوا واللي ما يسواش زي كده.

ـ فيه حاجة لا بد تاخد بالك منها. إنك لما بتقلل من قيمة نفسك في عيون اللي قدامك بتكون أنت الوحيد الخسران. فياريت تاخد بالك من الموضوع ده، وما تقللش أبدًا من قيمة نفسك، وتقول إنك ما تسواش. لأنك ببساطة تسوى كتير قوي عند ناسك على الأقل. تاني حاجة أنا مبسوط فعلا إني بتكلم معاك بالطريقة ديه. واسمح لي أقول لك أنت متحامل على الرئيس الراحل قوي كده ليه؟

ـ لحاجات كتير أهمها على الإطلاق إنه محا اللي قبله وجاب اللي بعده.

ـ ده ظلم واضح، لأن الزعيم ما زال يحيا بيننا حتى الآن، كما أن الرئيس الحالي ليس بهذا السوء.

ـ ده كلام مش حقيقي حضرتك، وكلام ناس مش قادرة تتكلم بحريتها، وعلشان كده إيه رأيك نعتبر الرئيس الحالي بقى سابق. على غير عادة السابقين حتى لا نتهم بالدعاء له أن يأخذه الله جواره.

ـ مش فاهم.

ـ لا فاهم. وفاهم كويس جدًا، وعلى العموم الفكرة إن إحنا نتخيل إن

الرئيس مشي، وجه واحد مكانه، وإحنا بقى لينا حق تناقش اللى عمله، زى ما بتعمل دلوقتى مع المرحوم، والمرحوم الزعيم، وهلم جره.

ـ ما عنديش مانع.

ـ كويس جدا. دلوقتى بقى لما حضرتك يكون عندك كنبتين عجمى مفتخر، وحيت تبيعهم لما ربنا أراد علشان توسع المكان.. ها تعمل إيه؟

ـ هبيعهم طبعا.

ـ ليه؟

ـ ليه إيه؟

ـ واضح إنى مقدرتش أوصل فكرتي؛ أقول تاني. حضرتك تمتلك بيت من أربع أدوار، وشفت بيت أوسع من خمس أدوار، وبحري، وفيه جنينة واسعة، وجنب مدارس العيال، وريح شغل المدام وفيه بواب، وبنفس السعر، هتبيع ولا ماتبعش؟

ـ هبيع طبعا.

ـ ليه؟

ـ علشان أوسع على نفسى وأهل بيتى والعيال اللى فى رقبتى وهلم جره.

ـ حلو، يعنى أنت بتبيع حاجة علشان تشترى حاجة مكانها، صح، وأحسن منها؟

ـ طبعا صح.

ـ طب ليه بقى الرئيس السابق، وخلى بالك من كلمة السابق، والسين

اللى اتفقنا عليه، باع ليه القطاع العام؟

ـ أسأل في الكلام ده صندوق النقد والعالم كله، وما تحملش الرئيس حاجة غصب عنه حصلت علشان ده عصر العولمة.

ـ بص أنت لغاية دلوقتي خايف، والدليل على كده إنك نسيت إن الرئيس الله يرحمه ساب الحكم وإحنا دلوقتي ما بنتكلمش عن الراجل الطيب اللى ماسك دلوقتي.

ـ أنا برد على سؤالك بس.

ـ يعنى عاوز تقولى إن الرئيس السابق باع غصب عنه القطاع العام.

ـ طبعًا. مصر بلد زيها زي بلاد كتير في العالم استغنت عن القطاع العام وفتحت سوقها للقطاع الخاص.

ـ ماشي يا عم. أنت بعت القطاع المخروب اللى اسمه العام. اشتريت بداله إيه للشعب؟

ـ الخدمات اللى أنت شايفها من أول حدود البلد إلى آخر حدودها.

ـ خدمات إيه بالضبط؟

ـ اللى ما يشوفش اللى قدامه يبقى أعمى.

ـ أشوف إيه ولا إيه؟ أشوف الصحة؛ حدث ولا حرج؛ أعلى نسبة سرطان في العالم، أعلى نسبة أمراض الكبد في العالم، أعلى معدلات وفاة في العالم، أعلى نسب في مجموعة من الأمراض، مش فاكرهم دلوقتي في العالم، أغلى أسعار للدواء في العالم، أعلى نسبة تلوث في العالم، أكبر عدد

مستشفيات درجة أولى في العالم للأغنياء، وأقل عدد مستشفيات درجة 17 للفقراء في العالم.

من الآخر أسوأ تأمين صحي في العالم.

أخش على التعليم، أقول لك فيه إيه ولا إيه! أحكي لك عن الغش في الامتحانات؟ ولا أكلمك عن الدروس الخصوصية اللي السنة اللي فاتت خدت 23 مليار جنيه حسب كلام الحكومة؟ أقول لك على حال المدرسين اللي ممكن يخش ولي أمر يضربهم بالجزمة؟ ولا أشاورلك على المطاوي في جيب الطلبة؟ بص من الآخر، "مطوتك في جيبك، وأربعة جنيه أهم أشتري لك قزازة بيرة"، شعار المرحلة.

المواصلات. روح اركب أتوبيس مصر الجديدة بربع جنيه وتعالى اركب أوتوبيس البراوي بجنيه. يا عم الحاج أنا ركبت أتوبيس هيئة نقل عام علشان أروح أزور إخوات مراتي في المنيا دفعت في التذكرة 30 جنيه والاسم مكيف.

بلاها المواصلات، خش على الإعلام. سمير رجب، رئيس تحرير بقاله أربعة وعشرين سنة، وكان عامل جاكوزي في مكتبه، خسائر المؤسسات الثلاثة أكتر من 2 مليار جنيه في جيوب رؤساء نفس المؤسسة.

يا عم الباشا عمرك سمعت عن بلد فيه كتاب أكتر من قرائه في الدنيا غير في المخروبة ديه، وبعدين يا عم أقل رئيس مؤسسة كان بياخد في الشهر مليون جنية نسبته في الاعلانات بس، وياريته بقى سكت على كده أو مسرقش!

تروح فين تاني تروح التليفزيون، وتشوف اللي عمله فيه السيد الشريف ،وكملت بالأخ اللي كان من قيمة ستين بيقول لي أهلا بالكاتب الهمام. أي والله أنا دخلت عليه أيام ما كان رئيس هيئة قصور الثقافة في إشكال شيك، فوقف يودعني وقال لي خلينا نشوفك يا أستاذ...... وأي حاجة خش لي على طول.

على أول مخش على إيدك اليمين و نزلني وحياة أبوك لحسن أخونا الكاتب نازل تخاريف وأنا عارف إنها مش ها تعدي على خير.

عندك بقى، وسمعني الست، وأنت داخل على الثقافة والآثار والحفريات وكل الناس اللي شغالين تحت الأرض وبيطلعوا أهرامات.

أول حاجة شوف الوزير ده كان مستلم كام جثة محنطة في أول عهده وسلمني بس الصناديق علشان أقدر أكمل عهدتي.

سيبك من القصر اللي بنيه لأنه هيقولك إنه بيشخبط في اليوم الواحد بميزانية البتاجون في جاردن سيتي، التي أصبحت ميدان سيمون بوليفار. تمامًا كأستاد ناصر الذي تحول إلى استاد القاهره أو ميدان رمسيس الذي تحول إلى محطة مبارك. لكن اسأله عن أسطوله البحري الذي يعب في مياه المحروسة من العين والمنهوبة إلى يوم الدين؟ اسأله آثارنا راحت فين؟ وفين أبواب المسافر خانة اللي حرقوها قبل الجرد الشهري؟

إيه رأيك تخش على راس كبيرة شوية. ربنا يجعل كلامنا زي البرسيم على قلبه. عندك اللي عاوز يخش تحت اسم الحزن الواطي الفدان في عهده

قراطي) في انتخابات مجلس سيد قراره لصاحبه ومتعهده المعلم..... لتوريد العجول لازم يدفع كام ميت ألف.

ولا أكلمك عن واحد مسك الزراعة 22 سنة وهو في الأساس معرفش يزرع دماغه. أكيد عارف حكاية المبيدات المسرطنة والبلاوي اللي دخلها التربة المصرية عن طريق إسرائيل.

وعاوز أسأل السيد الكبير سؤال واحد؟

ليه ساب والي الزراعة لغاية ما عمل كده فينا؟

وازاي هيصلح الموضوع ده بالذات في هوجة الإصلاحات المزمع إنشاؤها بكولالمبور؟

أي خدمة مني تاني قبل ما أنزل دسوق أسلم على السيد البدوي؟

على رأي واحد قالها قدامي ومش فاكر اسمه..

اطلبوا الهند ولو في الصين!

البلاد ديه مش بلدنا. اللي عاشو فيها عاشوا ميتين. واللي ماتوا فيها ماتوا مرتين.

آه يا ليلاب ابن كلب استخلي واستفرس بنخلة. آه يا حمل عكر على الديب القناية وهو تحت وهو فوق. آه يا بلح زغلول على الله العوض.

23

بعد أن استطاع الأصدقاء الثلاثة الذين يجتمعون على حب الله والوطن والحشيش، أن يلتقوا بأحد الصدوق العجيبة، وهو المهرج. كان الرئيس الزعيم في زيارة للقلعة. كان يقف أمام أحد التوابيت التي تم العثور عليها حين استمع إلى طلق ناري مما جعل الحراس يدخلون الزعيم بسرعة إلى العربة المصفحة، وخرجوا به، وتركوا المهرج الذي لم ينتبه كثيرًا لما حدث نظرًا لدخوله الحمام. خرج المهرج من القلعة، وللصدوق العجيبة أشار لعربة الدكتور عبد الحميد عبد العليم الذي كان في الطريق إلى مكتب صديقه الأستاذ محمود الصبع. وقف الدكتور بعد أن أعجبته الملابس العجيبة التي يرتديها السيد المهرج، ولأنه لم يخرج من القصر منذ أربعة وعشرين عامًا إلا برفقة الملك الذي دائمًا مسدلة ستائر موكبه، فقد هزه رؤية أناس يمشون في الطريق.

ـ هو فيه ناس بتمشي في الشارع؟

ـ ناس بتمشي فين؟

ـ فى الشارع.

ـ الباشا جاى من الفضا حالا؟

ـ إيه الفضا ده؟

ـ باين عليك ظريف فعلا، الحاج مين؟

ـ أنا مهرج السيد الرئيس السلطان.

ـ ظريف فعلا. السلطان قلاووظ.

ـ هو فيه سلطان اسمه قلاووظ؟

ـ اللى خلّى فيه كرمل وبشمل يرزقنا بقلاووظ قادر يا كريم.. أنا هركن هنا.

ـ لا ودينى القصر.

ـ القصر الجمهورى.

ـ إيه جمهورى ده؟

ـ لا.. واضح إنه بيفرز لك أفيون من لدنه.

ـ إنت وقفت ليه؟

ـ علشان ده بيتنا يا عمنا. بقول لك إيه.. تعالى معايا.

ـ والسلطان؟

ـ هوصلك له.. هو معاده معاك الساعة كام؟

ـ بعد العشا..

ـ لسه بدرى. اتفضل يا.. اسم حضرتك إيه؟

وكأنه لم يفكر طوال حياته في ذلك السؤال.. وبدون أن يدري قال له.

- الحاج..

- الحاج إيه؟

- هو لازم يبقى حاج إيه؟

بذلك الرد أضحك عبد الحميد وهو يرتقي السلم بجواره حتى دخل إلى مكتب محمود الذي استقبله بالأحضان، ثم عرج إلى حضن سعد الله الذي نظر إلى المهرج، ثم قال:

- جايبه منين ده؟

- كان واقف قدام القلعة بشاور وقفت وركبته.

- ابن حلال دايمًا يا عُبد الورد.

رد سعد على تعليق صديقه محمود قبل أن يضيف وهو ينظر إلى الرجل ذي الملابس الغريبة، ويقول له:

- اتفضل، يا مرحب بك يا..

- حاج.

قال عبد الحميد، وهو يبتسم:

- ميت مسا يا حاج.

وهو يقترب منه ويعطيه السيجارة، أمسك المهرج بالسيجارة، وكأنه شريب قراري راح يسحب الأنفاس بصدر قادر على فرتكة السيجارة في ثوان، مما جعل سعد يقول له بصوت به كثير من التوبيخ، لكنه لم يفهم ذلك

لأنه سحب نفسًا أكبر بعد أن قال سعد:

ـ بالراحة يا حاج، واكتم، وطلع من نفاشيشك. بسم الله ما شاء الله، صدر استندر..

رجع برأسه إلى الخلف بعد أن فعل عكس ما طلبه المدعو الذى أمامه وعلى وجهه نظرة مليئة بالسخرية والتساؤل.

سوف أطلب من الكاتب إعادة صياغة تلك الجملة الملتبسة، فأنا الآن لا أعرف إن كانت النظرة والتساؤل تخص المهرج أم الشخص الآخر الذى أمامه، والذى هو بالتأكيد واحد من الشلة..

ـ الحاج شغال إيه ؟

ـ مهرج السلطان..

رد عبد الحميد على تساؤل محمود الضبع الذى فتح فمه بدهشة قبل أن يتدخل سعد فى الحوار قائلا:

ـ مشي برضه.

وكأنه يحدث نفسه أضاف:

ـ معقول!

لم يكن المهرج الذى كان هناك حاضرًا ذلك الحوار، فلقد أحس ـ على غير العادة ـ بانتعاشة، وأحس للمرة الأولى فى حياته بالسطل.

هذه مغالطة يجب التنبيه لها. المهرج اسمه المهرج فقط، أما الذى هناك، فهى صفة مصاحبة للملاك، ليعرف كل منا يا أصدقاء مكانه ووضعه، كما

يجب عليه معرفة مقدار خطوه قبل المرور على مكاتب الآخرين، وحتى لا يطمع الذي في قلبه مرض.

أنا المهرج. وعلى الكاتب والملاك الذي هناك أن يعرفا أنني لن أتنازل عن ذلك بعد الآن. هذا عدل الله قد وقع كما صرخ محمود بكر ذات مساء.

وأنا المهرج لست أقل من المدعو بكر. للمرة الأولى يسقط عدل الله علي، تمامًا كما سقط لمنتخب مصر على أرض باليرمو، وهي تلاعب هولندا.

هل يرون حقًا بغير حقيقة • • • لها في الوجود الحق حكمٌ مترجم

وما كون حقي غير كون حقيقتي • • • ولكنها الألفاظ بالفرق توهم

وأدرى بأني ناطق ومكلمُ

فأنا المهرج. منذ نيف وستين عامًا وأنا استمع إليكم جميعكم. فقط استمع وأنتم تقولون الكاتب والمهرج والملاك الذي هناك.. الكاتب والمهرج والملاك الذي...

لا بد من أنه سيكون هناك أحد النقاد المهتمين بالإحصاء، وسوف يقول لكم كم مرة كتب هذا الهراء.

يجب عليّ الآن أن أعيد صياغة تلك الرواية من البداية، فأنا الآن أدرى بأني ناطقٌ ومُكلمٌ. أنا المهرج الذي لم يمنحني أحد منذ نيف وستين عامًا اسمًا.

بداية بأبي، ذاك المهرج الكبير ونهاية بذلك الكاتب الذي لم يطق في الحقيقة اسمًا بجوار اسمه الظريف. فتح الله الباب.

أنا الملاك الذي هناك أقول لك إن هذا استخفاف بالكاتب الذي اسمه سعد الله الطالع، وليس فتح الله الباب.

ألم تسمعني أقول أبياتًا لابن عربي وابن الفارض؟

أقول لك هذا حتى لا تستخف بي مرة ثانية أيها الملاك. لا شك تعرف أني تربيت في صحن الملك طوال سنين؛ كان مليكي. لا شك تعرف يستمع إلى الشعراء والكتاب العظام الذين كتبوا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ رائعة "وعشان كده إحنا اخترناك" بنفس الحكمة التي ورثها عن أسلافه العظماء، واليد المدربة والبصيرة لوجودها في الكادر، وبالتحديد تحت خده الأيسر، وهو يستمع فيها إلى كل شعراء كتاب "الأغاني للأصفهاني"، هل تعرف أيها الملاك؟

لا أعرف لماذا أطلق عليك هذا المأفون تلك الصفة التي التصقت بك. الذي هناك. ما الذي هناك أيها الملاك؟ ما هذه السخافة! أنت هنا الآن أمامي، فهل تعرف الذي هناك؟ لهؤلاء الحمقى من الكتاب أشياء غريبة فعلا. ما علينا، أريد أن أقول لك إني مدرب طوال عمري على الجلوس في صحن الملك والاستماع لكل الناس. ولتعلم أنني أقيس عمري فقط باللحظات التي قضيتها مع الملك. الملك الذي ظل طوال فترة حكمه، والتي ربت عليَّ 24 سنة، لم يطلق علي ولو حرفًا واحدًا بجوار اسمي الذي استعان به كاتبك هذا. لكني الآن أنا راض عما اختاره الله لي. نعم أقول لك إن الله هو الذي منحني اسم المهرج. وحتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، كما

قال الله تعالى من قبلك، أقول إنني أنا المهرج الذى حلم طوال عمره. فى الحقيقة أيها الملاك الطيب. انظر. ما رأيك فى تلك الصفة؟ الملاك الطيب. أليست أفضل كثيرًا من الذى هناك؟ ألم تسأل دائمًا عمن بعثك هناك؟ هل رأيت؟ باستطاعتى أن أمنحك أكثر من ذلك لو اتبعتنى ونسيت ذلك المأفون. يبدو من هزة رأسك أنك لا تريد. ما علينا، أقول إننى المهرج الذى حلم طوال عمره وهو مفتوح العينين، لكننى حين كنت أنتظر تحقيق الحلم، أو حتى مشاهدته، وأنا نائم لا أراه، هل قليل أن يستمع إلى حلمى لمرة وحيدة؟ حلمى الذى يشغلنى الآن جاءنى بعد أن استطاع هؤلاء الملاعين أن يضحكوا عليّ، وأشار إلى سعد الله ومحمود وعبد الحميد، وأضاف، ويشربونى حشيش.

علق سعد قبل أن يتحرك إلى المهرج، وبخبث قال وهو يضع السيجارة المشتعلة فى فمه، وينفخ فى فم المهرج الذى فتح فمه ليدخل الدخان الكثير إلى نافوخه كما أمره وهو يقول له:

ـ خد الباك ده على صدرك وقل لنا حلمك.

لا أتذكر منظرى. ما أنا متأكد منه أيها الملاك هى العبارة التى قالها سعد الله الطالع، وهو ينظر إلى عُبد الورد.

ـ ده حشاش غشيم باين عليه.

ـ انت بتقول إيه يا ولد. قلت وأنا للمرة الأولى أيها الصديق الطيب أتقرب من صحن السلطان وأعترف بكرمه عليّ. فلولا هيبته ما كنت أنا.

ـ لو أنك تريد فعلا أيها المهرج أن تلقينى خلفك كى أمسح فى ظل عباءتك.

فقل اسما واحدا يليق بك الآن، وينطبق عليك، وتعلم به، ويصدقه كل الناس، وينادونك به، وأقسم بالله أمام الملاك هذا إننى لن أغضب لو خرج العمل تحت أى اسم تراه مناسبًا غير الكاتب والمهرج والملاك الذى هناك.

ـ مش فاهم أنت بتتكلم عن إيه من الأساس، وبعدين الألعاب بتاعة الحيل الروائية دى أنا عارفها كلها، لعلمك يعنى. وهو يهز رأسه أضاف: أنا بقرف من الكتاب اللى بيستعملوها، عاوز تقول كلام اسمح لك بيه، حدد كلامك واسأل مباشر على طول؟ وسيبك من كهن الكتاب ده، والكلام الكبير بتاع.. ثم تحرك وهو يشيح بيديه فى الهواء مقلدًا الكاتب وهو يصيف: ظل عباءتك؟ وتلقينى خلفك؟

ثم راح يلف بيديه فى الهواء وأمام عين الكاتب وأكمل: والكلام اللى الناس بقت عرفاه ومبيخلش عليها.

ثم أجهز عليه بيديه ماسكًا طوق (البلوفر) الذى يرتديه سعد الله الطالع وهو يحمله فى الهواء ويهزه، استمع له الصبح الميت فى جلده ينتظر دوره فى حجرة تعذيب أمن الوطن يقول:

ـ وبعدين استنى عندك شوية لو سمحت. أنت مش قاعد تقول قصص ومبسوط قوى من نفسك. اسمع بقى وأنت ساكت والناس اللى لا مواخذه قدامنا دول همه اللى هيحكموا بينى وبينك. ماشى يا عسل؟

ـ ده اسمه تقليد أعمى لشخصية مشمش وتهريج.

قال الدكتور عبد الحميد عبد العليم: عبر رسالة صوتية من المحمول 59 ميدان لاظفوغلي، (أحدث عدة تليفون)، صوت وصورة "فوتوجينيك"، وتعمل بالشحط مش بالشاحن زى زمان

وهو يتزك بيديه على صدغ سعد قال المهرج:

- أنا يا حبيبي ما بقلدش حد، ومشمش بتاعك ده لا مؤاخذه ألبسه و... عليه.

ثم أدار كف يده في الهواء، وهو يشير لقارئة متخيلة، وكاتب مذعور، وملاك يقف هناك.

- مفيش داعي أكمل علشان خاطر الملاك الطيب اللي هناك ده، بس شغل المنظرة ده اللي انت عاوز تعمله مايخلش عليّ لا مؤاخذة، ولا باتين فضة. توعى عليهم يا لا؟ مش عاوز ألف وأدور زيك، وهحكي حكاية صغيرة حصلت يوم جمعة، والملك داخل عليه سنة جديدة في حكمه يعني كان بقاله في الحكم حاجة وعشرين سنة، وابنه عمال يزن عليه يتنازله عن الحكم وهو موافق بس خايف لتقوم ثورة ولا حاجه، هو والله زهق من الحكم. من عشر سنين وفيه جماعة كل يوم (تودود) للملك على حكاية إنه يسيب الحكم لابنه جمال. طبعا أنا من بالليل عملت حسابي إن الجمعة دى هتبقى في حب الغم. رحت مطلع كتاب النوادر بتاع الشيخ العلامة أحمد بن عرب شاه، واسمه فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، وهات يا د ح. الكلام ده مش علشان لا مؤاخذة أتنطط بيه على حد، أخوك الغلبان من يومه

بيضيع منه الكلام وأنساه. وده مش بكيفي. ده غصب عني، علشان سيدنا السلطان وسيدنا الكاتب ميسمحوش لحرفوش زيي بالكلام. أنا كنت مطلع الكتاب أقراه علشان أعرف الفرق بين الظرفاء بتوع زمان وبتوع الأيام ديه. بس. خرجت الصبح من الأوضة بتاعتي اللي في قصر عابدين، ودخلت على صحن الملك، وأنا مستمخ على الآخر من النوادر اللي قريتها، وفي دماغي بقى أشوف ولاد الأبالسة بتوع اليومين دول؟ طبعًا رسمت الكآبة. دخل كبير الحاشية، البصاص الكبير وماسك في إيده ابن الملك. وبعد صباح الخير يا مولانا راح رزعه بيت لحظه الأغبر أنا كنت قريته عند ابن عروب شاه بتاع النوادر:

شمسٌ ولا كالشمس عند زوالها بدرٌ ولا كالبدر في نُقصانه

مع إني قافشه بيسرق .عيني عينك قدامك أهوه، والكتاب على بعد فرسخ. لكن أنا إيه أدراني بسيد قراره. ما يمكن يطلع ابن شاه ده هو اللي سارق منه، وأضيع أنا في الرجلين.

الملك سمع بيت الشعر وهز دماغه شوية كده وهو عمال يفكر في الشمس لحظة غيابها والقمر لما ميبقاش بدر، وقالوا أهو صباح. ادخل في الموضوع..

ـ آن الأوان يا سلطان الأرض..

ـ أوان إيه يا بصاص يا كبير

رد الملك وهو يبص لي وأنا مش عارف أضحك ولا أكشر. ربنا سترها

معاي بسرعة لما رد البصاص وقاله.

ـ إنك تبقى قمر وتتنازل للكوكب.

أنا الملاك الذى هناك أقول إن المهرج يحاول أن يبيض وجه رئيسه الذى لم يعرف غيره سيدا منذ أن وعى على الدنيا فى قصره المنيف.

أنا الكاتب أقول إن المهرج لم يستطع أن يتحمل دفقة الهواء المباشرة التى أخذها باك من سيجارة الحشيش، وها هو يجلس ويفكر كمن نزلت على رأسه تفاحة الجاذبية فى لحظة فارقة، وبما إنى لا أعرف ماذا أفعل له أو أفعل لك عزيزى القارئ وقد غدر بى المهرج كما رأيت منذ لحظات، ولم ينه قصته التى كنت قد تركت لها عشرة أوراق بيضاء، ولا أستطيع أن أترك بقية الأوراق بيضاء، كما إنى لا أعرف متى سيفيق ويعود إلى حالته، وإذا عاد حتى، هل سيتذكر ما حدث؟

24

ـ ما قلتليش يا ابو محمود مين نعتمد دي؟.

بتلك الجملة أعود إلى حمدي الذي تركناه غاضبًا من زوج ابنة عمه، وأخرج علبة سجائره السوبر وأشعل واحدة، وراح ينفخ في الهواء حتى انتهى ضيقه تماما، وعند ذلك أعطى سيد سيجارة وربت على كتفه بحنية بعد أن شاهد نظرة الحزن التي امتلكت وجهه. أشعل سيد السيجارة وهو يفكر في تجميع الجمل التي قيلت في سبب تسمية حجرة لا تقل عن 260 سنتيمتر في 260 سنتيمتر تحت الأرض، ورغم ذلك تسع لخمسة وعشرين ذقنًا من أعداء أمن الوطن الذين أمسكت بهم قوات أمن نفس الوطن.

ـ والله ما أنا فاكر يا ابو عفاف يا اخويا. بس كذا واحد قالوا حاجات كتيرة لما سألت السوال ده. أنا لو كنت في وعيي كنت أفتكرت كل كلمة؛ إنت عارفني ذاكرتي قوية بس اللي شفته ينسي الواحد اسمه.

قالها وهو يتحسر على نفسه بطريقة مأساوية مفرطة، مما جعل أبو عفاف يقف على حيله ويأخذه في حضنه برد وخرون، مما أعطى سيد فرصة لإنزال

دمعتين من دموع الرجولة التي تتطلب دائمًا ساترًا لتنزل خلفه. عاد إلى كرسيه بعد أن مسح عيونه وهو في حضن أبوعفان الذي تظاهر بعدم رؤية الدموع التي نزلت على كتف جلبابه رغم أنه الوحيد بعد الملاك الذي كان هناك.

ـ واختي أم محمود ما اتصلتش ليه؟

ـ هي كانت تعرف أنا فين من الأساس علشان تتصل، ولا تجيلك، ولا تروح لغيرك؟

ـ بس انت أهوه بتقول إنك كنت في بيت نعتمد. وده معروف هناك قدام عمر أفندي على طول.

ـ ده بعد أربع تيام قضيتهم بعيد عنك لى لاظوغلى. بس إيه التوضيب صح عارف أنا رحت اكشف بعدما خرجت أولت إمبارح متململ، ويومين في البيت مش عارف اصلب طولي وجسمي كله مفهوش حتة سليمة، تفتكر الدكتور اللي لهف أربعين جنيه وكشف على قال لى إيه؟

ـ قال أيه؟

ـ خمن كده ورحمة أبوك.

ـ إصابات من الضرب وحاجات زي اللي حكتها لى وإحنا جايين نقعد هنا. كده يعني.

قال حمدي وهو يحرك يديه في الهواء وكأنه يشد خيطا بين يديه يمر على بكرة في منتصف المسافة.

ـ والله العظيم تلاتة يا ابو عفاف قال لي جسمك سليم وعشرة على عشرة وإن اللي حاسس بيه وقّ قال إيه؟ نفسي.

ـ يا راجل معقول؟ نفسي بعد كل اللي حكيت لي عنه؟

ـ لا. ديه حاجة متخشش الدماغ.

ثم وقف، وأخرج علبة سجائره، وأعطى سيد سيجارة، وأشعلها له، ثم خطى خطوات وفي رأسه يتشكل المشهد، وقال وهو يخرج النفس في الهواء سريعا قبل أن يتبعه بنظره وكأنه يسحب معه أفكاره:

ـ اسمع.. ده لازم عارف انت كنت فين؟

ثم أنزل يده التي كانت تؤكد في الهواء على الفكرة التي طرقت رأسه، وأكمل:

ـ وخاف يديك تقرير ولا حاجة علشان لو جيت ترفع عليهم قضية تعذيب.

ـ تصدق إني مفكرتش في كده خالص.

قال سيد بدهشة وكأن صديقه قد أمسك بسهولة بحلقة ناقصة كان يبحث عنها طوال الأيام الثلاثة الماضية منذ عاد من عند ذلك الطبيب، ثم أضاف وهو يهز رأسه ويقتنع أكثر بكلام صديقه:

ـ برضه. مش بعيد يا حمدي. اللي خلاهم دلوقتي بيكشفوا على الورق ويقولوا إذا كنت مسكت الورق ده بايدك قبل كده ولا لا، هيغلبوا في الدكتور اللي منه لله.

ثم نظر بألم وحزن على حال المسلمين وتصعب على سذاجته وعلى فراسة ابن عم زوجته وأضاف في رجاء:

ـ طب كانوا يرحموا وما يدفعونيش فلوس كمان.

ثم نظر إلى الفراغ والحزن يعتصر قلبه على ما حدث له وعلى ضياع الأخلاق والفلوس والبهدلة التي تعرضت لها زوجته، وكاد يشكو هوانه وقلة حيلته وضعفه ثم تساءل:

ـ بس هما كانوا يعرفوا منين إني هروح لسعيد أبو طالب في عيادته اللي في المعصرة يا ابوعفاق؟

وكأنه وجد بغيته التي كان ينتظرها على أحر من الجمر فوقف وتحرك بهدوء في ثوب العلماء، واقترب منه ووضع يده على كتفه، وقال:

ـ ودي مشكلة يا عم سيد؟

ثم رفع يده خوفا من إرهاق صديقه الذي ربما نزل من نظره كثيرا لو لم يسأله السؤال الذي خطر في باله وهو يحكي فكرته ووجد له مخرجا. ثم نزل بنفس اليد بهدوء وهي يلمسه فقط ليكون معه وأضاف:

ـ كانوا مراقبينك يا عم سيد، وفيه عربية ماشية وراك، بسيطة يعني. لقوك دخلت عند الدكتور ده، دخلوا، وواحد فيهم عمل عيان مثلا ودخل قبلك وطلع الكارنيه بتاع أمن الدولة للدكتور بتاعك ده، وفهموه يقول إيه. لوأي حد في مكانه ولو هو مين هايدي تعظيم سلام. حد قد بتوع (لعمد) يا قريبي. أنت عارف إن الأمريكان بجلالة قدرهم بيبعتوا ضباط من عندهم

تاخد فرقة في أمن الدولة زي الفرق اللي كنا بناخدها واحنا في الجيش، يا عم احمد ربنا وبوس إيدك وش وضهر إنها عدت على خير ولي ستين داهية نص البيت اللي اتنازلت عنه لعم إبراهيم موسى عيسى، اعتبر نفسك مابنتش غير دورين.

واضح كده إن مش المهرج بس اللي عاوز يوديني ليهم على الجاهز. هوه وسيد وابوعفاف بيوصفوا اللي هشوفه بعد كده. والدليل على كده إنهم اختاروا منطقة حلوان التي أسكن بها. كما أن المدعو أبو عفاف قال جملة في النهاية تودي أبو زعبل عدل. لأن ده محصلش خالص وسيد قاعد في بيته هناك أهوه، وبالأمارة رقم 64 بشارع الملك إبراهيم بحكر أبو دحروج. آه الأستاذ عيسى موسى إبراهيم احتل الشقة وخدها تمليك بس شقة مش دورين.

25

أمسك سلامة النمس بالزجاجة التي صمم عليها المعلم موسى الذوق وهي تحتفي باختراعه العظيم وعليها للمرة الأولى البادج الذي صممه المدعو شعبان الذي يظهر توقيعه على آخر البادج الذي لا يستحق أبدًا أن يقف فوق مشروبه العظيم تمامًا كالزجاجة، وقال للمعلم الذوق:

ـ ايه ده يا معلم؟

ـ ده شمشون الجبار يا نمس.

ـ ده حضرتك وأنت شعرك طويل وصغير في العمر شوية الخالق الناطق.

ـ عينيا بس.

ـ لا وشكل الوش برضو يا معلم.

ـ بقولك آيه، انا البادج عشش في نافوخي ودفعت حقه كمان.

ـ وده شعب خد فيه شلن ولا بريزة؟

ـ خد نصيبه يا نمس ومالكش دعوة.

ـ بس ده شكله غريب قوي.

ثم أشار بيده على ربع القصر الذي يحمله شمشون، وأضاف:

ـ وده معناه إيه يا معلم؟

ـ ده شمشون بعد ما يشرب قاهر الرجال هيعمل كده.

ـ هيعمل إيه بالضبط؟

ـ هيرفع القصر زي ما أنت شايف.

ـ كده هنضرب الصنف يا معلم.

ـ ليه يا لمحروس؟

ـ علشان الناس هتخاف من اللي هيحصل.

ـ بقولك إيه، ده شغلي أنا، المهم أبدأ من الليلة فتح خط الإنتاج لأني ناوي أغرق السوق.

ـ يا معلم البادج ده وحش هو والقزازة كمان.

ـ بقولك إيه يا روح ستك. انت عليك تفتح الخط بنفس الطعم وملكش دعوه بحاجة تانية.

مرت الأيام، وظهر قاهر الرجال بالشكل النهائي الذي ارتضاه الذوق، وسحب السجادة من تحت 84، وعمر الحمام، وكل أنواع الخمور في منطقة حلوان، وما يحيط بها من مدن كبيرة، كالصف، ومزغونة، وأبو رجوان القبلي والشرقي، وأصبح البادج علامة مسجلة، حتى أنه في فرح ليلى بنت المعلم الكتف، أمسك عاطف الجحش بزجاجة مضروبة من قاهر الرجال ليس عليها البادج الذي اعترض عليه النمس ذاته. رفع المعلم عاطف الزجاجة

عاليا وانتفض انتفاضة أوقفت الراقصة فوق خشبة المسرح.

ـ النوع ده من قاهر الرجال مضروب.

بتلك الجملة الخارجة من فم عاطف الجحش، ارتعش حسن زوج المعلمة أم فلفل، ثم تسحب وهو يتلصص على العيون التي كادت تمسك به تاركًا المعلمة أم فلفل تواجه مصيرها المحتوم مع الكتف أبو ليلى.

إحقاقًا للحق كان حسن زوج أم فلفل قد حاول كثيرا إثنائها عن مخططها بتوزيع النوع المضروب من قاهر الرجال، وخصوصًا في فرح ليلى ابنة الكتف قبل يوم من موعده. قال لها محذرًا:

ـ بلاش فرح المعلم إبراهيم يا أم فلفل.

ـ بقولك إيه؟ خايف متجيش الفرح.

ـ أنا خايف عليكي من أبو ليلى يا سميرة.

لم تنفع تلك الكلمات أن تثنيها عن قرارها. مد يده وخطف زجاجة بيرة من الصندوق الذي وضعه فلفل على التموسكل قبل أن يأتي بباقي الصناديق الثلاثين، والتي اتفقت أن تنزل بهم فرح ليلى غدًا، والتي لا بد أن تبيت في بيت الكتف، وتخرج من بيته بعد عصر غد بعد أن يكون قد خصم حقه منهم كصاحب فرح وكأرضية تم الاتفاق عليها.

ـ من أولها يا حسن! هات القزازة بدل ما افتح قرنك.

قالتها وهي تحاول الإمساك من يده بالزجاجة التي نقلها حسن بسرعة إلى اليد الثانية كمقتدر في التدريب على تلك الحركات تاركًا يده الفارغة تمر

في يد سميرة الخشنة، ثم وضع الزجاجة على فمه، وهو يتملص منها، وبسرعة البرق فتحها ثم أمسك بالغطاء بين أسنانه وطيره في الهواء، ثم وضعها على فمه، ولم يتركها إلا فارغة، رمى الزجاجة الفارغة، وأشار بإصبع الوسط في عينيها، ثم سحب يده من يدها الممسكة بها، وبإصبع الوسط أيضًا غمزها في وسطها وهو يضع نظرة النصر والاشمئزاز على وجهه.

تحرك إبراهيم أبو ليلى في اتجاه المعلم عاطف الجحش صديقه المجدع، وابن المنشية البار، والذي جاء من أجل تشريفه ورفع رأسه بين أقرانه، وسأله بحدة:

ـ يعني ده مش قاهر الرجال الأصلي يا معلم عاطف؟

ـ لا يا معلم. ده تايواني.

قال عاطف بصوت الواثق:

ـ أنا يجيني في فرح ليلى بنتي ميه مضروبة!

ثم أنزل يده من فوق صدره بعد أن ضربه بشدة وهو يقول:

ـ ورحمة أبويا يا أم فلفل..

تحرك قليلا، فانتبه بعض عشيرته، وأرادوا أن يمسكوا بجسده فرفع يده في الهواء قائلا:

ـ محدش يمسكني. عليّ الطلاق من أم ليلى لازم أقلعها هدومها.

بتلك الجملة تراخت سواعد الرجال الذين كانوا يتحركون بجواره وهو يتحرك في اتجاه أم فلفل التي ما أن شاهدت زوجها ينسحب ويتركها

لمصيرها، حاولت الإمساك به، ولكنها تركته على أمل أن تلقى عليه باللوم لتفلت من تهديد الكتف، لكن لن يصدقها أحد. حاولت أن تصرخ، لكن الكتف أوقف الصرخة في فمها.

ـ دي إيه يا مرة يا بنت الكلب؟

ـ والله يا اخويا أنا زيي زيك ما أعرف. هو أنا كنت بعرف أقري. أنا شاريا ها من المعلم الذوق.

لم ينتظر عاطف كثيرًا ليرد الظلم عن كبير الحكر وحامي حماها وقال.

ـ المعلم موسى الذوق تاجر كبير وله اسمه وسمعته اللى زى الطبل. ومش في الحكر بس، لا، ده في الأعراب كلها، بداية من عرب أبو ساعد وانت نازل. ويوصل سيطه لأبو رجوان والشوبك وغمازة الصغرى وغمازة الكبرى علشان محدش يزعل.

ثم أنزل يده واتجه برجهه إلى المعلم إبراهيم الذي كان يهز رأسه طربًا لسيرة الذوق، أضاف عاطف:

والمعلم الكتف يعرف المعلم الذوق عز المعرفة.. مش كده يا معلم؟

ـ طبعا يا معلم عاطف. الباشا الذوق اسمه زى الطبل.

ـ يبقى عيب الافتراء على الناس يا سيد المعلمين..

وكأنها كانت إشارة المعركة التي كانت من طرف واحد فقط. فما أن انتهى عاطف من جملته إلا وارتفعت يد الكتف وهي تحمل زجاجة قاهر الرجال المنزوع عنها البادج الحقيقي وبعزمها المعروف عنها نزلت على رأس

أم فلفل الواقف بجوارها فلفل يؤمّن على كلام المعلم وينظر إليها بحقد لأنها صفرته فى فرح صديقه المحروس من العين، كما صرح لها فى مستشفى النصر بعد ذلك بأسبوع حين خرجت من أوضة الإنعاش. ثم تحرك خطوات قليلة ووقف أمام التروسكل الذى كان يقف بجوار أم فلفل التى خرجت من رأسها نافورة دماء، دون أن يصدر منها صوت، وبكفه المشهور به دفع التروسكل حتى قلبه رأسًا على عقب ثم مد يديه وأمسك بزجاجة ثانية من قاهر الرجال ونظر إلى عاطف مليًا ثم سأله بصوت المطعون فى شرفه وغير المصدق أن يحدث معه هذا:

ـ دى مش أصلى يا عم عاطف؟

ـ عيب يا كتف. أنا ها أقولك كلام مش قده؟

عند ذلك رفع يديه فى الهواء مرة أخرى ونزل بها على رأس أم فلفل التى قطعت النفس وهو يقول لها بصوت جهورى قبل أن ينزل إليها ليعريها كما أقسم.

ـ فى فرح ليلى يا بنت الكلب.

26

ـ والختمة الشريفة يا واد يا سعد أنت واد عسل.

ـ الله يخليك ياعم الحاج.

ـ وعندك فكرة حلوة عن الكتابة، وان شاء الله مسيرك توصل ويعرفوك.

ـ ده بس من ذوقك.

ـ حلو والله، يظهر عم الحاج المهرج هيقضيها النهارده (بخ) يا دكتور.

قال الضبع وهو يشعل سيجارة جديدة من الباكو بعد أن تعذر وجود حشيش.

ـ أصله مش واخد على الهباب ده يا ابو حنفنف.

قال الدكتور عبد الحميد وهو يشير بيده بالسيجارة غير المشتعلة.

ـ بقول لك إيه منك ليه. أنا فعلا قريت شوية في الرواية وعاجباني وعلشان كده بحيي سعد.

ـ سيبك منهم يا عم الحاج، دول عيال لا مؤاخذة لــه بدري على ما يعرفوا يكتبوا كلمة.

ـ الحق يا ابو الدكاتير؟ أخوك سعد بيهزأنا.

ـ كل واحد في صنعته ريس يا ابو المحامين، وبعدين سعد أخونا ونحب له الخير وإن شاء الله ياخد جايزة الملك دعبس.

أنهى عبد الحميد جملته وهو يترك يده تنزل على يد الضبع الذي ضحك كثيرًا على جائزة دعبس.

ـ ماشي يا نطع منك ليه. بكرة لما تنتشر الرواية هتعرفوا مين هو سعد الطالع.

قالها وهو ينظر إليهم بحرقة مما جعل الضبع يقف وهو يقول بسرعة:

ـ لو راجل قولي طالع فين غير عبود زي العادة يا مقطف.

ـ سيبك منهم يا واد يا سعد وعاوز أحكيلك حاجة ما يعرفهاش غيري، وممكن تفيدك في الرواية.

ـ ده شيء يشرفني يا حاج.

ـ وأنت وهوه.

وأشار إلى الصديقين، وهو يضيف:

ـ مش عاوز أسمع منكم بم.

ـ ماشي يا حاج اتفضل حضرتك.

قالها محمود وهو يعود إلى طبيعته.

ـ بص يا سعد، أنا كنت رايح مع الملك سنة 90 أو 91 مش عارف أحج. المهم وصلنا قبل وقفة عرفات بيومين. وعلشان الأمن والرسميات الملك

مقدرش ينزل غير تالت يوم على عرفات الله على طول.

طبعًا أنا قدرت أقفص منهم من أول يوم، وقلت طالما أنا هاحج يبقى أحج زي ما ربنا أمر.

رغم كل الدواعي الأمنية اللي اتعملت للملك فيه ناس اكتشفت وجوده، وبقت تيجي تسلم عليه.

قبل المغرب، والدنيا على وش ليل، وفيه رجل كبير ووشه منور كده، وتحس أنه عليه رضا ربنا قرب من الملك وسلم عليه وراح قايل له:

ـ اتقي الله في شعبك يا ملك.

تلات مرات وهو بيهز إيده في وشه وبيتكلم بالراحة خالص لدرجة إني مفهمتش الجملة غير تالت مرة. الملك سمع الكلام ووشه اتغير على الآخر وراح غمز للواد كبير حراسه على الراجل أبو وش منور. طبعًا الواد ماكانش محتاج لأكتر من الغمزة دي علشان يشد الراجل ويبعده عن الملك اللي أنهى حجه، وهو متأزم جامد، وعلى وشه غضب ربنا. تاني يوم روحنا دبحنا عجل، ورمينا شوية الجمرات ورجعنا القصر وهب الطيارة كانت جاهزة ورجعنا هنا. أنا في الطيارة اتزلقت ومعرفش إيه اللي خلاني أرجع أخش حمام الدرجة التانية. أنا رجعت للطيارة من ورا وأبص لك بطرف عيني أشوف مين؟

ـ مين؟

سأل سعد بسرعة وبرعب وخوف.

ـ الراجل أبو وش منور بس حاله يا ولداه اتقلب. وشه كده مسخوط وقد كف الإيد، وعينيه دخلت لجوه، وحالته من الآخر كرب. دخلت الحمام وصورة الرجل في دماغي لدرجة إني لا مواخذة الميه الخاشت مني ومقدرتش أنزلها قبل ما أعرف إيه اللي حصل. رحت طالع وداخل عليه لقيت واحد من الحراسة واقف معاه وهو حاطط وشه في الأرض والواد نازل تنطيط عليه. سألته إيه الموضوع راح زاغرلي زغرة وقال لي لو سمحت ارجع مكانك وكأنك مشفتش حاجة. أنا طبعا كنت خلاص هقلع المركوب وأديله على أم راسه. ابن المعفن مش عارف بيكلم مين؟ دانا مهرج الملك، وممكن أقعده في بيتهم من الصبح لو أنا شاورت بطرف صباعي الصغير لسه هتكلم لقيت كبير البصاصين داخل وقال لي هو كمان لو سمحت حضرتك اتفضل كلم الملك بسرعة. طبعا في الحالة دي زي البروتوكول ما بيقول سيبت حالي ومالي وطلعت جري على الملك. لقيته لسه لمواخذة في الحمام. لسه راجع تاني علشان أشوف حل مع الكداب الكبير لقيته داخل من الباب اللي بيفصل الطيارة وقافله وقال لي: أنت مشفتش حاجة. أنا بصيت له كده باستغراب وقلت له إزاي يا كبير البصاصين؟ راح حاطط إيده على كتفي وساحبني على ركن بعيد عن حمام الملك، وقال لي إن أوامر الملك محدش يعرف عن الراجل ده حاجة خالص. أنا طبعا كان الفضول هيموتني، بس أعمل إيه؟ الإيد قصيرة والعين بصيرة وكلام الملوك لا يرد حسب ما تربيت. تفوت الأيام وغر الأيام قول سنين مرت، وأنا نسيت الموقف خالص

لغاية ما في يوم سمعت كبير البصاصين بيرد على عامل السجن الأول بخصوص الراجل اللي جابوه من ساعة الملك ما راح يحج ويقول له خليه مرزي في السجن. ما هو واكل نايم شارب ببلاش. حد يصدق أن واحد يترمي في السجن أكتر من تلاتاشر سنة علشان كلمة صغيرة، قالها للملك على جبل عرفات. عاوزك بقى تكتبها قصة حلوة كدة زي قصة فلفل، ولا الواد المحروس، ولا عبد العال مهران، وتدعي لي.

27

أنا الملاك الذي هناك أسألكم جميعًا عن السيد مرزوق منصور.

هل تعرفونه ؟

ـ يبدو أن جلوسك جوار الكاتب ـ أيها الملاك ـ قد أثر فيك كثيرًا، حتى أنك تسأل عن أشياء إن تبد لكم تسوكم، كما قال المولى عز وجل.

ـ أنا الكاتب أقول إن الملاك الذي هناك والمهرج يخفون شيئًا ذا بال، ولا بد أن يكون السيد مرزوق منصور هو شخص يعرفه كل منهما كما يخبرني حدسي.

أنا الملاك الذي هناك أقول إن السيد مرزوق منصور هو ابن آدم الذي كان يسكن في منطقة البساتين، وله عائلة مكونة من خمس بنات وزوجة صالحة، وكان يعمل في شركة أسمنت بورتلاند حلوان قبل أن تفرض عليه الحكومة أن يخرج "معاش مبكر" في الخامس من حزيران بعد أن ظل يعمل في تلك الشركة تسعة عشر عامًا، وبضعة شهور، بعد أن خرج من الجيش في الثالث والعشرين من يوليو عام 1975، نسيت أن أقول لكم إن السيد

مرزوق قد تزوج من ابنة عمه انشراح عام 1972، وأنجب ابنته الأولى انتصار في منتصف عام 1973 قبل معركة العاشر من رمضان بخمسة شهور على الأقل؛ وربما يرجع ذلك إلى تمنى النصر في الحرب التي كان يستعد لها منذ دخل الجيش في شهر سبتمبر عام 1970، ثم جاءت ابنته الثانية منصورة في شهر مارس من عام 1974؛ ثم أنجب فرحة في العاشر من يناير من عام 1976 بعد استلامه العمل بمصنع التعبئة التابع لشركة أسمنت حلوان. في عصر يوم الثامن عاشر من شهر يناير نزلت سعاد 1977؛ ثم ختم بآخر العنقود رحمة في 1979، كان قد مضى أكثر من خمس سنوات على خروجه على المعاش مبكرًا حين أتم الخمسين من عمره، كما قالت له ابنته رحمة في صباح ذلك اليوم، وبالتحديد 23 يوليو من عام 2000، استطاع على مدار الأيام، وبتواريخ مختلفة لا داعي لذكرها حتى لا يحس أحد منكم بالزهق أن يزوج الدكتورة انتصار من زميلها الدكتور ماهر، ثم زوج المهندسة منصورة من دكتور صيدلي يدعى عزت. وفي نفس اليوم الذي وقع فيه على استمارة المعاش المبكر صباحًا كان يوقع في المساء بصفته وكيل المحامية سعاد السيد منصور، كما هو مكتوب فوق لافتة خشب وضعها فوق مكتب لها بعد ذلك اليوم بستين. كان قد أخذ 27 ألف جنيه مكافأة مع المعاش الذي تحدد له، وكان مقداره 132 جنيهًا بعد أن قدرت مدة خدمته العسكرية التي شاء لها الله أن تكون خمس سنوات بالتمام والكمال كمدة واحدة، وليست مدتين كما يحدث لكل العاملين في جمهورية مصر العربية. اضطرته الظروف

للبحث عن عمل في بدايات عام 1996 بعد أن أصبح المبلغ المتبقى فى البنك بعد زواج ابنتيه 9 آلاف جنيه يأتون بعائد مقداره 73 جنيها، بالإضافة لمبلغ المعاش. كان قد ظل ما يقرب من العشرين عامًا لا يعرف غير الوقوف على (ماكينة) تعبئة الأسمنت وهو يضع على فمه كمامة يتغير لونها الأبيض إلى اللون الرمادي الغامق. عمل فى أماكن مختلفة طوال السنوات الأربعة الماضية حتى صباح اليوم الذى قالت له فيه رحمة:

ـ كل سنة وانت طيب يا عم السيد.

ـ وانتى طيبة يا بنتى. بس على إيه؟ خير إن شاء الله!

ـ النهاردة 23 يوليو يا عم الحاج.

ـ يا رب يا بنتى يسمع من بقك ويكتبهالى.

ـ إن شاء الله محدش هيحججك غيرى أنا ياحجوج يا صغير أنت.

قالت الدكتورة فرحة التى تنتظر نتيجة امتحانات السنة النهائية بطب الأسنان.

ـ الأول نفرح بيكم، ويقدرنى السيد على تجهيزكم يا فرح يا بنتى.

قالت الأم وهى تضع أمامهم طبق الفول وأرغفة العيش قبل أن تدخل مرة أخرى لتأتى بباقى الفطور الذى أعدته للزوج قبل الخروج إلى عمله الذى لم يعد جديدا؛ بعد مرور سنة كاملة دون أن يتم الاستغناء عن خدماته كما حدث فى الأعمال الكثيرة التى عمل بها منذ خروجه على المعاش فى سن الخامسة والأربعين، وظل لمدة شهرين يجلس فى البيت.

ـ يا ستي قولي له كل سنة وانت طيب.

قالت فرحة وهي تضع نفسها في صدره وهو يجلس فوق الكنبة.

ـ كل سنة وهو بصحة وعافية، وربنا يخليه لنا ويجعل يومي قبل يومه. بس علشان إيه يا دلوعة أبوكي انتي ؟

ـ وأنا يا مامامش دلوعته ولا إيه ؟

قالت رحمة آخر العنقود وهي تزيح فرحة أختها عن حضن أبيها وتتخذ مكانها.

ـ طيب يا اختي قومي هاتي طبق البدنجان وقزازة المية من الثلاجة بدل المياصة ديه.

قالت الأم وهي تجلس على الكنبة بجوار زوجها وتمد يدها لتزيح ابنتها الصغيرة التي سوف تصبح في العام القادم إن شاء الله خريجة كلية الإعلام.

ـ الحق يا ابو السيد، انشراح بتغير مني، وبتغير عليك.

قالت رحمة وهي تمسك برأس أبيها وتضع قبلة بياصة واضحة على خده وهي تنظر بعيونها إلى الأم التي راحت تنظر لابنتها بغضب وود أيضًا.

ـ عقبال 100 سنة يا ابو انتصار.

قالت الزوجة وهي تنظر بحب إلى رجلها الذي هناها منذ دخلت بيته لأول مرة.

ـ يا ترى مين يعيش يا ام انتصار، وبعدين والله الواحد حاسس إنه عمر أكتر من نوح عليه السلام.

ـ جرى إيه يا عم السيد؟ دول خمسين سنة عُمى. عقبال الخمسين الجايين.

قالت فرح وهى تسحب يده لتنزله على الطبلية التى أصبحت معدة.

خرج الرجل بعد أن ودع أولاده وزوجته على وعد أن يطلب من صاحب ورشة النظارات الحاج طه أن يتركه يعود مبكرًا ساعتين عن موعده نظرًا لاحتفال الأسرة بعيد ميلاده الذهبى. اكتشف وهو يصلى الظهر بالقرب من إحدى الصيدليات التى يأتى لها ببعض العدسات بمدينة نصر أنه نسى محفظته فى البيت. قبل العصر بساعة وربع كان قد عاد مرة أخرى إلى الورشة بالعتبة ليأخذ طلبية أخيرة لصيدلية سيف بشارع القصر العينى قبل أن يعود إلى بيته، كما أمر الحاج طه وقال للأستاذ توفيق الذى يحل محل الحاج فى الفترة من الثانية بعد الظهر إلى السادسة، أمسك بالطلبية سريعًا وهو يرفض أن ينتظر حتى يأتى الغداء الذى يأتى بعد العصر مباشرة من بيت الحاج طه الذى يسكن الدور السابع من نفس العمارة التى بها الورشة والمحلات. ركب أتوبيس 82 بشرطة حتى ينزل بالقرب من شارع القصر العينى. نزل من الأتوبيس ومشى مسافة ليست بالطويلة حتى دخل الصيدلية وأنهى عمله بتسليمه بعض الشنابر والعدسات، ثم أخذ ورقة الطلبية الجديدة، وخرج وهو يسلم على الدكتور أشرف سيف صاحب الصيدلية الذى منحه خمسة جنيهات إكرامية ووهبة. لا يعرف لماذا أحس بالجوع مرة واحدة. مشى خطوات حتى مطعم أشرف الذى أمام مسرح السلام ودفع الورقة المالية فئة

الخمسة جنيهات وطلب سندوتش من الطعمية وآخر من الفول حتى يتصبر حتى يعود إلى بيته في البساتين. أمسك بالكيس الذي به السندوتشات وهو لا يعرف هل يقف ويأكلهم في المحل أم يأكلهم في الشارع وهو يتحرك. قرر التحرك، لكنه وهو يقضم القضمة الأولى من "سندوشت" الطعمية نظر إلى الوجوه التي تقابله وتنظر إليه باحتقار، تذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاص بأن الأكل عورة يجب إخفاؤها، ومن هنا أعادت يداه السندوتش إلى مكانه في الكيس وهو يتحرك في اتجاه التحرير. كان قد مر من القاطع الذي يقسم شارع القصر العيني ليدخل إلى جاردن سيتي، والذي هو بالتحديد أمام مجلس الشعب، حين تذكر أنه لم يأخذ باقي الخمسة جنيهات من العامل الذي يجلس على بنك في مطعم أشرف، ومن هنا عاد وهو يعدو سريعًا حتى لا ينسى وجهه ذلك العامل، ولم ينتبه إلى الإشارة التي تم إغلاقها لمرور السيد وزير الداخلية. نزل من على الرصيف، وفي يده الشنطة النائم فيها سندوتش الطعمية الناقص قطمة وسندوتش الفول في لحظة مرور العربة الهامة التي تسبق مباشرة عربة السيد الوزير. لا يعرف لماذا سقط من يديه كيس السندوتشات في تلك اللحظة التي خرج فيها وابل من الرصاص جعله يرتفع عن الأرض بمقدار خمسة أمتار على الأقل قبل أن يستقر عليها، وبالقرب منه كيس السندوتشات أمام الناس التي كانت تقف في انتظار مرور موكب الوزير. وقفت إحدى سيارت الحراسة وأدخلت جثة السيد التي أصبحت كالمنخل، وفي لحظات كان هناك لواء يشخط في الناس

التي شاهدت الموقف حتى يخلو الطريق. مضى بعض العاملين في وزارة التجارة وبعض اللذين شاء حظهم العاثر أن يشاهدو الإرهابي الخطير كما صرحت الأهرام في صباح الرابع والعشرين من يوليو الذي كان يقصد سيارة السيد الوزير بقنبلة مخبأه في كيس، والذي رفع دماءه في لحظات، وقبل أن يصل الذين شاهدوا الموقف وراحوا ينظرون إلى بعضهم البعض بدون أن يخرج أي سؤال من الأسئلة الكثيرة التي ارتسمت على أوجههم إلى ميدان التحرير، ليدفن السيد منصور مرزوق في ترب المجهولين، بعد أن عجزت الشرطة عن معرفة اسم ذلك الإرهابي، أو أي شيء عن هويته، في مساء يوم السابع والعشرين من يوليو، وما زالت الأسرة تبحث عن عائلها حتى الآن، ولكنهم بعد اختفاء كاتب كبير بحجم رضا هلال لم يعد أحد من الأبناء الخمسة يستغرب كيف انشقت الأرض وبلعت أبيهم السيد منصور مرزوق الذي ترفض وزارة الشؤون الاجتماعية صرف معاشه حتى الآن نظرًا لعدم مرور خمس سنوات على اختفائه أو عودته.

28

لا راد لقضاء الله.

جملة همس بها الحاج عمر محمود، الشهير بـ"عمر بن الخطاب"، لكل المصلين في زاوية أبناء الغربية بحكر أبو دحروج.

جاءت تلك الجملة إثر وقوع ابنته عفاف ذات السادسة عشرة، والطالبة بمدرسة التجارة الثانوية بنات بحلوان، كفريسة في يد سلامة النمس. وعلى الرغم من أن الحاج عمر محمود كان قد قالها في منتصف التسعينات، وبعدها بشهور قليلة باع بيته بالحكر، وعاد إلى رحاب السيد البدوي منبت آبائه وأجداده الكرماء بعد أن أصبحت عفاف مطلقة، ولم تبلغ بعد السابعة عشرة، فإن تلك الجملة صارت الاسم الحركي، والذي كان يبحث عنه كل قاطني الحكر منذ بلغ المدعو سلامة النمس السابعة عشرة، والذي تأخر اسمه الحركي لمدة سبعة أعوام على الأقل لكل قاطني المنطقة الذين وجدوا في ذلك اللقب خير دليل من الله عز وجل من قبل ألف وأربعمائة ونيف على أنه سيخلق سلامة النمس عام 1961.

لا راد لقضاء الله إذا أراد النمس أن يختلي بامرأة أيًا كانت.

ـ كلهم يا نمس؟

سأله مهياص وهو يصب كأسًا من زجاجة 84 التي جاء بها النمس.

ـ بص يا حضرة الصول. أي واحدة في الدنيا ليها مفتاح، أنا لو عاوزها هاجيبها بمجرد ما يتك المفتاح في إيدي تكاية واحدة.

قالها وهو يحرك يده اليمنى في الهواء، وكأنه يمسك بمفتاح ويضعه في باب افتراضي، بعد وضع الكأس في يده اليسرى، وكأنه يفتح بالفعل بابًا.

شرب مهياص الكأس ثم نظر إليه وانتظر حتى تغيب زوبة عن الحجرة، وقال له:

ـ وزوبة يا نمس.

عاد النمس برأسه إلى الخلف وكأنه أخذ على غرة رغم أنه فكر في ذلك السؤال الذي طرحه مهياص وهو يتلصص على مكان زوبة وسأله بصوت ضعيف:

ـ ما لها؟

قال النمس وهو يعرف الإجابة، لكنه أجل إجابة السؤال حتى يأتي وكأنه خارج بالصدفة:

ـ يعني مفتاحها تعرفه؟

تنحنح النمس قليلا ونظر إلى مهياص نظرة الخبير وقال:

ـ أبقى كداب لو قلتلك لأ. بس شهادة لوجه الله الست مش بتاعة الكلام ده.

قالها وهو يغمز بعينه اليسرى لمهياص الذي كان متأكدًا من ذلك الرد من النمس، ولا يعود ذلك إلى ثقته في صديقه الجديد، والذي وجد فيه خير جليس وأنيس وصاحب واجب وفواكه ومخ وحاجة ساقعة طوال الأيام الثماني، ولكن مرجع ذلك إلى زوبة التي يعرف أنها لو لم تكن زوبة لكانت أم المسيح التي اتُّهمت ظلمًا وبهتانًا في المسيح قبل أن يبرئها الله.

- إزاي بقى يا عم نمس؟

قالها مهياص بسرعة.

- يعني الست زوبة ليها مفتاح طبعًا، بس أنا معتبرها زي أختي أم سعاد.

- طب مفتاحها إيه؟

- يعني بيني وبينك زيها زي أم سعاد أختي.

- وهي الست أم سعاد ليها مفتاح؟

قالها مهياص بتردد واضح وهو يبعد بعيونه عن عين أخيها الذي استمع إلى السؤال ثم هرش بيده في رأسه، ثم دلق كاس 84 في فمه وكأنه يتخلص منه، ثم أمسك بعيون مهياص التي كان يبدو فيها اشتهاء أخته. وجدها النمس فرصة سانحة للتقرب أكثر إلى مهياص حتى لو كان على حساب أخته التي يعرف أنها تنام مع جارهم العازب منذ 15 عامًا، فقال:

- طبعًا ليها مفتاح. أنا في الحاجات دي معرفش أمي علشان يكون في بالك.

- مع إن أبو سعاد زي ما أنا سامع مهنيها.

ـ وده يمنع ؟

قال النمس وهو يلف يديه في الهواء ويغمز بعينه لمهياص الذي ظهر جليًا أنه يتمنى كثيرًا أن يرقد فقط في طول أم سعاد التي لا يعرف اسمها الأصلي قبل أن تأتي بسعاد.

ـ أكيد يا نمس يا اخويا.

سأل مهياص وهو يكبت مشاعره حتى لا ينتبه أخو أم سعاد ذاته الذي يحدثه.

ـ اسمع.

ثم هرش ذقنه بظافر إصبع الخنصر الذي يربيه، وهو يضيف:

ـ علشان أنت طول عمرك بتعامل عساكر على الجبهة، ومتعرفش في صنف النسوان حاجة.

ثم أمسك بالزجاجة وصب كأسًا لمهياص وكأسًا له، وهو يضيف.

ـ النسوان دي تخصص. والعبد لله اللي قدامك متخصص في الموضوع ده.

ـ أنت كده هتخوفني على زوبة.

قال مهياص وهو يعود برأسه إلى الوراء حتى يعطي مساحة لعينه أن تتابع النمس عن كثب.

ـ زوبة دي لا مؤاخذة من الصنف اللي عينه مليانة، لو عملت معاه اللالالي ميتحتحش من مكانه.

ثم نزل بيده على فخذ مهياص الذي كان يبدو من وجهه أنه واثق كل الثقة في زوبة التي عشقها من أول نظرة، والتي لم يصدق فيها كل ما قيل حين فكر في التقدم لخطبتها.

ـ طمنتي يا نمس يا اخويا، أصل متعرفش أنا عملت إيه علشان أخدها.

ـ احكي لي.

ـ مرة تانية أبقى أحكي لك. قول لي بقى لا مؤاخذة الست أم سعاد أختك.

ثم نزل بعيونه إلى الأرض حتى لا يفتضح أمره وأضاف:

ـ نظام مفتاحها إيه؟

ـ جرى إيه ياعم مهياص؟

قال النمس وهو يضع على وجهه قناع الفصلة الذي حرمه الله إياه منذ خرج إلى الحياة في الثامن والعشرين من سبتمبر من عام 61، لأب أصر ذات عصر من عام 56 أن ينجو بأهل بيته، فأخذهم من بورسعيد الباسلة في عربة حربية وذهب بهم إلى ميدان رمسيس، ومن هناك أخذ عربة أخرى إلى عرب راشد في مدينة حلوان بجوار منزل أحد الأقرباء، وعاد إلى بلده وظل يدافع عنها حتى عاد بالنصر والبشرى إلى زوجته التي وجدت في الشهور السبعة المنصرمة عيشة أفضل مئات المرات من مدينته الكئيبة، وربما يرجع الفضل في رؤيتها الجديدة إلى الأستاذ سلامة محمود قريب العائلة من بعيد. ولقد تعود تلك الفرحة إلى أن منّ الله عليها بطفل يسكن عمقها بعد أن ظلت

عشر سنوات أخبرهما فيها الأطباء ألا أمل في حملها، وها هو الأمل يظهر بعد أن كشف الله الأطباء والدجالين الذين أوهموه بأنه عقيم. سبحان الله مسبب الأسباب كما قال الأستاذ سلامة وهو يهنئ أخاه محمود الذي أخذت منه الفرحة برجًا من عقله حتى أنه نسي تمامًا التقارير الطبية التي كان يمسكها في يده، وهو يمزقها أمام الأستاذ سلامة الذي أخذه في حضنه، وراح ينظر إلى كوثر ويمنحها قبلة في الهواء مع غمزة من عيونه العسلية التي ورثتها عنه نصرة أم سعاد في عام 58، ثم سلامة في الثامن والعشرين من سبتمبر عام 1961.

ـ كده بقى يبقى أنت زعلت يا عم سلامة، وعلشان لا تفكر كده ولا كده معاذ الله.

ثم وقف على حيله بصعوبة واقترب من رأس النمس ووضع فمه عليها وهو يصيف.

ـ وادي راسك أهيه يا عم.

ـ أنا الملاك الذي كان هناك، وشاهد هذا الموقف، أتساءل كيف أضع قبلة طويلة بنفس صوتها الخارج من فم مهياص؟ وبالطريقة ذاتها في سحبها من فم رجل مسطول تمامًا وتهتز قدماه؟

ما هي الحروف التي تكتب بها تلك السحبة؟ التي انتهت على خد النمس.

سحب سلامة رأسه من تحت يد وفم مهياص بسرعة حتى أن اتزان

مهياص قد اختل، فما كان منهما إلا أن أكملا الليلة في مستشفى حلوان العام بعد أن كسرت سنة لمهياص وأخذ النمس علامة تجارية جديدة في أعلى خده عبارة عن غرزتين ظل وجهه يحتفظ بهما طيلة حياته.

29

انتهت الجلسة الأولى للصلح بين ريعو ونسيبه، واتفق الجميع على موعد الجمعة القادمة دون السماح لأبي شديد التعلب أن يتلاعب بهم كالعادة.

كان الموعد بعد صلاة العصر واكتمل الجمع وقال كبير الجلسة: دلوقتي نسمع للأخ ريعو، اتفضل يا ابني.

- الحكاية علشان وقت حضراتكم في كلمتين. أنا جبت لأختي صيني وقزاز وفرش سراير وملايات وأطقم كاسات وحاجات نسيت اسمها.

- وأربع سجاجيد وقماش التنجيد كمان يا ابني.

قالت الأم بصوت ضعيف وواضح وهي تذكر ابنها.

- وزي الحاجة ما قالت كده. أنا جبت الحاجات دي أنا والأستاذ الحسيني، وفي حضور عم الحاج أبو الحسيني والحاج محمود. وعمي الحاج عبد الواحد فتح حتى الحاجات بإيده واطمأن إن مفيش فيها حاجة مخدوشة. مش كده يا عم الحاج أبو الحسيني؟

هز رأسه في لامبالاة مما جعل الحاج محمود يشير له أن يكمل كلامه.

ـ الحاجات ديه حسبانها بسعر وقت شراها، مش بسعرها دلوقتي زي ما صمم عم الحاج أبو الحسيني. لقينا تمنها 7590. الحاجات ديه تكتب في القايمة ولا. لا؟

ـ لا طبعا.

رد عبد الواحد بسرعة.

ـ إزاي بس يا عم الحج؟

قال ربعو وهو ينظر إليه ويفرد يديه في الهواء بهدوء وكأنه يحدث أباه.

ـ أهم الناس الكبار قاعدين أهم، ويقولو لك إن سلونا كده، وسلوكم غير سلونا، لكن إحنا بقى اللي بنمضي على القايمة، يبقى في الحالة دي سلونا هو اللي يسود. مش كده يا حاج رمضان ولا أنا غلطان؟

ـ والله الحكم ما فهوش سلوكم وسلوهم يا ابو الحسيني.

ـ إزاي بقى يا عم الحاج أفهمها؟ واحدة واحدة عليّ وأنا ليك عليّ أمضي شاهد على النطع ده.

أنهى كلامه وهو يصوب العصا في جنب ابنه ويلكزه بغلٍ واضح.

ـ بص يا عبد الواحد، لما بيطّرح السلو في المسائل دي اللي قابلينا بقى بيقول إيه؟ شيل ده من ده يرتاح ده عن ده.

قال الحاج زكي أبو حربية، صاحب قمين الطوب والموزع المعتمد لحديد الدخيلة وأحد المحكمين:

ـ مش فاهم سعادتك يا عم الحاج زكي.

ـ لا فاهم كويس.

ـ يعني يا عبد الواحد لو مثلا الأخ ريعو جه يتجوز بنتك هتعامله بسلوه ولا بسلوكم؟

سأله الأستاذ عبد العظيم حماد. لم يتردد عبد الواحد، وقال سريعًا وهو يرفع العصا ويستقر على الكنبة.

ـ طبعًا بسلو الباشمهندس ريعو..

ـ طبعا طالما مطمئن لأنك مجوز بنتك الوحيدة من سبع سنين.

قال الحاج محمود وهو يكاد يقف ويضربه.

ـ من ورايا واسأل يا حاج محمود، وشوف أنا عملت معاه إيه لما دخل علي عريان حتى من أهله.

ـ واسأل ليه يا عبد الواحد، انت ناسي اني كنت بحكم في الموضوع ده!

قالها له المقدس عوض الله وهو ينظر اليه بتشف أصر من أجله أن يجلس فوق كرسي الاعتراف بعد ذلك بأسبوع، ولكن وهو يعترف للكاهن بخطية التشفي في هذا الرجل همس لنفسه، لكن عبد الواحد يكفر العابد.

بادره عبد الواحد حتى لا يعطيهم الفرصة للتضييق عليه:

ـ يا ابن عمي أهل الواد ناس مش تمام، وكانوا طمعانين في ابنهم، وقال إيه كان جايب شيء وشويات من الكويت وهو جاي قبل ما يخش عليّ حافي.

أمسك بسيجارة من يد ربعو وأشعلها وهو ينظر إليه بود ثم أخرج النفس وهو يقول:

ـ هو كان فيه حد قادر على مجايب قشة معاه وهو راجع من الكويت، ده صدام بذات نفسه كان واقف على باب الكويت واللي بيشوفه مش حاطط ديلة في سنانه وواخدها فكيك كان بيطخه بنفسه. لكن تقول إيه كلام الناس!

ـ يعني أفهم من كده أنك هتمشي على الحكم ده يا ابو الحسيني؟

سأل الأستاذ حشمت.

ـ الأصول متزعلش حد يا أستاذ حشمت.

ـ طيب نكتب أربعة وربعو يسامح في الباقي.

عرض الحاج محمود وهو ينظر بأسى إلى الحاج رمضان.

ـ مسامح يعني إيه يا عم الحاج؟ ده كلام معناه أنه يجي عليّ وميصحش الكلام ده. وبعدين أنا مالي هو الحاجات ديه هاستعملها أنا في بيتي ولا هتستعملها أخته في شقتها؟

ـ خلاص تاهت ولقيناها. الحاجات دي انتوا كنتوا متفقين عليها من الأول يا ريس عبد الواحد؟

سأل آخر المحكمين.

ـ عاوز الحق ولا ابن عمه يا ابو توفيق؟

ـ الحق طبعًا.

ـ لا.

قال عبد الواحد: وهو لا يعطي فرصة لأي اقتراح وأضاف:

ـ بس جت خلاص والواد شافها وشبط فيها وبقى متعلق بيها قوي.

ثم رفع العصا وأشار لابنه دون أن يلكزه وسأله:

ـ مش كده ياباشمهندس حسني؟

ـ أيوه يابا.

ـ وكمان طلعت من ذمة المهندس ربعو. مش كده ياباشمهندس؟

وقبل أن يجيب ربعو الذي كان سيؤمن على كلام أبو النسب الألعبان قال محمود:

ـ يعني إيه طلعت من ذمته! هو ده مش عرقه طول الليل، وفي عز التلج، وانت قاعد على الراكية مربع وبتهز رجلك، وهو مصلوب وضهره مكسور في غسيل وتشحيم العربيات! الحاجات لازم تكتب، على الأقل يحفظ حق أخته من غدر الأيام. ولا إيه يا رجالة؟

قال عبد الواحد ببرود:

ـ ده كلام لا يودي ولا يجيب ياعم الشيخ محمود. وبيني وبينك يعكر النفوس.

ثم رفع عصاه وأشار إلى الجالسين وهو يضيف:

ـ والرجالة أهم قاعدين وفاهمين الأصول كويس، وفاهمين كمان إن الفرح بعد يومين، واللي هيحكموا بيه هيمشي على رقبتي زي السيف. وبعد إذنك. أطلب لنا شاي.

قال الأستاذ حشمت وهو يربت بيديه على فخذ الحاج محمود الذي كانت عيونه تطلق شررًا من قرموط البرك أبو راس سودة حفيد ديان ابن عائلة الثعلب التي استجارت منها مدينة سبع البرميل، هؤلاء الذين لم يجدوا أمامهم حلا بعد قتل الثعلب الكبير غير طردوهم من البلد:

- يا ربعو يا ابني، الحاجات دي مش هاتتكتب. ومن رابع المستحيلات إنها تتكتب يا ابني. لو عاوز تديها لأختك ده فضل منك وانت أهله. لو مش عاوز مفيش واحد في كل الناس دي هيغلطك.

- والله حضراتكم اللي تحكموا بيه أنا تحت أمركم.

- على خيرة الله. الفرح يكمل وعنها ما اتكتبت. يعني هو كتابتها هيعمل إيه لو لا قدر الله حصل حاجة وحشة؟

- يعني إيه يا ابني؟

قالت له الأم وهي تريح يدها المشلولة على الكوب وتمر بيدها السليمة على حبات المسبحة.

- يعني خلاص يا امه؟ المهم الحسيني يحافظ على أختي.

- في عنيا يا ربعو قدام الرجالة دي.

قال الحسيني وهو صادق مما جعل عبد الواحد يقوم وهو يضع كوب الشاي الفارغ ويمسك العصا وهو يقول لابنه. نظر إليهم عبد الواحد قائلا:

- والله العظيم ثلاثة أنا فعلا دلوقتي بس أقدر أقول إني ناسبت بصحيح. الله يرحم والدك كان حبيبي، حتى اسأل الست الكبيرة والدتك ووالدتي

كمان علشان أدبها. أنا والمرحوم أبوك كنا أصحاب، وكان يشوفني جاي من بعيد يقوم على حيله من على مكتبه قدام المحكمة، وياخدها جري لغاية ما يرمي في صدري اللي أنت دلوقتي ساند عليه زيه بالضبط. فعلا اللي خلف ماماتش.

ثم تحرك بفخر وهو ينظر إلى كل الحضور وانصرف تشيعه لعناتهم السرية والمعلنة.

تزوجت أنصاف في الموعد المحدد، ومضت أعوام ثلاثة وريعو قد بدأ العمل على تنفيذ حلم عمره. ظل يعمل على قدر ما يستطيع، حتى أكمل 50 ألف جنيه جعلهم أمانة عند الحاج محمود. وفي بداية العام الرابع، وفي يوم الجمعة الأولى من شهر يناير بعد أن صلى الجماعة في زاوية أبناء الناعورة التي يشرف عليها الحاج محمود. عاد ودخل إلى شقته ولبس البدلة السموكن السكري التي اشتراها في فرح أخته أنصاف. كانت تلك البدلة على مدار عمره هي التكريم الوحيد الذي منّ به على ذاته، ودخل إلى شقة الحاج محمود صاحب البيت وصاحب زوجة المستقبل. اطلع الحاج محمود على حلمه منذ البداية وكان له نعم المعين، وخرجا معًا وفي جيب الحاج محمود عقد بيته المسجل، وفي حقيبة ترقد النقود التي أخذت من روحه الكثير حتى يجمعها. ركبا الاثنان الميكروباص المتجه إلى ميدان التحرير، وأمام صالة لبيع العربات بمنطقة فم الخليج نزلا بالنقود التي تعتبر ربع سعر العربة، وبعقد بيت الحاج محمود السيد عيد المسجل بتاريخ 24/7/ 1987 بالشهر العقاري تحت رقم

2254 على 7/24، والخاص بالعقار رقم 45 بشارع الملك إبراهيم بحكر أبو دحروج، وببطاقة عائلة رقم 2166 التبين، وبصفته الضامن المتضامن استلم ربعو عربة التويوتا موديل 2002 وعاد بها إلى حلوان يجلس بجانبه الحاج محمود وهما يستمعان إلى صوت الشيخ مصطفى إسماعيل وهو يقول: "ولسوف يعطيك ربك فترضى".

د ـ النشاط الأهلي بالحكر.

يوجد بالحكر ثلاث جمعيات أهلية. هي جمعية الهدى الإسلامي، وجمعية تنمية المجتمع المحلي، وجمعية أبناء حكر أبو دحروج.

تعتبر جمعية الهدى الإسلامي هي أقدم جمعية، إذ تأسست في عام 1984 بجامع صفين ثم ألحق به عيادة، ثم تم تعميمها على الحكر لتصبح الآن 12 جامعًا و12 مستشفى تخصصيًا في كل الأمراض، و12صيدلية، ويبلغ عدد أعضائها في يناير 2002، 34 شيخا وزعت الجوامع عليهم، وأصبح لهم بيوت مرتفعة. وحصلت الجمعية على قرض من بنك ناصر يبلغ قيمته الإجمالية 2 مليون و12 ألف جنيه بعد حساب فوائده، وقد تم سرقة هذا القرض، وسُجن الشيخ محمود عبد الوهاب، خادم الجامع الذي كان من محافظة الفيوم، بعدما تبين توقيعه على كل العهدة التي سرقت من الجوامع.

أما جمعية المجتمع المحلي، فقد تأسست عام 1993، ويبلغ عدد أعضائها 24 عضوًا. وتمكنت عن طريق وزارة الشؤون الاجتماعية، وبتمويل أمريكي

إسرائيلي مشترك، من إقامة تربيزة بنج بونج، ومن إقامة مشغل للفتيات بأربعة رؤوس مكن سنجر وماكينة تريكو سُرقت بعد حضورها بإسبوع، وماكينة أوفرلوك (للسرفلة والعراوي) لم تدخل أصلا إلى الحكر، صار المشروع الأنجلوإسرائيلي عاطلا لمدة سنة قبل أن تتمكن السيدة الفاضلة إحسان الطالع عبود، أمينة المرأة عن الحزب الوطني، من إقناع بنك ناصر الاجتماعي بالحصول على قرض قدره 7898 جنيهًا بعد خصم الفائدة. أنفق في شراء أقمشة لإنتاج الملابس وغيرها، وتسببت مشكلات "التشطيب" والتسويق في عدم استمرار المشروع، واضطرت السيدة الفاضلة، سابقة الذكر الحسن، من دفع العشرة آلاف جنية للبنك بعد أن حجز على بيت زوجها الكائن بـ81 شارع الملك إبراهيم في 11 سبتمبر2001، ولقد شاء الله أن تُفضح في الشارع، ويشاهدها القاصي والداني في الحكر، والذي لم يكن يضع في رأسه ما حدث في ذلك اليوم في أمريكا، رغم أنه في مقابلة تليفزيونية تمت على عجل من قناة الجزيرة، أثر وجود شاب من الحكر في أزمة الشباب التي تسببت في حصول المواطن الصالح عزام عزام على الإفراج من السجون المصرية المليئة بمصريين حقيقيين لم يصدر عليهم أحكام منذ عشرات السنوات، أعلن أكثر من 350 شابًا استعدادهم للذهاب إلى أمريكا وتفجير أنفسهم.

أما جمعية أبناء أبو دحروج، فقد وضعت تحت الحراسة بعد تأسيسها بشهر بتاريخ 1980/9/17، نتيجة مخالفات وصلت إلى ساحة القضاء بعد

حركة عصيان من الرئيس للفوز بالقرض الذى وافقت عليه رئيسة الشؤون الاجتماعية بإدرة حلوان وأمرت بصرفه تحت مسؤوليتها بعد أن أقنعها الرئيس المنتخب.

وكان القرض عبارة عن أشياء عينية بإجمالى مبلغ 17 ألف و376 جنيهًا، وكانت عبارة عن شبابيك وأبواب وموكيت وكراس وتليفزيون شارب 24 بوصة وكولديراستلمهم المدعو جمعة محمد مبروك، أمين الصندوق، ويظهر فى المستند بصمة إصبع مع التوقيع الواضح لعبد الدايم الديان أبو شديد الثعلب، رئيس الجمعية المنتخب، تحت رقم بطاقة عائلية رقم 2254 التبين الذي أنكر معرفته بالموضوع من الأساس، مما اضطر العاملين بإدارة الشؤون مع الوقوف مع مديرتهم الغلبانة فى يوم قبض المرتب، وتم تجميع مبلغ 978 جنيهًا بقي منها 68 جنيهًا بعد أن اشترى مندوب المبيعات وأمين المخزن كل الأشياء المكتوبة بالكشف وبالمواصفات نفسها من سوق الجمعة، والكائن تحت كوبرى التونسى بالبساتين.

31

توقفت في نص سابق عندما أمسك المعلم إبراهيم أبو ليلى بزجاجة قاهر الرجال التايواني، حسب كلام المعلم عاطف الجحش، للمرة الثانية، ورفعها في الهواء، ثم نزل بها بكل قسوة وبرود على رأس المعلمة أم فلفل، متعهدة توريد البيرة والخمر بحكر أبو دحروج في عرب كفر العلو، قائلا بصوت جهوري وغلّ حقيقي، ونظرة كبرياء في محل تجرية:

ـ في فرح ليلى يا بنت الكلب؟

وللحق عزيزي. أين كنت الآن؟ لك كل الحق في الغضب على النص السابق. لقد بدأ النص بالحديث عن المدعو عبد العال مهران، وعرفت في السطور الأولى منه أن عبد العال من مواليد برج الأسد السرطان. وإنه أكمل عامه الثامن والأربعين قبل أن يشرب لترًا ونصف من قاهر الرجال الأصلي، ويعود إلى بيته وفي عيونه نظرة مدهشة وغريبة لم يُشاهد بها أبدًا طوال الـ48 عاما الماضية. لكن ذلك يعلمه الله والملاك الذي هناك. وفي لحظة فارقة، وقبل الإضافة الجديدة الخاصة بالنظرة والدهشة والملاك

الذي هناك، عرج الكاتب على حكاية فرعية تخص قاهر الرجال، المشروب الأصلي الذي دفع فيه المدعو رارا ذات ليلة بعد الفرح بسنة وشهرين على الأقل، 60 جنيهًا مرة واحدة ليأخذ بثأره من عبد العال، ذلك النائم الآن على سريره بمستشفى النصر بحلوان، مشعلقًا قدمًا في الهواء، وأخرى تنزل بطرف السرير إلى أسفل، ويدان بهما ثماني شرائح، ووقفنا أمام رأسه التي تغطيه كمية مهولة من القطن والشاش، وتركناه يفكر في حياته التي امتددت على مدار 48 عامًا.

في الحقيقة إنه إختزل سنوات كثيرة، وبالتحديد على ما يربو من الـ20 عامًا.

وراح يراجع لماذا اتخذ قرارا بعدم مشاركته في الأفراح، وهو يعصر رأسه التي تولمه تمني كثيرًا أن يهرش ما تحت فخذيه، وكادت دمعة من عينه تفر حزنًا على حاله، إلا أنه تذكر الراقصة التي شاركها الرقص أمام الناس الذي لا يعرف فيهم أحدًا غير صديقه عاطف الجحش ورمضان سعد الشهير بـ"رارا".

ذلك الذي منحه للمرة الأولى في الحياة ابتسامة النصر. تلك الابتسامة التي دفع ثمنها كثيرًا حتى الآن، وكادت ـ منذ لحظات فقط ـ تكسر رجولته بدمعة. هل رقص بالفعل مع الراقصة واختصته وحده، كما يرى الآن في شريط الفيديو، بلكزة خفيفة على عضوه أمام الحاضرين الذين راحوا يرفعون زجاجات قاهر الرجال في صيحات أفريقية بالتأكيد لتعاود الراقصة لكزه في نفس المكان وبنفس الطريقة حتى يهدأوا.

هل وقف الشريط أم أنه أوقفه على اللقطة التي تتحرك أمام عيونه معادة وجديدة أيضًا، والدليل البين على ذلك هو تغير وجوه أصحاب الصيحات الأفريقية.

لا. لم يتوقف الشريط، فها هو يترك المسرح ويبدو مرهقًا تمامًا وعلى وجهه يتساقط العرق بعد أن تعبت الراقصة ولم تنتبه إلى لون عبد العال مهران الذي لم يعد يشارك الراقصة الرقص ووقف وهو يكاد يغمى عليه من هول ما أحس به، الراقصة تتفنن في كيفية الإمساك بعضوه كاملا بنا، على الصيحات التي وجدتها جميلة في البداية، ثم أصبحت مملة بعد أن لحس قاهر الرجال عقولهم جميعًا، ولم يعد يرضيهم حتى الإمساك به كاملا كما يحدث الآن، وليس ممثلا أو لكزة كما فعلت أول مرة..

لا يعرف عبد العال لماذا فتح عيونه الآن..

يمكن للكاتب أن يستثمر ذلك التوقف ويروح يطرح أسئلة ربما فتحت أفقًا جديدًا للنص كما يزعم بعض النقاد.

لكن ذلك أبدًا لن يشغل عبد العال عن طرح سؤاله الذي جاءه بعد أن شاهد نفسه منذ قليل وهو يتحرك بنفس القدمين واليدين وكل الأماكن التي أصبحت عاطلة عن العمل الآن، والتي يا لهول ما رأى! هي الأماكن التي مرت عليها يد الراقصة بالتمام والكمال. ومرة ثانية يا لهول ما كان يحس وتلك اليد تمر عليها، وما يحسه الآن! لقد ظل 48 عامًا وبضعة أشهر يمتلك كل هاتيك المناطق، لكنه أبدًا لم يحس بها، وأحس بها للمرة الأولى حين مرت تلك اليد.

أما السؤال، فللمرة الثالثة، يا لهول ما فكر فيه! هل لو عاد به الوقت إلى تلك اللحظة مرة أخرى؟ هل يترك يد الراقصة تمر على تلك المناطق التي أصبحت عاطلة عن العمل الآن أم يفر منها؟

والله لا أقصد التقليل منكم أو الإساءة. لكنني حقًا لا أستطيع الفكاك من هول الرد السريع الذي همست بهم شفتا عبده.

لقد تمنى أن يصاب ألف مرة من أجل لكزة بسيطة من تلك اللكزات الكثيرة.

أنا الملاك الذي هناك أصاحب الصديق المبتلى عبد العال مهران في مستشفى النصر بحلوان، أقول لكم، والله يشهد عليّ. وبالطبع أنتم جميعًا في غنى عن تكذيبي، لا لشيء إلا لأني ملاك، ومفترض فيّ الصدق، وليس عدم الكذب. أنا الملاك الذي هناك وأرضى بوضعي تمامًا، ولا أريد في الحقيقة مصاحبة الكاتب أو المهرج. ولو استمع إليّ الكاتب وبصدق أقول لاختار لنصه عنوان الملاك الذي هناك فقط، وهو أكثر جاذبية، وأكثر قدرة على التوغل في عقول الناس التي دائمًا تبحث عن الملاك الذي هناك؟

ودائمًا أيضًا ما تساءل:

ماذا يصنع الملاك الذي هناك؟

وأكثر ألم تستمع مرة واحدة إلى تلك المقولة الخالدة.

وأين كان الملاك الذي هناك؟

أو ماذا كان يفعل الملاك الذي هناك؟

أقول ذلك ليس لكون العنوان يحمل اسمي، فحتى لو كنت أنا المهرج لاخترت للعمل اسم الملاك الذى هناك. ولينظر سيدى الكاتب إلى ما يحمله عنوانه وعنواني. أقول ذلك فقط لأنه، رغم ملحوظتي السابقة، أنني راض كل الرضى، وليس فى قلبى مرض حتى أطمع فى مكان غيرى. هذا فقط حتى لا يأتى الكاتب بجمل تضاف إلى كلامى وتثير فى الحقيقة سخرية أكثر من إثارتها لأسئلة كما يظن. والدليل على ذلك تلك الجملة التى هناك. وحتى أكمل كلامى عليه أن يرفع الكلمة الأخيرة. وأشار بجناحيه إلى السطر الذى يعلونا الآن بعشرة سطور لتنتهى الجملة فيه كالآتى:.

لا لشيء إلا لأنني ملاك، ومفترض فى الصدق.

نعم. وإنى أقول لكم إنى لم استمع إلى ذلك الرد من شفاه عبده، كما أنى لم أر ذلك الرد مرسومًا كما يزعم من؟

ـ أنا عبد العال مهران.

أنا الذى يحس الآن بالألم.

لا أحد غيرى يتمنى أن يمر بيده المشعلقة أمام عيونه على قدمه المشعلقة هناك ليطمئن فقط على أكثر الأعضاء التى أمسكت بها يد الرقصة.

حتى ذلك الملاك الذى لا شك يشاركنى يدى المشعلقتين، لكنه أبدًا لم يستطع حك ما بين فخذى للاطمئنان فقط على الذى بينهم هناك.

استطيع أن أصف شعورى بنفسى.

لا أحتاج إلى وسيط أيًا كان.

أتذكر، نزلت من فوق خشبة المسرح، وأنا أحس بالاحتراق للمرة الأولى في حياتي، ورغم ذلك كنت فخورا بنفسي وبصيحات هؤلاء الذين لا أعرف أيًا منهم إلا صديقي عاطف الذي قابلني على آخر سلمة وأخذني في حضنه وراح يمر بي بين الصيحات وهو يرفعني بمقدار قليل عن الأرض حتى وضعني بين بعض الوجوه التي ألفتها، والتي أصبحت تصنع حلقة حولي وهم يلفون بصيحات أكثر قوة وسعادة، حتى المدعو وارا الذي كانت عيونه تطق شررًا، ورغم ذلك كان يشاركهم الرقص بهستيرية لمدة لا تقل عن خمس دقائق متواصلة.

نعم كنت فخورًا بنفسي. لقد مررت في طريق عودتي من عرب راشد إلى منشية جمال عبد الناصر التي أمتلك بها بيتًا مكونا من أربعة أدوار، من الترب. هل يتخيل أحد رجلا يخاف المشي نهارًا جهارًا من الترب يمشي في هدأة الليل، ومع صديق مسطول راح يقول أشياء كثيرة وبحماس أكثر عني أنا المبتهج بذاته وهو يتحرك في ذلك المكان القفر؟

ـ وقبر حرب بمكانٍ قفرٍ... وليس قرب قبر حرب قبر

بيت من الشعر مر عليّ في المرحلة الثانوية، لكنه أمسك بي ولم يرخني.

رحت أردده بسعادة غامرة وعاطف الذي أراه طيبًا جدًا، ولا يستحق ذلك اللقب الذي لا أعرف من اين أتى به هؤلاء الملاعين وأطلقوه عليه بعد أحد الأفراح، ومن لحظتها صار لصيقًا به كالملاك الذي أمامي الآن، ورغم ذلك لا أستطيع الفكاك من قول الملاك الذي هناك. ـ يفتح فمه وهو يقول لي:

ـ عيد الفزورة دي يا عبد العال مرة كمان..

ـ ديه مش فزروة ده بيت شعري درسته في الثانوية زمان.

ـ أي حاجة تكون المهم عيدها تاني علشان عجبتني قوي.

وبعد أن استمع إليها مرة أخرى توقف عن السير وراح ينظر إليَ في تلك الظلمة التي لا ينيرها شيء وفتح فمه ثم غير اتجاهه وأعطاني ظهره واستمعت إليه يقول بصوت ربما خفت منه أكثر من خوفي من الأموات الذين أمشي ربما عليهم، وهو ينزل قريبًا إلى الأرض

ـ أوع. أوع. أوع كبيرة.

لحظات صغيرة تمر وأنا لا أعرف ما يحدث له هناك أتبعها فرد جسده حتى استقام ثم بصق على الأرض وأتبعها حركة من قدمه على السائل الذي كان من الكثر بحيث أنني وأنا أودعه أمام منزلي الكائن بشارع مغاوري بمنشية جمال عبد الناصر في ظل إضاءة واضحة لمحت حذاءه للمرة الأولى وهو يعلق به ذلك السائل الذي خرج من معدته مصحوبا بذلك الصوت الذي أخافني. لف جسده وهو يخرج من فمه صوتًا يشبه الآهة الطويلة المصاحبة بنفخة تسمي زفرة الانتصار.

نعم زفرة الانتصار على الخروج سالما على الأقل.

لا. زفرة الانتصار على الخروج، فقط هذا ما أتحدث عنه.

ـ ياه.. قاهر الرجال بينزل بالروح يا عمي عبده.

قالها عاطف الجحش، وهو يتحرك حتى أمسك بيد عبده الوقف ينظر إليه

وهو لا يعرف كيف يمد يد المساعدة إليه. تحرك عاطف بعيدًا عن الحركة التى صنعها فى الأرض وقال له.

ـ بس الفزروة دى أنا مش فاهمها يا عم عبده.

ـ فزورة إيه؟

ـ اللى أنت قلتها مرتين بتاع قبر حرب.

ـ ما أنا قلت لك يا عاطف ده بيت شعر.

ماذا يقول له. كيف يفهمه عبد العال مهران أن ذلك البيت من الشعر قد جاء على خاطره وهو يرى نفسه يمشى فى الترب فى الساعة الواحدة والنصف صباح يوم الجمعة الموافق 12/20، وأنه لا يعرف من ذلك البيت إلا ما كان مطلوبًا منه أن يفهمه وهو فى الثانوية. هل يقول لعاطف الذى أشعل سيجارة حشيش وسحب منها ثلاثة أنفاس طويلة، ثم وضعها فى يده دون كلمة واحدة حتى يستمع إلى إجابة عن سؤاله الذى ملك عليه نفسه. أمسك عبد العال مهران بالسيجارة وفعل ما فعله عاطف وهو يفكر فى الإصاتة.

هل يعرف عاطف ما هى الإصاتة؟

هل يتذكر عبد العال مهران الإجابة الصحيحة بعد ما لا يقل عن 31 سنة؟

هل يستحق ذلك البيت من الشعر كل ذلك؟

ما الذى يستحقه مثلا ذلك البيت

الحسن حلفت بيوسفه *** والصورة إنك مفرده

وغنت كل مقطعة ●●● يدها لو ترجع تشهده

ـ ايه يا عم. رحت فين؟

سأل عاطف

ـ بفكر في بيت الشعر.

أجاب عبد العال وهو يمنحه السيجارة التي أحس أنه أبطأها لديه.

ـ إحنا سكرنا ولا العفاريت بدأت تطلع؟

لم ينتبه عبد العال مهران إلى الحالة التي أصابت الجحش، كما لم يلتفت إلى كلامه لأنه كان يبحث في الذاكرة عن صورة مقربة لوجه الأب الحاج مهران عبد الودود أدول الذي هبط إلى مصر في أوائل القرن الماضي من النوبة مفضلا الإقامة في مصر أم الدنيا. كان وحيدًا من كل شيء، الأهل، والمال، والغيار، والجلباب، والعمة، والبلغة، والدبلة الفضة التي ورثها عن أبيه. استقر في حلوان عام 37 ليعمل بوابًا لباشا يدعى عبد العال زيور بشارع خسرو. تعلم القراءة والكتابة كما تعلم عادات المصريين والباشوات، وعاد إلى وطنه الأم في زيارة أولى وأخيرة اصطحب فيها نعتمد على المولى، زوجته أم المدعو الذي ولد بعد زوال اللقب عن أصل التسمية مخدومه الباشا الذي منح اسمه لابنة عبد العال الذي أمسك بيد عاطف قابضًا عليه بشدة وهو يقول له:

ـ تعال يا أخي، أنا مزرتوش من العيد اللي فات.

ـ هو مين يا عم عبد العال؟

قالها وهو يقف ويبدو كالجحش الحرنان محاولا استخلاص يده من المجنون الذي اشتغل معه قاهر الرجال.

ـ أبويا يا عاطف.

ـ ماله الله يرحمه؟

سئل عاطف وهو لا يعرف ما الذي يحدث بالفعل من عبده الذي كان في تلك اللحظة قد تمكن من صورة مقربة لوجه أبيه، وهو يتذكر موقفًا له، ومن أجل ذلك ظل لمدة نصف ساعة بعد ذلك الموقف وهو يقف أمام بيته يضحك هو وعبده على الموقف الذي لم يكن يفهمه، ومن أجل ذلك ظل يردد وهو جالس في الأرض أمام بيت عبد العال.

ـ وانت تقول لي أبويا وأنا أمسك إيدك وآجي أحركك يمين ولا شمال وانت اللي طالع عليك أبويا. والله العظيم قاهر الرجال ده فعلا مسخرة يا عم عبده.

بتلك الجملة مضيفًا بعدها قبلات حارة وصادقة، ودع عبد العال مهران عاطف الجحش على أمل اللقاء قريبًا جدًا في أقرب فرح سوف يعزم فيه عاطف، ارتقى السلم وهو يحلم بوجود طعام كثير معد على سفرة آتية من السماء تحملها ملائكة جميلة لا ترتدي أشياء تحت ردائها الخفيف حتى أنه تحس حلمة نهديها بيديه قبل أن يصطدم بالسلالم التي ارتفعت كثيرًا عن موقعها الذي حفظه، وخانت قدماه.

كنا قد تركناه، وقد ترك الطعام الذي وضعته له زوجته وصعد لأعلى

ليصلح إيريال التلفزيون بعد أن وجد الصورة مشوشة. تعجبت منه محاسن الصدق التي كانت قد أتت له بكوب من الشاي، ونادته فلم يرد عليها.

كان قد بدأ في الأكل ومد يده يفتح التليفزيون، فوجد الصورة مشوشة، ففتح شباك المنور ونظر لعله يجد أن فأرًا قطع السلك، لكنه رأى ما لا يراه الناظرون، تحت تأثير قاهر الرجال طبعًا، وجد الملاكة الجميلة الذي ربت منذ قليل على نهديها النافرين تمسك بسلك الإريال، ومن هنا تحرك بدون أن يدري شيئًا، وبقوة وسحر عيونها التي تناديه خرج من الشقة بدون أن يضع حتى مجرد شيء في قدميه تاركًا باب شقته مفتوحًا في هذا الوقت وهو الحريص على إغلاقه، ليس من عين المتلصصين على محاسن الصدق، كما يتخيل أحد منكم، ولكن من باب العادة التي نشأ عليها وهو ابن البواب. عندما استقر على سطح بيته في الدور الخامس لم يكن أحد هناك. لا الملاكة التي تراءت له، وبدون عقله، وبدون حذاء في قدميه، وبدون محاسن الصدق زوجته، وبالطبع بدوني أنا، فقط كان الملاك الذي هناك هو الذي شاهده يقع وحكى ما حدث.

32

يحكي، والله قادر، وأنا شاهد على قدرته، أن مليكي أو رئيسي، حتى لا يغضب فتح الله عليه الباب أو أغلقه، ذلك شأنه. قالها المهرج وهو يشير على سعد الله الطالع على عبود.

ـ الحق يا سعد؛ ده ياور البرنس الكبير بينبط عليك!

قالها عبد الحميد وهو يكاد يقع من الضحك.

ـ الياور يقول اللي هو عاوزه، وأنا خدامه وبحبه وهحبه على طول.

ـ قوم بوسه يا سعد.

قالها ابن الضبع وهو يمسك بيد سعد ويضحك.

خلونا نسمع سيدنا شوية من غير ما تقاطعوه.

سحب المهرج نفسا من سيجارة الحشيش ورماه في الهواء مصحوبا بنظرة على الوجوه الثلاثة، وكان كأنه يوزع الدخان على الوجوه بالتساوي، والوجوه تعاود الانتباه رويدا رويدا، ثم الانتظار بعد إغماض العيون مرة أو مرتين. رجع بظهره إلى الخلف وقال:

زار مليكي ملكا من ملوك البترول في شهر شديد الحرارة، وأراد أن يخرج في رحلة صيد. ولما كان مليكي يحتاج لبعض الأموال من صديقه الملك البترولي طلب من كبير مساعديه وحامي حماه، والمتحكم فيه، بتجهيز رحلة صيد للملك في إحدى المحميات. وخرج الملكان معًا، وكان الملك البترولي يربي "باز"، لا يفارقه ليلا أولا نهارًا، وكان عامل له طاسة من الذهب معلقة في رقبته يسقيه منها. كانت حاشية مليكي تمشي خلفه في خط واحد مستقيم، وتتكون من عشرة أعوان تتقدمهم زوجته، ويتبعها مساعده الأول في ظهر الزوجة، وأنا في المنطقة الدافئة مشغول عما أمامي، وغير منتبه لمن يتبعني بما أراه حولي من الجمال الصحراوي في تلك المحمية التي يتوسطها قصر فاخر بني على عجل، لكنه جميل. كان الملك البترولي يمشي وراءه سبعة وعشرون من حاشيته، بينهم أربع جميلات يحملن ملابس الملك وصولجانه، يقفن بالترتيب بعد أخي الملك غير الشقيق، وبعدهم حراس الملك. سرنا إلى حيث القصر، وأكلنا وارتحنا من رحلة الطائرة، ثم كان ساعة الخروج إلى الصيد. ركبنا السيارات إلى حيث واد شاسع، فنزلوا وضربوا حلقة الصيد، وإذا بغزالة تم تسريبها من إحدى العربات، لتقع في حلقة الصيد، فقال البترولي في عزة وشمم: كل من نطت الغزالة فوق دماغه يقتل في الحال، فصفق الأمير الشقيق لفكرة الملك، وهلل، وكبر وفي الحال ضيق الحراس حلقة الصيد، فسحب مساعد مليكي يد سيده، وهو يهمس في أذنه ببعض الكلمات، ورجع مليكي إلى الخلف، ونحن من قبله بعد أن عدلنا

أجـــادنا، وأصـبحنا ننظر للصـحراء بعيدًا عن المشـهد. وفي جهة تبعد عن اتجاه حلقة الصيد. أمسك الملك البترولي ببندقية وأخوه بأخرى، واستعدوا للتصويب كل في اتجاه، والحراس يضيقون حلقة الصيد رويدا رويدا، وكل منهم خائف أن تنط فوق رأسه الغزالة. في لحظة واحدة مرت الغزالة من تحت أرجل حارس، وركعت فوق قدم الملك. وحطت يديها على صدرها كأنها تبوس الأرض للملك، فطأطأ لها، لحظة ذاك قفزت من فوق دماغه قاصدة الصحراء، فخرجت طلقة من بندقية أخ الملك غير الشقيق، فأردت الملك قتيلا، فرمى الحراس البنادق، وذهل الرئيس، ومساعده، والأخ غير الشقيق. مرت لحظات لا يعلمها إلا سبحانه حتى خرج صوت مشير الملك وخادمه الأوحد. وحدث ما حدث وعاد القاتل، ليصبح ملكًا بدون أحد من حاشيته، وذهب الثمن في حساب مليكي أموالا طائلة.

33

ليس ذلك إلا حبسًا.

أنا الملاك الذي كان هناك، وسيد يقف في البلكونة ينتظر ظهور المدعو إبراهيم موسى عيسى أقول: إن هؤلاء الكتاب غير منصفين في أحايين كثيرة. ودليلي على ذلك كاتبنا؛ اسمعوا ما قاله واحكموا معي.

على غير عادته التي مشى عليها منذ عام 81، ولم يقطعها المدعو سيد محمود السيد الذي استطاع بمجهوده وعرقه وعمله كعامل على ماكينة تعبئة شكاير الأسمنت بشركة أسمنت بورتلاند حلوان أن يشتري قطعة أرض بحكر أبو دحروج من عبد الواحد عبد الديان أبو شديد التعلب، تلك التي لا تبعد كثيرا عن مكان عمله، ومساحتها 110 أمتار بشارع سمي بعد ذلك شارع الملك إبراهيم، واحتل بيته الرقم 64. وبكده أيضًا كون عائلة مكونة من خمسة أولاد غير الزوجة، وارتفع بيته حتى صار أربعة أدوار، وارتفع بكده حتى صار كبير ملاحظي العمال على خط إنتاج 31.

أقول على غير عادته منذ وطئت قدماه أرض الحكر، وعرف جامع الحاج

طه، لم يذهب سيد اليوم إلى صلاة المغرب، تلك الصلاة الخفيفة ورائعة التوقيت والجمال، والتي يعرف فضلها من أحاديث كثيرة تربط المغرب بالفجر الذي لم يتأخر يومًا واحدًا عن صلاته في نفس المسجد. انتهى من المغرب الذي خطفه خطفا، وبدأ في صلاة السنة حين رن جرس الباب نسي إكمال الفاتحة وراح يدعو الله بقلب ملوه الإيمان أن يكون الذي دق الباب هو الأستاذ إبراهيم موسى عيسى، كان قلبه يدق مع خطوات ابنه محمود المسرعة لفتح الباب، ويعلم الله أنه قد أنصت تمامًا ونسي الصلاة والدعاء قبل أن ينتبه على صوت محمود يقول لأمه:

ـ خالتي أم حسن بتقول لك عندك راس توم؟

ـ مين اللي جاي ياخدها يا وله؟

ـ حسن يا امه.

ـ طب دخله، لغاية ما أجيب له من التوم المعلق في البلكونة.

ـ ما أقول له مفيش وخلاص يا امه.

ـ حرام عليك يا محمود؛ دول غلابة يا ابني، والنبي قال إيه؟

ـ عليه الصلاة والسلام يا امه. بس النبي مقالش ادخل الواد ده هنا يعطلني عن مذاكرتي.

ـ يا واد حرم تقفل في وش حد الباب، روح الله يخليك علشان أبوك بيصلي وصوتنا عالي.

ـ والله يا امه إنت غاوية وجع دماغ، وانا ورايا امتحانات ثانوي وخايف.

ـ دخله وسيبه.

ـ أيوه زي المرة اللي فاتت لما لقيت الملك والحصان في إيده بيلعب بيهم تحت بير السلم واحنا طالعين وخلاني اشتري واحد جديد.

ـ حرام عليك يا ابني تظلمه.

ـ خلاص يا امه إنت حرة، بس لو سرق حاجة مسؤوليتك، أنا هدخله وادخل أكمل.

خرجت الأم غسلت بثلاثة من رؤوس الثوم:

ـ خد يا حسن، وسلم لي على أمك.

قالت الجملة الأخيرة وهي تشير بيديها في الهواء، قبل أن تذهب إلى زوجها الذي جلس في البلكونة بعد أن أنهى الصلاة، أشعل سيجارة وجلس يرقب الناس في الشارع.

ـ هو أتاخر ليه؟

ـ يا اخويا زمانه جاي، والغايب حجته معاه.

ـ طب ما تبعتي الواد سليمان يمكن يكون جه ولا حاجة.

ـ يا اخويا الواد بقى مكسوف.

ثم مدت يدها على وركه، وهي تطمئنه وتكبره في نظرها، وأضافت:

ـ من المغرب لغاية دلوقتي بقى نازل سائل الست يجي عشر مرات.

ـ طب ابعتي عمر.

ـ اهدى كده وصلي على النبي؛ لسه مجاش.

ثم وبنظرة الحيرة لأحوال زوجها أضافت:

ـ خليك صبور شوية.

ـ يا وليه ممكن جه وانا بصلي الشفع والوتر.

ـ لو كان جه كنت سمعت صوت رجله يا ابو محمود.

ـ سميعة قوي يا اختي. دانا بقوم من جنبك أروح لصلاة الفجر الاقيك عمالة تسحي مع الملايكة.

ـ من الشقى يا اخويا مع العيال طول النهار.

أنزل يده الممسكة بالمسبحة ومر بها على رأس زوجته وهو يقول:

ـ الله يكون في عونك يا أم محمود؛ هو إحنا كلنا لينا بعد ربنا غيرك!

أمسكت بيديه القابضة على المسبحة وقبلتها وهي تكاد تبكي:

ـ ربنا يخليك ليّ يا أبو محمود، وما يحرمني أبدا من دخلتك عليّ، ويجعل يومي قبل يومك قادر يا كريم.

أفلت اليد ثم مر بها على رأسها، وهو يعاود النظر إلى الناس الذين يمرون من تحته منتظرًا ظهوره. مرت ساعات لا يعلم عددها، ظل يشعل سيجارة من سيجارة وقد أصبح هو الكائن الوحيد الذي يطل من بلكونته على صوت وصول عربة أمن مركزي تقف قبل بيته بقليل. تحرك إضافي للعربة جعله يلقي بالسيجارة الجديدة من الدور الرابع لتسقط بجوار عجلة العربة التي أصبحت تقف أمام بيته تمامًا.

لم تنتظر القوة النداء عليه حتى يرمي بالمفتاح أو ينزل به. خرجت معدات الحرب في نفس اللحظة التي خرج فيها عسكر يرتدون أردية سوداء، وفي أيديهم مدافع لإسقاط إف 52.

راح ينظر بذعر إلى ما يحدث أمامه وكأنه أمام خشبة مسرح. كانوا أكثر من ثلاثين جنديا، معهم عدد كبير من الضباط، وفي مقدمتهم رجال يرتدون ملابس مدنية. كان باستطاعته أن يفكر في أي شيء، وهو يشاهدهم ينزلون (بالصاروخ) الذي يعمل بدون كهرباء عندما كان ينزل إبراهيم من فوق السلم الحديدي للعربة، وضع يديه على درابزين السلم، ورفع ناظريه إلى البلكونة، شاهده يقف مرعوبًا في الأعلى، مشى بأصابعه على شبه غير الموجود من الأساس. كان قد فكر فقط في تهديداته التي قالها له منذ ثلاثة أيام، وها هو يراها أمامه، وعلى خشبة مسرح البيت الذي اشتراه في عام 79 ارتعب.

ـ لا يكفي.

عاد إلى حضن أمه.

ـ لا يكفي.

راجع الواحد والخمسين عاما التي قضاها في الحياة يتجنب المشاكل ويعبد الله بطريقة مقبولة على الأقل.

ـ هناك سبعون مليونا يشبهونه.

صفه. أو

ـ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي.

أكثر من ثلاثين سنة يعمل بشركة الأسمنت على ماكينة كبس الأسمنت في الشكاير ويشم في اليوم الواحد ما لا يقل عن نصف كيلو من الهبو الصافي.

ـ اسمع. العاملون في كل مصانع العالم التي تنتج الأسمنت يحدث لهم ذلك وأكثر وللعلم يزيدون في بلاد العالم الثالث لأكثر من سبعين مليونا، لكن أكثر دقة.

أو..

ـ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها.

أكثر من 44 سنة يصلي لله الواحد القهار أن يجنبه عذاب الآخرة. منهم على الأقل أكثر من عشرين سنة لم يترك فيهم فرضًا واحدًا حتى الفجر يصليه في جامع الشيخ طه.

ـ أنت تهرج لا شك. ألم تقل إن الدعاء كان من آجل شيء محددا! أليس الله يفعل ما يريده!

توكل يا مولانا على الله وصفه حتى نتعاطف معه ونعرفه ويعرفنا. أو..

ـ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا، وإنا إن شاء الله لمهتدون.

له خمسة من الأبناء، وتنازل عن ميراثه لإخوته البنات المتزوجات، وتنازل عن حق زوجه بعد أن طمع فيه إخوتها الرجال المتزوجون بإخوته البنات. أصبح كبير ملاحظين ويحبه الخمسون الذين يأمرون بأمره ويسعى في فعل الخير وليس له أعداء إلا إبليس الملعون الذي كاد يضحك عليه ذات مساء ويجعله يرد على نظرات امرأة كانت تقف في طابور العيش في الشهر الماضي لولا أن رأى برهان ربه وأن الله سلم.

ـ يا الله. كان يطل إليك من فوق أدوار أربع.

ـ يا الله كان يناديك.

يا الله استمع كان يقول.

ـ يا الله الفزع الآتي أكثر من مقدرته، وأقل من جناح بعوضة خلقتها، فامسك بها يا الله.

ـ يا غياث اغثني.

ـ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي.

قاله أيضا يا الله أنا الملاك أقول.

سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين.

آخر ما نطق وهو يجلس في الأرض راكعًا بجوار سور البلكونة قبل أن تمتد يد أحد العساكر وتمسك به لترفعه من فوق الأرض وهو لا يعلم إن كان الله قد استمع إلى دعائه الأخير أم اليد القاسية قد أحاطت به علما ووهما وخيالا وحقيقة.

هل سمعتم ما كتبه كاتبنا وأنا الملاك الذي هناك أقول له:

ـ أيها الكاتب، كان الأجدر بك أن تحسن رتق نعالك بدلا من أن تفسد شخصًا يمكن رسم ملامحه بسهولة ويسر.

أعلم ألاعيبك، منذ اخترت لمخبر أمن الدولة أسماء الرسل الثلاثة ورحت تلعب بينهم، في حين اخترت اسم سيد محمود السيد للشخصية التي وقع عليه الظلم، ولم تكتف بذلك حتى، رحت تجعل زوجته تدعو الله من تحت

مسلح وصبه، في حين جعلت الضابط يأمر المدعوة إبراهيم إلى الاستعداد للذهاب إلى بغيته، تحت أشجار توحد الله وتحت سماء خالية من الصبة، وما إلى ذلك. ثم عرجت على حياة المسمى سيد ووضحت كيف أنه ابن (حلال مأصل) زي ما بيقولوا في الفلاحين..

ومختصر الصفات اللي انت حطيتها فيه أنه بيصلي الفجر حاضر..

ده فعلا أنا شاهد عليه..

ملوش في المشاكل..

ماشي..

اتنازل عن حقه لاخواته البنات..

معاك..

ساب حق مراته كمان..

لا. عندك شوية، الموضوع ده بالذات لازم تعرف الحقيقة، علشان متديش لسيد صفات مش حقيقة..

الحكاية وما فيها إنه ماتنازلش بمزاجه. بالعكس ده تنه أكتر من خمس سنين يدور على الحق ده ووصل به الأمر لاستشارة محامي، ولكن في الآخر خاف وساب الميراث لما إخوة أم محمود مراته قرصوا عليه وبيولوه العين الحمرا. مع إنه يعلم تمام العلم إن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

وكمان خليت الست بتعاته، اسمح لي، ديه ست من السما، من عندنا يعني، بتشتم ابنها لمجرد إنه خايف على حاجته اللي بيسرقها الولد اللص

الصغير المدعو حسن، وتبوسه كمان. وخليتها تقعد تدعي بشكل أنا نفسي مشفتهوش قبل كده، وأنا بقى ملاك ابن ملاك من يوم ربنا ما خلقني قبل كل البشر اللي انت شايفهم دول. كل ده أنا شايفه وساكت عنه. لكن إنك تصور الحكاية إن ربنا راضي على الظلم يبقى ده كفر يا حبيبي؟

ألم تستمع إلى قوله تعالى: (فاصبر صبرا جميلا• إنهم يرونه بعيدا• ونراه قريبا)؟

أنا عارف إنك قصدك تجيب شخصيات تنطق بما يحدث في بر المحروسة من العين والمنهوبة إلى يوم الدين الست مصر.

بس مش معنى إنك عاوز توصف الحالة من غير خطب ده يديك الحق في إنك تغلط في ربنا ورسوله. فوق يا صاحبي من الحشيش اللي هيلحس عقلك ويخسرك أخرتك بعد إما خسرك صحتك.

34

وقفت عربة المحروس أمام بيت أم فلفل وهي تحمل ثلاثة أطنان من الأسمنت المصنع في شركة أسمنت بورتلاند حلوان سابقا أسك حاليا، والتي لا تبتعد عن حكر أبو دحروج إلا بمقدار كيلو متر ومن هنا كان الأسمنت طازجا، ويخرج منه بخار في ذلك المساء البارد.

ـ يا عم فلفل.

قالها المحروس أكثر من ستة مرات دون أن يسمع ردا، ومن هنا خمن وجود فرح في أحد الأماكن القريبة من منطقته وراح يلعن الشغل واللي شاربه.

ـ لا يا معلم، الدنيا ساقعة.

رد الصبي على ما قرره المعلم المحروس بعد أن فاض به، ولم يعد يطيق صبرا على الوقت الذي مر والطاسة خربانة من كل الكيوف بعد أن دخن السجائر الأربعة التي أخذها من عمه الكنف حتى يقوم بالعمل مكانه، وهو الذي طفح الكوتة منذ أذن الشيخ رحومة قبل الفجر، كما ادعى لليلي التي

كانت تعرف أنه ملزم بعمل خمسة أيام متتالية مرت منهم أربعة، ومن أجل ذلك أيقظته بمجرد خروج صوت الشيخ رحومة.

ـ والعمل يا ابن الكثيبة؟

ـ ننزلهم ونمشي يا معلم.

ـ والإكرامية؟

ـ تبقى تيجي تاخدها بكرة يا معلم.

ـ بكرة يبقى عليه العوض، والست أمك تبقى العواف عليها الأسبوع ده.

ـ يعني إيه يا محروس.

قالها عيسى مخلوف الذي ترك المدرسة بعد وفاة أبيه في معهد الأورام.

ـ أنا مش قلت لك ميت مرة تقولي يا معلم؟

ـ وأنا قلت لك مليون مرة أنا اسمي عيسى، ومتعبش في أمي لو سمحت.

ـ وأنا غلطت في سيدة الحكر الأولى قلت إيه؟

ـ يعني إيه أمي تبقى العواف. هي أمي زي أم فلفل يا محروس برضو.

ـ أنت فهمت غلط يا عم عيسى؛ أنا قصدي يعني مش هتاخد الست أم عمر جمعية الأسبوع ده.

ـ آه، أنا بحسب.

قالها عيسى، وهو ينظر إلى معلمه الذي يحبه، فهو لا يطمع في إكراميته التي يعطيها له الزبائن.

ـ أهوه المعلم فلفل جه أهوه يا معلم محروس.

وقف المحروس من فوق الأسمنت الذي كان يتدفأ به، ونط من العربة، وهو يفتح صدره للمعلم فلفل ويقول:

- وأنا بقول إيه النور ده.

قبله فلفل وسلم على عيسى وهو يقول:

- عارف أنت لو ابن الكتف أنا كنت سبتك تأفقف من البرد.

- عارف يا معلم فلفل طبعا. ديه عشرة عمر يا راجل، بس المشكلة في البهيم اللي تعب من كتر الشيل.

أشار المحروس بيده إلى الحصان الذي يقف في مقدمة العربة، وكان ما زال ينهج رغم وقوفه منذ ما يقرب من النصف ساعة.

ولا يهمك يا معلم محروس؛ هعمل معاك أحلى واجب.

قالها وهو يسحبه للداخل، ويتبعهم عيسى حتى دخلوا إلى حجرة الخزين، والتي ترص بها الصناديق الفارغة، والتي تنتظر حضور عربة شركة الأهرام غدا على أكثر تقدير.

- هوريك مخبأ أبو علي جوز الست أم فلفل.

ثم نزل بيده على كتف صديقه، أمسكه من يديه، وراح يعد الصناديق المرصوصة على هيئة صفوف فوق بعضها ثم سقط على صف وقال لمحروس:

- إيدك ننزل الصناديق ديه.

- إزايّ أمك يا واد يا عيسى.

- بتسلم عليك يا معلم فلفل.

ـ أمك دي ست محترمة ومكافحة؛ خلي بالك منها واسمع كلامها.

ـ حاضر يا معلم.

ـ هوّاحنا هنرصهم من جديد ولا إيه يا فلفل؟

قالها محروس وهو يبدأ في إنزال الصف الثاني من الصناديق بعد أن اكتشف فلفل عدم وجود شيء في تلك الرصة.

ـ اشتغل وانت ساكت.

قال فلفل وهو يعيد النظر إلى صفوف البيرة المرصوصة، لكي يعيد حساباته، وقبل أن يشير بيديه لعيسى إلى صف لمح في أحد الصناديق التي ينزلها المحروس قطعة القماش السوداء التي يعلم بها أبو علي، زوج أمه، مكان خزينه الذي يتفنن في إخفائه بعيدا عن عين فلفل وأمه المتربصين به وقال بسرعة:

ـ بس. عندك يا معلم محروس.

ثم مد يده في الصندوق وأخرج منه سبع زجاجات من نوع الصقار سليمة، وزجاجتين من قاهر الرجال الأصلي وربع 84.

ـ إيه الخير ده كله؟

سأل المحروس وهو يرى نظرة النصر المرتسمة على وجه فلفل وهو يرفع كل زجاجة ويريها بفخر للمحروس وعيسى الذي فتح فمه وهو ينظر بود إلى المعلم فلفل الذي قال وهو يمسك بزجاجة أصلية من قاهر الرجال الذي اكتسب سمعة واسعة بالحكر بعد أن استطاع أحد الأشقياء أن يضعه للشيخ

رحومة موذن جامع الثعلب قديمًا السنة المحمدية حاليًا منذ شهرين فخرج يؤذن عاريًا كيوم ولدته أمه على سطح المسجد لصلاة المغرب.

ـ ده الاحتياطي الاستراتيجي لأبو على جوز أم فلفل.

ـ طب ما كده هيعرف.

ـ هو هيجي مدرمغ جاهز وهينسى زي العادة.

أمسك بيده ثلاث زجاجات سقارة، وفتحهم بفمه وأعطى واحدة للمحروس وأخرى لعيسى الذي يبلغ من العمر خمس عشرة سنة وهو يقول له:

ـ بيرة ماشي، لكن مدعوك قاهر الرجال لا يا معلم عيسى.

ـ ولا يهمك يا فلفل؛ عيسى اتخرج من زمان.

قال المحروس وهو يخبط زجاجته بزجاجة عيسى وهو يبتسم في وجهه مشجعًا.

ـ لا بروح خالتك الواد يضيع كده، خف عليه يا محروس.

ـ وأنا مالي يا اخويا، هو اللي بقاله خمس سنين شابط في رقبتي.

ـ ده شرف لي يا معلم محروس.

قال عيسى وهو ينهي الزجاجة على فم واحد كما علمه معلمه، ويرميها على أرض الحجرة بفخر عظيم وهو ينظر للمعلم، فقال له فلفل بعطف زائد:

ـ لا يا عيسى، بالراحة على نفسك يا ابني، اشرب محدش قال حاجة بس يا واش يا واش.

مد فلفل يده ومر بها على رأس عيسى الذي كان يبدو سعيدًا بما وصل

م ١٩ - الثعلب والهرج والثلاث (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

إليه ويكاد يتيه فخرا بنفسه، ثم قال له بصوت أخوي قبل أن يحدث من فلفل.

ـ بالراحة على نفسك يا عيسى. مفيش حاجة هاتضيع منك غير حياتك بس.

ـ أنا بعد إذنك يا معلم فلفل مشتغرب شوية منك.

قالها عيسى بعد أن أمسك بزجاجة قاهر الرجال، وعب منها حتى تمنحه القوة ليواجه فلفل بما يجول في خاطره.

ـ أنت أخويا الصغير يا عيسى، وأنا عارف كويس المرحوم أبوك، كان راجل دوغري، الله يرحمه والست بتاعته ربنا يقويها وياخد بإيدها، مربية عيالها كويس، قولي بقى يا عيسى أنت مستغرب مني ليه؟

ـ أنا مش عارف في الحقيقة.

ثم سكت قليلا وهو يتلعثم، ثم مد يده وأمسك بقاهر الرجال وشرب جرعة صغيرة وأنزل الزجاجة ووضعها أمام المعلم فلفل وهو يضيف بصوت متهدج وغير قادر على إبراز حروفه بطريقة صحيحة:

ـ عاوز أقول كلام بس خايف لتزعل مني، وأنت عارف أني بحبك يعني.

ورفع يديه في الهواء وهو يضيف:

ـ وحاجات زي كده.

قال عيسى وهو يتلعثم وينظر بخوف إلى فلفل وتأتيه إلى معلمه الذي مات على نفسه من الضحك وناما على الحصيرة التي اتخذوها مقرا

لجلستهم فى الحجرة البحرية التى تطل على الشارع حتى يسمعوا صوت الحصان أو أم فلفل لو طبت عليهم. ثم اعتدل وأضاف:

ـ قصدي يعني أنا مستغرب إن المعلم فلفل عادي كده وعايش يعني.

ـ أنا فهمتك خلاص يا عيسى. بص يا معلم عيسى. أنت مستغرب إني عايش وأنا عارف أن أمي مشيها بطال.

قالها فلفل وكأنه يتحدث عن شيء لا يمت له بصلة، وهو يرفع زجاجة الخمر، وينهي عليها. ثم سكت قليلا وهو ينظر إلى عيسى الذى أحس بالخوف أكثر لأنه لا يأمن غضب فلفل، ثم أمسك فلفل بزجاجة قاهر الرجال وقال:

ـ بقولك إيه؛ ما تيجي نكمل المحروقة دي في الدور التاني.

ـ والأسمنت اللي عايز ينزل فلفل؟

ـ هننزله في ساعة زمن إحنا الثلاثة يا معلم.

ـ يبقى ننزله الأول.

قالها المحروس وهو يجدها فرصة سانحة للتخلص من الكلام الذى سمعه من فلفل مئات المرات أولا، وثانيا فرصة للتخلص من ثلاثة أطنان من الأسمنت المولع كان يفكر في كيفية دخولهم بعد أن أراح جسده لمدة ساعة ويزيد، كما أن مفعول قاهر الرجال اقترب من عظامه، وإن لم يقم الآن قبل أن يعم المفعول إلى رأسه، فلن ينهي الشغل أبدا.

خرج الثلاثة، وفي أقل من ساعة كانت العربة قد صفت في الحجرة البحرية.

دخلوا على التوالى الحمام حتى يبردوا أجسادهم بالماء بعد أن تسلخت ظهورهم. أحضر لهم عيسى العشاء من عند أبو عفاف صاحب عربة "السمين" الذى يقف على رأس شارع أم فلفل ورصه على الترابيزة أمام المعلمين اللذين كانا قد انتهيا من الزجاجة 84، وفى الطريق لفتح الزجاجة الثانية من قاهر الرجال قبل أن يطبق الواحد منهما على الرغيفين المحشوين بما لذ وطاب، ونسى فلفل سؤال عيسى الذى أعد له نفسه جيدا. انتبه محروس لضياع سؤال عيسى وعدم إجابة فلفل، فحمد الله على نجاته من تلك الحالة الميلودرامية التى يدخل فيها فلفل وهو يصور مأساة حياته كبطل تراجيدى يواجه مأساة لا يعرف لها سببا.

35

د ـ خصائص بعض الأسر بالحكر.

أ ـ أسرة حسين هاشم.

ـ حسين هاشم: رب الأسرة، عمره 44 سنة، لا يقرأ ولا يكتب، بائع طيور، معدم، وعامل موسمي.

ـ ربة الأسرة: 34 سنة، أمية، ست بيت شلق.

ـ وفاء: 19 سنة، قاعدة في البيت.

ـ محمد: 18 سنة، بائع بالجو، لا يُدخل البيت تعريفة.

ـ سماح: 17 سنة، مطلقة، وعندها عيل.

ـ فريد: 16 سنة، شارب بالجو.

ـ حسني: 15 سنة، ضريب درجة أولى.

ـ مصطفى: 14 سنة، شرحه.

ـ فهيمة: 13 سنة، على علاقة غرامية بحسن سارق الفراخ وموردها للأب.

ـ والنبي توبة: عامان، آخر العنقود.

2ـ أسرة سلامة. ب. ب.

ـ سلامة: رب الأسرة. 17 سنة. أمي، صبي قهوة.

ـ زوبة: ربة الأسرة: 35 سنة. أمية. ست محافظة.

ـ مختار: 19 سنة، عاطل من الزوج الأول.

ـ محروس: 17 سنة، ضريب صح، يعمل أحيانا. من الزوج الأول.

ـ شفعات: 16 سنة. أعمال حرة. يعود لها الفضل إلى حال الأسرة المتيسرة.

ـ رجاوات: 13 سنة. تحبو على خطة أختها غير الشقيقة إذ إنها الوحيدة من الزوج الثاني.

ـ باسم: 10 سنين. طالب. من الزوج الثالث.

ـ نورهان: 8 سنوات. راقصة تحت التمرين المستمر، وخصوصًا في الأفراح الدائمة بالحكر.

ـ حباجة: ستة شهور. صاحب فضيحة (إذ نزل بعد الزواج بثلاثة شهور).

36

أنا الملاك الذى هناك أقول إن الرجل نورانى الوجه هو الشيخ إبراهيم موسى عيسى خادم ضريح سيدى داود العزب الملقب بقطب الأرض، والذى يوجد ببلدة (تفهنا العزب)، ذلك الولى الذى تطهرت ذاته بماء الغيب المتدفق من صفاء بحار الجبروت إلى حياض رياض الملكوت، فسالت به أودية قلبه، فتحرر من الأغيار، ونفذ إلى نور الأنوار قاطعا مراحل السير إلى الحق تعالى فى منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق الأعلى ونهاية الحضرة الوحدانية، ثم بالترقى إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، ثم إلى مقام السير بالحق عن الحق للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع.

ولما كان الشيخ إبراهيم الذى منَّ الله عليه بالحج، بعد أن بشره إمامه فى رؤية لم يعرف مغزاها إلا بعد ذلك، وهو فى السجن، يعرف قول رسوله الله صلى الله عليه وسلم (إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها)، ولما كان فضل الله عليه كبير أن كتب له الحج فى ذلك العام، وبعد أن صلى العصر ووقف يدعو الله بقلب صافٍ حتى اقترب المغرب، وهمت نفحات ذلك اليوم الكريم، والذى كان يتمناه طوال الخمسة والأربعين سنة الماضية،

فقد وقف يدعو الله أن يكتبها عنده حجة بارئة مستبرئة من كل غي، ويتقبلها الله منه على أمل العودة مرات ومرات. وعندما فتح عيونه، وهو يدعو والماء السائب ينزل مدرارًا لا يعرف كيف لمح الملك، عند ذلك تأكد أن لله في ذلك اليوم العظيم نفحات وأراد أن يتعرض لها كما قال له رسوله صلى الله عليه وسلم. اقترب من الملك وهو يسترجع مقولة خامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز لأحد شيوخه «إن رأيتني أحيد عن الحق فخذ بخناقي هذا، وأشار إلى فتحة الجلباب، وأضاف: وقل لي اتق الله في الرعية يا عمر ولا تتركني قبل أن يخرج صوتي من الألم وأفيق إلى لقاء الله» اقترب أكثر من الملك وهو يتوكل على الحي الديان الذي لا يغفل ولا ينام في ذلك اليوم المشهود، والذي يطلب الله من عباده أن يأتوا فيه، عليهم إذارحتى لا يعرف الغني الفقير وقال للملك جملته التي قالها المهرج في نص سابق وهو لا يدري ماذا يكسب غدا ولا يعرف بأي أرض يموت. ولكن علينا أن نتأكد من أن كلامه وليد الصدفة: ولم يكن ينام في العقل الباطن لديه. وذلك شغل كبير الباصين. لكن دعنا من الدخول بيت نعتمد مرة أخرى.علينا الآن أن نتعرف على العقل الباطني عند الأمم.

فهو لا يموت بموت الأفراد، بل دائم بديمومة العنصر البشري لهذه الأمة أو تلك، وهو الفاعل بشكل دائم، وهو الموجه لفعل الإنسان العملي، أي المعاش يوميا. أم عقله الظاهري، أي الوظيفي، فهو للديكور لتمرير المشاريع الآنية والمستقبلية التي يخطط لها القائمون أو أولياء الأمر.

أما عند الأفراد، فالعقل الباطني يظهر في حالات ثلاثة:

1- في المنام، والبعض منهم يأتي في شكل كابوس، فهو حينما يكون نائمًا يتكلم عن ما يدور في خلده، يقولون روبص الإنسان؟!

2 ـ أو هو وفي حالة الثمالة القصوى، أي مخمور بشكل فاقد الوعي، فيتصرف بواسطة عقله الباطني.

3 ـ والحالة الثالثة بصحوة الموت، حيث يتصرف الإنسان خارج وعيه، ويقول كل ما يخبئه عقله الباطني.

ذكر المخبرون، وأخبر المذكرون أنه في قديم الزمان وسالف الأوان كان هناك ملك أراد الاطمئنان على ولي عرشه وهو على مشارف الموت، ويخاف كثيرًا عليه من أبناء أخ يطمعون، وأبناء خؤولة عنون أنفسهم بما ليس لهم فيه حق. كان الأعداء كثرا بعدد الرعية جميعا. حين وصل إلى تلك النتيجة كتب جملة تبدو فيها الحكمة واضحة، كتب: فالعين تعرف من عين محدثها، إن كان من حزبها أو من أعاديها. ومن أجل ذلك عرف الملك أن كلا منهم يطمع في غير ما يملكه. هكذا خلقت الحياة يا أيها الملك الفاني.

قالها في نفسه المغمومة والخائفة على ميراث الأجداد. حين ذلك رأى في حلمه رؤية تخبره بأنه ربما أعاد له عافيتها أن فعل خلال الأسبوع القادم ما مله عليه. استيقظ الملك وهو جد سعيد. راح يرجع في ذهنه الأشياء بالترتيب الذي أملي عليه في الرؤية الواضحة وهو يأكل بشهية مستغربة من الأطباء الذين يجلسون جواره منذ وقع وقعته الأخيرة. طلب ورقة

وقلما فأدخل عليه كبير التدوين فأخذ الورقة والقلم وأمرهم بالخروج مع صنع كوب شاي ثقيل وطلب من خادمه الضرير أن يأتي له بسيجارة من خلف عيون الرعية. تقول الحكاية إن الملك فعل أفعالا غريبة وغير مصرح بالكشف عنها للشعب لأنها سوف تفتح الكلام من الراعية عن تصرفات الملك، وذلك غير مضمون العواقب كما صرح به المتحدث الرسمي باسم المملكة منذ فجر التاريخ. ولذلك سوف نترك ذلك الجزء من الحكاية ونقول إنه بعد مرور أسبوع على رؤية الملك وأفعاله التي رفضها العقل والمنطق أنه قد خرج من حجرته للمرة الأولى منذ سقطته التي قيل عنها الأقاويل التي انتهت جميعًا بموته كالكلب الأجرب خلال أسبوعين بسبب المرض الذي نحل وبره كما يقول حكاء ظريف في مملكة ذلك الملك الذي خرج بوجه أبيض من غير سوء، حين ذلك تأكد للقاصي والداني أن الله يفعل الأعاجيب، حتى أن حكيم البلدة كتب في مثل قديم: ايش حال عيانكم. سليمنا تعيش أنت.

عرفت المملكة بأن الله منّ على مليكهم الأجرب بالشفاء. عم الفرح المملكة لمدة شهر بالكمال والتمام، وهذا قرار الملك للشعب والحكومة التي كانت تريد أن يكون الاحتفال أربعة وأربعين ليلة. في اليوم الأول من الشهر الثاني لشفاء الملك ركب حصانه وخرج من القصر وحيدا، وعلى البعد منه خادمه الأعمى يحمل له متاعه القليل على ثلاثة جمال، وخلفها عشرة حراس في اتجاه جبل المدينة الكبيرة. استقر الملك فوق الجبل لمدة أسبوع

كان لا يفعل فيها شيئًا غير الجلوس مع بعض الزائرين الذين يصعدون الجبل بناء على دعوته. يظل يستمع إليهم ويدون بيديه كلمات لم يعرف قائلها أبدا لماذا هي بالذات التي دونها الملك، وليس غيرها من الكلمات مثلا. وفي المساء يراجع الكلمات، وهو ينظر إلى السماء، وكأنه يحل كلمات متقاطعة، وينتظر أن يلهمه الله بالاسم المطلوب. انتهى الأسبوع، وهو يلتقي بحكماء المملكة، ثم ركب حصانه واتجه صوب البحر، وهناك كان اليخت الملكي قد أُعد على أحسن ما يكون، فركبه الملك وتابعه الضرير وواحد لم تكشف الحكاية عن كونه، وخرج إلى الماء وظل أسبوعا على الماء، ثم ذهب إلى الريف، فظل أسبوعا آخر، وعمل ما عمل من أشياء جد عجيبة نسبها أهل الريف إلى المخارقة في الأخبار، كما نسب أهل البدو الذين ظل معهم الأسبوع الأخير من الشهر أفعال الملك إلى المخاوفة في الأخبار أيضًا عاد إلى قصره بعد الشهر، وأمر أن يدخل عليه كل العلماء الذين أرسل إليهم كل بدوره لمدة أسبوعين. وفي منتصف الشهر الثاني لنجاة الملك طلب من ابنه وولي عرشه المعد منذ أربعين عاما على طريق الملك أن يدخل عليه. أجلسه بين يديه وقال له: يا ولي عرش الأجداد، سأخبرك بما غاب عنك. لقد منّ الله عليّ بالشفاء من أجل هذا الشعب العظيم الذي نحكمه، ولقد شاهدت رؤية كذا وفعلت كيت، لكن أقول لك مهما طال العمر، فإنه قصير، ولا بد مما ليس منه بد، ولذلك دعوتك اليوم لأعرف منك كيف سوف تحكم هذا الشعب النمرود، والذي أخاف على عرش أجدادي من أصغر واحد إلى

أكبرهم، حتى أبناء عمومتك وأولاد الخالة أيضًا لا أستثنى أحدًا منهم.

قال له ولى العهد أنه سوف يحكمهم بعد عمر طويل إن شاء الله كما يأمره هو جلا لته. ربت الملك على رأس ابنه الحبيب والذى كان يتكلم بخوف فعلى على غياب الأب الحارس الذى يفعل ما يشاء تحت سمعه وبصره وبقوة وجوده. وقال له اسمع يا ابنى.لن أعيش لك أكثر مما عشت ،ولقد أرد الله أن أشفى لقليل من الوقت حتى أمسك بالحكمة التى كانت غائبة عنى طوال أيام شبابي وشيبي أيضا ، وخلال الشهر الفائت استطعت أن \أجمع لك كل الأشياء المطلوب منك أن تحفظها عن ظهر قلب وتنقلها إلى ولى عهدك، ولتكن دستور للملوك الذين يأتون من بعدي، حتى يستمر الحكم في بيتنا.

مد الأب يديه وأخرج مجموعة أوراق وسلمها لولى العهد الذى أحس أن أباه الملك في الطريق إلى الموت لا شك. بدأ في قراءتها لكن الملك قال له الآن يا ولدى وقبل أن يأتى مفرق الجماعة أريد أن أطمئن على كيفية إدارتك لحال الناس والعباد. قال ولى العهد وهو يطوى الورق ويضعه في صدره ماذا أفعل، حتى تطمئن ويهدأ بالك يا أيها الملك، فقال له الملك استدعى الحارس، فناده من فوره وحضر أمام الملك الذى هز رأسه، فخرج الحارس وعاد سريعا، وهو يمسك بقفص من الخوص به بعض الدجاجات والديوك والعرابر ووضعه فوق المنضدة وخرج سريعا. نظر ولى العهد إلى الأب وهو لا يعرف ماذا يريد منه ، وماذا سوف يفعل بتلك الطيور المحبوسة في القفص. انتظر

الملك بعض من الوقت حتى ينتهي ولي العهد من سرد تخميناته، ثم ربت على ظهره وقال له : اسمع يابني. أريد منك أن تمسك بهذا القفص وفي أحد الميادين وتفتح لتلك الأفراخ الباب، وتتركهم يجرون ثم تجري ورائهم وتمسك بهم في أقصر وقت ممكن وسوف ابعث معك كبير قوادي ليعرف متى انتهيت ويخبرني بالوقت بالضبط حتى أستطيع أن أمنحك حكمتي الأخيرة قبل الوداع. خرج ولي العهد وبصحبته كبير القواد وحارس يحمل القفص وذهب إلى ميدان متوسط في المملكة وفعل ما أمره به أبوه ، وعاد بعد ساعات طويلة تجاوزت الأربعة عشر ساعة وفي القفص ثلاث دجاجات ، وعلى وجهه كل أتربة الطريق، وملابسه رثة وشكله لا يسر عدوا ولا حبيبا كما قال الملك. سأل الملك ولي عهده عما حدث، فسرد عليه الوقائع الغريبة التي ظهرت عليها الديكة والدجاجات والبرابر أيضا وكيف جرى بعضهم في كل الاتجاهات وكيف ظل يجري من شارع إلى شارع وكيف أن الأزقة مقرفة وعمال النظافة لا يدخلون إليها، وحدثه ، وحدثه ; والملك ينظر إليه في شفقة كبيرة والدموع تتساقط حسرة على ابنه الذي يتركه في وسط غابة مليئة بالوحش المفترسة.

هدأ خاطره، وطلب منه أن يذهب ويستحم ويرتاح من عناء اليوم، وفي الصباح يفعل الله ما يريد. قبل ظهر اليوم الثاني، والذي كان يوم جمعة استدعى الملك ولي عهده الحزين ابن الحزين، وطلب منه أن يذهب معه. تحرك الموكب ومعهم الحارس يحمل مثل قفص الأمس. سأل الملك عن المكان

الذي سيُب فيه طيور الأمس. وعلم أنه ميدان صغير فأمر كبير الحرس أن يذهب إلى أكبر الميادين وأعظمهم، وحيث يوجد المسجد الكبير حتى يصلي الجمعة الأخيرة له مع شعبه. لم ينتبه ولي العهد إلى جملة الملك، ولذلك راح يفكر فيما سيفعله الملك. قبل أن يؤذن للصلاة علم كل المصلين أن الملك في الجامع الكبير ولهذا تجمعت أكبر مدن المملكة بعد الصلاة لرؤية ملكها الحبيب، واصطفوا أمام الباب لمشاهدة الطلعة البهية. خرج الملك ومعه ولي العهد من باب الجامع، وأمام الحشد الذي رص بطريقة فنية أمر كبير الحراس أن يأتي بالقفص أمام الناس، وطلب من ضابط مشهور برمي القرص أن يمسك بالقفص بين يديه ويرجه بقسوة، وفعل الضابط ما أمر به الملك، ثم وضع القفص في الأرض وفتح الباب. عند ذلك خرجت الدجاجات، وهي شبه دائخة، فلم تبعد أكبر فرخة عن مترين بعيدا عن القفص، أما أعظم ديك فقد ذهب إلى بداية الميدان وسقط، أما الجرابر فقد كان حظهم "دكر" كما يقولون لأنهم عادوا إلى القفص. عند ذلك مد الملك المتهالك الصحة يديه وأمسك بما خرج من الدجاجات وأدخلهم القفص أمام الشعب الذي لم يعرف ماذا أحل بعقل ملكهم، ولذلك راجت الأقوال والحكايات القديمة عن جنون الملك الذي ركب عربته وبجواره ولي العهد الذي خبر الدرس جيدا، وعرف أنه لا بد من تدويخ الشعب حتى لا يستطيع الخروج من القفص. وعلى أية حال، فالملك مات والشعب عاش.

37

هذا الشخص هو إنسان محب للاستطلاع، يسخر حياته لكل ما يحيط به، بدءا منك أنت شخصيا وحتى السيارة الجديدة التي اشتراها الجيران قريبا، كل شيء في الحياة، وبلا استثناء، يسعى لاكتشافه، فالحياة بالنسبة إليه سر كبير لا بد وأن يُكتشف، كما وأن كل من يعيشون معه تحيطهم رعايته، ومن أشهر مواليد برج الدلو: توماس أديسون، رونالد ريجان، فرنكلين روزفلت، جاليليو جاليلي، إبراهام لينكولن، لوريس باسترناك، ومهياص ابن فرناس.

هكذا كان مهياص إبراهيم السيد الذي التقيته أنا سعد الله عامر الطالع علي عبود. كان أخي الصغير قد دخل الجيش ومضى على تجنيده سنة وبضعة أشهر حين طلبت مني الحاجة أن أذهب له في الكيلو 95 مصر السويس كي أعرف سبب تأخر إجازته. كانت الرحلة بالنسبة إليّ هي الأولى من نوعها للتعرف عن قرب على الحياه العسكرية بعيدًا عن خبرتي المستقاة من أفلام أسماعيل ياسين، ومن هنا أعددت العدة وذهبت في الصباح الباكر من يوم

الجمعة الموافق 27 أبريل من عام 2004. طوال عشرة كيلو مترات مشيتها على قدمي بين منحدر ومرتفع رحت أونب نفسي على تسرعي، ونزولي من العربة التي تقطع تلك المسافة اللعينة من مكان آخر لساعتين ونيف تحت شمس لا تقل حرارتها عن 45 درجة بالميت، كنت أراجع كلام ركاب العربة التي ظللت أجلس فيها لمدة لا تقل عن ساعة ونص في انتظار ثلاثة ركاب دون حضور واحد منهم. بعد حركة على القدمين لمسافة لا تقل عن 2 كيلو وضعت ثلاث نقاط أساسية كانت هي العوامل التي ساعدتني على اتخاذ القرار الخطأ في الزمن الخطأ، لمسافة لا تقل عن 2 كيلو أخرى رحت أفاضل بين النقاط أيهم يفوز بالمرتبة الأولى، وأيهم يليه بصوت ربما سمعه فأر أبيض من تلك النوعية التي فاجأني وجودها في مصر. كانت النقطة التي اتخذت مكانها الفريد بعد شد وجذب هي الرفض الذي وجدته من الركاب بعد أن عرضت اقتراحي بتقسيم أجرة الركاب الثلاثة علينا نحن الأحد عشر راكبا، ورغم أن ذلك الاقتراح قد تم تعديله من خلالي أيضا بعد ذلك، فإن كلمات الركاب الذين عرضت عليهم أن أتحمل أجرة (نفر بحاله) كانت هي السبب في نزولي. النقطة الثانية التي ربما أخذت المرتبة الثالثة في لحظات كانت هي كلمات السائق السويسي الذي ضحك على بملء إرادتي وتحت سمعي وبصري حين قال:

ـ أنت جاي منين يا بيه.

ـ من رمسيس.

ـ عارف المسافة من رمسيس لغاية ما انت جيت الموقف الجديد ده.

ـ آه.

ـ هي نفس المسافة اللي هتاخدها على مدق كده لغاية ما توصل بالسلامة الوحدة.

أخيرًا وقفت أمام كتيبة الفرقة الرابعة بالجيش الثاني، وأنا أخرج كارنيه اتحاد الكتاب للصول المسؤول عن أمن الباب كما قال لي العسكري الذي يقف بعيدًا عن الباب في وضع استعداد لنزول العدو.

ـ يعني إيه اتحاد كتاب مصر يا أستاذ؟

ـ يعني اتحاد الناس اللي ممكن تقرالها في صفحة الرأي في أي جورنال أو تشوف تمثيلية في التليفزيون من تأليفهم أو تسمع أغنية حلوة من واحد فيهم، أقول كمان ولا كده كويس؟

ـ والله منا فاهم حاجة خالص، ملقيش معاك بطاقة تغني عن كل الكلام الكبير اللي أنت قلته.

ـ اتفضل.

ـ أيوه كده النبي عربي يا أستاذ.

امسك بها ووضع بياناتها في دفتر كبير أمامه ثم قال:

ـ ده برضه مكتوب المهنة كاتب يا أستاذ.

ـ أيوه يا عم الباشا.

ـ ماشي من غير عصبية.

قال الصول وهو يرمقني بحدة وكأني ارتكبت جناية.

ـ وحضرتك بقى رايح فين؟

ـ هزور أخويا.

ـ أيوه أخوك ده عسكرى يعنى ولا ظابط.

ـ عسكرى.

ـ اسمه ورقمه وكتيبته وفصيلته.

قالها بسرعة وهو يرمى بالبطاقة العائلية أمامه بلا اعتناء.

ـ اسمه أحمد. لكن رقمه والكلام ده معرفش حاجة غير أن الظابط بتاعه اسمه خالد.

ـ ديه كتيبة جيش تانى يا أستاذ مش لوكانده، كل حاجة لازم تكون معروفة.

ـ يا عم حد قالك حاجة، لو سمحت بس ممكن تتصل بخالد المليجى.

ـ حضرة الرائد خالد؟

ـ أيوه يا سيدى.

ـ هو حضرتك تعرفه؟

ـ لا بس عاوز أتعرف بيه.

ـ يعنى إيه الكلام ده. حضرتك بتمألس عليّ ولا إيه؟

ـ يا عم اطلبه في التليفون وريحنى الله يريح بالك. أنا جاى المدق ماشي، ومش قادر أصلب طولي.

بتلك الجملة أنهيت حواري مع الصول الذي كانت عيونه مليئة بالقرف مني، وكأنني عدو وليس مواطنا مصريا يحق له الاطمئنان على أخيه. رفعت المحمول أرد على اتصال من زوجتي التي كانت تطمئن بين وقت وآخر على وصولي إلى بوابة الكتيبة بعد أن قلت لها في أحد المرات، وأنا أمشي تحت نار الله المستعرة: إنه يجوز أكون قد دخلت حدود العدو لأني لا أرى شيئا على الإطلاق. أنهيت المكالمة بناء على كلمات الصول الذي كان يتلصص على كلامي مع زوجتي وهو يعلن استغرابه واشمئزازه من الرجالة العلوج ونسوانهم، كما يظهر على محياه.

كلمت خالد ثم جلست على كرسي في حجرة الانتظار، وفي يدي كوب شاي جاء به أحد العساكر بعد أن وصى خالد الصول حتى تأتي العربة الهمر التي سوف تقلني مسافة عشرة كيلو أخرى في الجبل.

أعطيت للعسكري علبة سجائر من إحدى العلب الكثيرة التي كنت قد اشتريتها لأخي الصغير وطلبت منه أن يمنح الصول سيجارة. لم أجلس طويلا في حجرة الرائد خالد بعد مضي ذلك الوقت الطويل في المشي. تحركت مع صف ضابط مهياص إبراهيم السيد الذي استعجبت كثيرًا من اسمه وخالد يقدمه لي كدليل. كنت قد تكلمت مع خالد في أشياء كثيرة خلال وجود مهياص الذي خرج من حجرة الرائد معي. أشعلت سيجارة بعد أن منحت للصول مهياص حكمدار السجن الذي به أخي الصغير واحدة ومعها لقب الباشا.

ـ حضرتك فعلا كتبت في الجورنال تقول لسيادة الريس مترشحش نفسك تاني وتوكل على الله ارتاح من بلاوينا وريحنا منك شوية.

ـ أيوه يا.....

ـ مهياص يا باشا.

قالها وهو يضع يديه على صدره مما جعلني أفرج عن ابتسامة أتبعها بقولي:

ـ اسم غريب شوية أول مرة في حياتي أسمعه.

ـ أبويا بقى ربنا يديله الصحة، كان غاوى يعمل لى مشاكل مع كل الناس.

ـ لا مشاكل ولا حاجة يا حضرة الصول؛ أنا بس اللي مستغرب.

ـ ما أنا برضو مستغرب أكتر منك في الحقيقة يا سعادة الباشا.

ـ مستغرب من إيه؟

ـ من إن حضرتك تكتب اللى قاله الرائد خالد وماشى كده عادى خالص.

ـ يعنى أعمل أيه يا عم مهياص، واسمح لى كده أقولك يا مهياص من غير ألقاب.

ـ يا خبر يا سعادة الباشا، ديه حاجة تشرفنى إنى ماشى مع جنابك كده يعني. بس قول لى سعادتك هما ماعملوش فيك حاجة لما كتبت تقول لجناب القائد الأعلى للقوات المسلحة ريحنا وارتاح من بلاوينا يا ريس؟

ـ مين اللي يعملوا حاجة؟

ـ الحكومة يعني والناس اللي بقرا.

ـ في الحقيقة يا عم مهياص فيه مساحة كويسة للتعبير عن الرأي، وبعدين من زمان والحكومة تسير والكلاب تنبح.

ـ العفو يا باشا. بس أنا مستغرب أنهم معملوش معاك حاجة. ومتآخذنيش يا باشا أنا ابن عين أعيان الشرقية. الحلاوات. أكيد تسمع عنها.

ـ طبعا، أهلا وسهلا يا أخ مهياص.

ـ أهلا بيك يا باشا.

ـ ديه فرصة سعيدة جدا أن يكون الواد أخويا محبوس معاك.

ـ أنا الأسعد يا باشا، بس أنا لغاية دلوقتي مش مصدق إنك تشتم جناب الرئيس وميعملوش معاك حاجة.

ـ أنا مشتمتش حد يا عم مهياص.

ـ أمال تسمي الكلام اللي حضرتك قلته ده إيه؟

ـ ده وجهة نظر واحد غلبان.

ـ غريبة فعلا. يظهر أن حضرتك مسنود قوي. وأنا عمال أقول إزاي ولد عسكري يشتم صف ضابط ومسكه يضربه زي أخو ساعاتك ما عمل.

ـ يا عم أنا على باب الله، لا مسنود ولا يحزنون.

ـ بلاش تواضع يا باشا.

ـ مش تواضع ولا حاجة، ديه حقيقة يا مهياص.

ـ لا يا باشا متقلش كده، أخوك ابن بلد ومفتح وواخد الإعدادية، ولما

تشرفنا في كفر الحلاوات وتقعد في الدوار عندنا هتعرف مين هو مهياص العبد لله الفقير اللي ماشي جنب حضرتك ده.

كان يتكلم بيديه وعيونه وكل جزء في جسده مما جعلني أنتبه كثيرا إلى الأراجوز المتحرك الذي أصاحبه في شمس الله المحرقة.

ـ ده شرف لي طبعا.

ـ يبقى ده وعد.

ـ وعد إيه يا مهياص.

قلت وأنا لا أعرف فعلا عن ذلك الوعد أي شيء.

ـ إنك تزورنا في كفر الحلاوات.

استغربت كثيرا من طلب الزيارة الذي فاجأني به المدعو، فلم أجد مفرا من القبول بعد تحجج.

ـ والله لو الظروف سمحت هتبقى حاجة كويسة جدا وشرف لي طبعا.

ـ إن شاء الله الظروف تسمح وننول الشرف العظيم ده وتشرف أخوك يعني واسمحلي أتشرف بيك وأقول على حضرتك أخويا.

ـ ده شرف لي يا مهياص، هو السجن بعيد؟

ـ لا أبدا، على مسافة نص كيلو كمان.

ـ ياه..

قلتها وأنا أكاد أقع من طولي من فرط الإعياء والتعب الذي يتخلل مثل البنج في كل أطرافي.

ـ إيه يا باشا؟ يظهر حضرتك مش واخد على المشي خَالص! أمال أنا أعمل إيه بقى يا باشا اللي ممكن آخد المشوار ده في اليوم الواحد يـجي خمس ست مرات.

ضرب يد بيدا وهو ينظر شذرا إليّ ليعبر عن مدى قسوته وحنقه على السائق الذي ضحك علي وهو يقول:

ـ هنقول إيه؟ ميه مالحة ووشوش كالحة.

ثم بدا يحكي لي حكايات متفرقة، قال:

ـ أنا زي ما قلت لسعادتك إن أبويا من أعيان كفر الحلاوات. ولِيا خمس أخوات، كلنا من أم وأب واحد والحمد لله. فينا تلاتة في الجيش والرابع ماسك الجمعية الزراعية. أما الصغير هو ده لا مؤاخذة اللي مركبنا كلنا الخفيف بما فينا الحاج، الرجل بقى عضمة كبيرة ومش حمل مناهدة. والواد مش لاقي له حد يقف له. كلنا في الجيش والوحيد اللي مراته واكلة بعقله حلاوة. أنت عارف أكيد لما تكون الزوجة مش صالحة، تقلع أجدعها شنب من أهله. ديه طلعت آدم من الجنة من الأساس. أنا اكمني حكمدار السجن، فممنوع عليّ الأجازات إلا كل شهر ونص، ست أيام ببوس الإيد. معايا يا باشا؟

سأل على حين غرة وأنا سارح في المكان الذي كنت أدخله للمرة الأولى في حياتي، وعيني لا تترك أي شيء عربها دون أن تنتبه له مع التركيز على النظر إلى مهياص ما بين الوقت والآخر مع هزة رأس لمتابعة كلامه.

ثم رفع يديه في الهواء وراح يهزها بعنف وهو يقول:

ـ الراجل اللي تحكمه مرة يبقى لا مؤاخذة مش راجل، وأحسن حاجة يعملها في حياته إنه يقعد من غير جواز زيي كده علشان مفيش حرمة تستاهل. ده نمرة واحد، تاني حاجة أنا آخدها واعلفها على إيه، طيب ما أعلف بهيمة هتجيب شوية لبن، وفي الآخر هتجيب قد حقها مرتين على الأقل.

ـ عندك حق والله.

قلتها وأنا أكتشف كائنا جديدا لم أر مثيلا له من قبل، ولقد فرحت به بمقدار يوازي الخدر الذي أصبحت أحس به في كل جسدي، وأنا أدخل إلى أخي أحمد الذي ارتمى في حضني لمدة دقائق دون أن يدري أني أكاد أقع على الأرض من فرط الإعياء. اصطحبته وجلست في حجرة الصول مهياص الذي صنع لنا شايا وتركنا وخرج كي أستطيع أن أتكلم مع أخي على راحتنا كما صرح قبل أن يتركنا. عرفت سبب حبس أحمد منه، وكنت خلالها أعض على شفاهي من غبائه الذي لا يعترف به، بل إنه يرى نفسه مظلومًا في حبسه، لم يسأل عن أمه وأخوته إلا مرة واحدة بينما سأل عن البنت التي خطبها بالرغم منا مجتمعين أكثر من عشر مرات بالرغم من ردي الأول الذي أوضحت فيه عدم معرفتي بأي أخبار عنها لمشاغلي نمرة واحد، ولعدم معرفتي بتلك الأشكال نمرة 2، وإن كنت قد احتفظت بنمرة 2 لنفسي ولم أبدها له. أحسست بالقرف من أخي الصغير بعد أن أنهى حكايته كما أحسست

بندمي وبضياع مجهودي هباء، ولقد هممت أن أعلن ندمي ذلك له لولا أني أحسست بعدم جدوى قولها. أخرجت من المحفظة ورقتين ماليتين فئة المائة جنية، وأنا أوضح له أن أحد الأوراق هي من أمه والأخرى مني.

ـ أنت أديت لمهياص ابن فرناس حاجة.

قال أحمد وأنا لا انتبه إلى لقب مهياص فقلت له.

ـ أنت تقصد فلوس لحضرة الصول مهياص؟ لا.

قلتها وسكت لحظات قبل أن أضيف:

ـ هو بياخد فلوس يا حمادة.

ـ ابن فرناس ميعقش أبوه.

ـ أبن فرناس مين؟

ـ مهياص بن فرناس.

ـ وإيه ابن فرناس ده؟

ـ ده موضوع يطول شرحه وياخد يجي 5 جيجا وانت مستعجل.

ـ لا والنبي يا حمادة، إيه السبب في أنكم مطلعين عليه اللقب ده.

ـ أنا مطلعتش حاجة، أنا جيت لقيته ابن فرناس جاهز.

ـ بس أكيد عرفت السبب إيه؟

ـ أبدا، أصله بيعمل فوتي كوبي كتير.

ـ يعني؟

ـ يعني داعا بيقول إنه ابن عين أعيان الحلاوات، وفي الآخر بيطمع في

جوز الجيهات اللي مع المسجون الغلبان.

ـ معقولة.

ـ هو انت تعرفه؟

ـ مش قلت لك إني جاي معاه ماشي من مكتب خالد.

ـ آه، ده خدك بقى فايل متروس.

ـ يا ابني إيه اللغة الغريبة ديه؟

ـ ديه لغة الكمبيوتر يا عم سعد.

ـ ما أنا عارف أنها فيها كلمات خاصة بالتعامل مع الكمبيوتر.

ـ لا يا باشا ديه هي لغة الكمبيوتر.

ـ ماشي: المهم مهباص اسم على مسمى يعني؟

ـ يوه.. يوه.

قالها وهو يشير بيديه في الهواء وكأنه يغني قبل أن يضيف:

ـ هو فيه حد زي ابن فرناس لنهاردة.اللي أنت شفته ده يومه بيت ملطوش على الأقل.

ثم سكت وأنا أفتح حنكي غير مصدق لما يقوله أخي قبل أن يضيف

ـ ده لو مهنك بيعمله 100 جنية ياعم الكاتب.

ـ معقولة ياأحمد؟

ـ ده بيرفض ياخد إجازة ، ومطلق مراته ورامي ابنه بقاله ست سبع سنين ، وبيآكل ويشرب سجاير حريقه وبيحرش.

ـ مهباص؟

ـ أيه ياعم بتقول مهياص ولا كأن الواحد غلط في البخاري ومسلم كده ليه؟ ده وسايب أبوه مرمي في البيت زي ما الواد اللي من بلدهم قال وبيرفص يعتلهم فوق الحوالة أم خمسين جنيه مليم وطول النهار بيلقط من القمر الصناعي بتاع أمريكا على الهواء مباشرة.

ـ يعني؟

ـ يعني أنت فاكر لما كولن باول مسك القزايز الفاضية في مجلس الأمن وقال إن صدام عنده حاجات منده.

ـ أيوه وفي الآخر طلع كله كدب.

ـ عمك كولن ده جنب الدكتور مهياص تلميذ مارحش له الكتاب.

ـ قصدك بيكدب.

ـ قصدي بيكدب على الهواء طول الأربعة والعشرين ساعة.

ـ مش مصدق إن يضحك علي للدرجة ديه.

ـ ابن فرناس ياعم سعد ده طاير وعايش في الأحلام وعنده 7 وندز على الأقل بيظبطوله أحلام اليقظة اللي عايش فيها

38

عجل على يا سيدي بيت الحديث لأنك زدتني هما على همي.

قالها عبد الحميد وهو يرجع بجسده على الكرسي.

- متزعلش منه يا عم الباور. أصل الدكتور مسعود يطلب على طول عملا بقول رسول الله اطلبوا حوائجكم بعزة الأنفس. قالها سعد وهو يمنح السيجارة للمهرج الذي أمسك بها، وسحب نفسا، ثم نظر إلى عبده الذي طأطأ الرأس كالأوزات مما جعل المهرج يفرج عن شبه ابتسامة ثم نظر إلى وقال: - اسمع ياسعد: اعطني سمعك وبصرك لأن لحكايتي أمر عجيب لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر. إن لرئيسي بداية غريبة. فلقد عاش على الكفاف طوال طفولته وصباه، وبعضا من من أيام شبابه حيث ولد لأب كان يكرهه الناس لمجرد حضوره. أو حتى حضور اسمه. إن مهنته في حضوره وغيابه. فسيرته كانت تأتي بالغم والنكد لمن يسمعه في منتصف القرن الماضي. وحتى لا أتعبك في البحث والتساؤل، فقد كان يعمل محضرا. والمحضر في اللغة هو موظف يعلن المتقاضين والمتخاصمين

، وينفذ الأحكام.تخرج مليكي من الجيش وهو ابن العشرين وظل اربع سنوات يعود في الإجازة إلى شقته التي اتخذها بيت دون أن يذهب إلى بيت أبيه في الصالحية.حتى كان مساء رأى فيه شريكة حياته. في الحقيقة كانت أروع مثال لم يتخيله في أحلام اليقظة الكثيرة التي كان يعيشها طوال السنوات الماضية. منذ النظرة الأولى عرف أنه قد وقع حتى شوشته في حبها. وهي أيضا حتى لا يتهمنا أحد بالذكورية المفرطة حين لمحته قالت في نفسها هذا ما أستطيع أن أسيره كما أريد. وبالفعل حدث كما أرادت وأراد الله من قبلها. ولن أخوض في سيرتهم ولكنى أقول أن مليكي كان التمثيل الحق لقدرة الخنوع ، وهي التمثيل الحق لقدرة التملك. ترقى مليكي، حتى أصبح كبير الجيش وتعرف بابن خالتها الذي كان يعشقها،وكانت تراه غير جدير بها. استولى ابن الخالة على الزوج الرئيس حتى أصبح رئيس الديوان بالمملكة. منذ اليوم الأول صار هو الكل في الكل فراح يقوم بمتابعة أولاد الملك الرئيس ، وتقديم الخدمات إليهم منذ الصغر. فاهتم بهم في المدارس وكان يقوم بقضاء أي احتياجات لابنيه. كان الرئيس كعادة له منذ بداية الدراسة يكره التفكير في أي شي ، كما يكره القراءة والاستماع لغير صوت حبيبته وصوته هو،ولهذا كان يستقي كل معلوماته عن المملكة التي يحكمها من ابن الخالة الذي صار أخا وصديقا ونديما ومشارك في كل شي وللحقيقة لقد ظل طوال عمره يحب بنت خالته حب عذرى جميل وهي كانت لا تره كرجل على الاطلاق. ولهذا اصبح ابن الخالة هو العين الوحيدة التي يرا منها

الملك كل مؤسسات مملكته. اغلق باب مظالم الشعب.لم يعد يستمع إلى مجرد التقرير. كان يحب ان يرا نفسه غير مشغول بشي. ذات مرة وصلته مظلمة من احد ابناء شعبها ان قرئها وهو المتململ من قراءة اى شي. هاج وماج حتى ظننت انه سينكل بما عرفه من الظلم الواقع على صاحب المظلمة كما علمت من تعليقاته. جمع كل من في القصر من العاملين، فدخلوا جميعا وهم يرتعشون لأنه كان يستعمل قدمه في العقاب كما اشتُهر عنه. وذات مرة ضرب معاون له لم يقم منها وظل طوال سنواته ينام على بطنه. ارغى، وازبد ياسادة. تفتكروا في إيه؟ ـ طبعا في فحوى الشكوى. في الظلم الواقع طبعا على صاحب المظلمة والتأكد مثلا من صدقه أو كذبه. ـ يعني شكل لجنة ومش هختلف على اللى قاله سعد أو الدكتور عبده.

ـ الملك فعلا شكل لجنة بعد رفت رئيس مكتبه. هذة اللجنة كانت في كيفية دخول الشكوى إليه. وسنة بعد سنة كبر الأولاد بعيدا عن عين الأب الملخوم على الفاضى في ظل رعاية الخال الذي هو في الحقيقة ابن خالة الأم الملكة. ويوما بعد يوم صار للصغير أمل في ميراث الأجداد وكانت الأم والخال هما المشجعان والمدعمان له وكثرت المشاكل بين الزوجة والزوج والابن والعشيق وحتى وجدتموني أمام القلعة منذ أسبوع والحال هو الحال.

39

فتختلف الآيات وذلك عين الحق فى كل شرعه. ومنهاجه والكل منه ومنهم.

فتختلف الآيات والأمر واحد ألا أن أمر الله أمر رسوله. فإن رسول الله عنه يترجم.

وما هو إلا واحد بعد واحد.. يكون على شرع به الله يحكمْ.

هل تعلمون ما سوف أقوله بعد تلك المقدمة؟

هل يتخيل أحد منكم ما يمكن أن يأتى بعد شرع به الله يحكمُ؟

أنا محمود الضبع. أقول لكم ما حدث لى منذ دقائق. اتصل بى زوج أختى الدكتور عبد الحميد عبد العليم على تليفونى المحمول وأنا فى حجرة العمليات. كانت المريضة التى أمامى راقدة على حامل العمليات تنتظر مولودها الأول منذ عام. كان الجنين بشكل عام يحتاج منى إلى صبر وعزيمة ورعاية الله قبل كل شئ، لتقر به عين أبيه، وتكتحل به عين أمه التى بشكل عام أيضا تحتاج إلى رعاية الله، لكى تقوم سليمة وهى التى اقترب عمرها من 48 عاما ومريضة بالقلب.

لن استمر كثيرا في شحذ تعاطفكم مع الأم أو الجنين.فقط أصف لكم المطلوب مني بعد دقائق.

هل فهمتم ما أعنيه.أقول لكم ما حدث.ليس للأم أو الجنين المنتظرين هناك ؟ بل ما حدث لي.

ـ على أحد منكم أن ينبه الكاتب أن محمود الضبع محامي وان عبد الحميد هو الدكتور.

ألحقوه ينوبكم ثواب.ده برضو غلبان والثواب فيه يجوز يا أخونا.

ألف شكر يا جناب المهرج.

أنا الدكتورعبد الحميد عبد العليم ،اتصل بي أخو زوجتي وصديقي الأستاذ محمود الضبع وأنا كما قلت لكم سابقا في حجرة العمليات، ليخبرني أن الحاج سليمان الذي يعمل مديرا لعيادتي قد توفي.لاشك تأثرت كثيرا لكون الحاج سليمان في مقام المرحوم أبي كما أنه محفظي القرآن الكريم في إجازات السنوات الأولى من التعليم، وله أفضال كثيرة عليَّ لدرجة أني لم أستوعب الأمر في بدايته.لقد تركته أمس وهو في صحة الحصان. كما أنه لم يكن يشتكي من أية أمراض.ورغم ذلك تماسكت قليلا بعد أن غافلتني دموعي التي لم تستطع مغافلتي في موت أبي. وبعد أن انسحبت من أمام المرأة ووقفت وأنا أضع وجهي في اتجاه الحائط سألت محمود عن سبب الوفاة ؟ لكنه عاجلني بخبر آخر.

لقد أصيب ابنه خالد بلوثة عقلية

ـ خالد.

قلتها بحدة وأنا أنتظر نفيا قبل سقوطى على الأرض.

ـ على أحد منكم أن يلحق بالدكتور. الحقوه ينوبكم ثواب والله.

قالت المرأة التى تنتظر مولودها منذ سنوات وتحس الآن بقرب نزوله.

أنا سعد الله الطالع.صديق محمود وعبد الحميد.أقول لكم وأنا أحمل نعش الحاج سليمان بعد أن أخبرنى عبد الحكيم سليمان ابن المتوفى وزميلى فى العمل أن أباه أحس بهبوط فى القلب بعد أن فتح خطابا واردا من وزارة العدل يفيد برفض قبول ابنه خالد فى السلك القضائى كوكيل نيابة نظرا لعدم توافر الأهلية. ولما سألته عن مصطلح فقد الأهلية لم يستطع أن يجيب علىّ إلا بتعبير غامض.

ـ أبوه غلبان وعلى قده.

قالها وسقط فى الأرض وتركنى حتى الآن أفكر ـ وأنا أحمل النعش ـ فى خالد الذى أصيب بلوثة عقلية بعد أن أمسك بالخطاب من يد أبيه الذى توفى فى اللحظة والتو.

ـ على أحد منكم أن يكمل ما حدث حتى تنتهى فى ذلك اليوم الحزين

أنا محمود الضبع المحامى بالاستئناف العالى. أخو زوجة سعد الله الطالع وزوجة الدكتور عبد الحميد عبد العليم.لن أحكى لكم عن المرحوم الحاج سليمان الذى أحضر الآن أربعينه.لكنى سأخبركم ما عرفته ولم أستطع البوح به حتى لأعز أصدقائى وأزواج أخوتى. لقد فتشت خلال الأيام

الطويلة والحزينة الماضية عن السبب الحقيقي لرفض تعيين خالد سليمان ـ المحجوز الآن بمستشفى العباسية ـ فى النيابة كما عرفته من صديق له صلة كبيرة وشأن عظيم.لقد قالها لى دون أن يفكر للحظة وحيدة ودون مواربة.

ـ أنت السبب.

ـ أنا.

قلتها وأنا لا أعرف لى سببا حقيقيا فى شئ كنت متأكداً منه وأحلم به،وأتمناه من كل قلبي.

ـ أيوه يابيه.

ـ ليه؟

ـ شغلته معاك شهر في قضية الجماعة بتوع الدقون.

ـ محصلش.

قلتها وأنا أقسم بالله ما كذبت ويشهد عليّ الله.

ـ لأحصل.وبالأمارة راح مكانك مرة وقدم مذكرة.

قالها فى وجهى فوقعت على الأرض وأنا أتذكر ما حدث لى فى ذلك اليوم واضطررت لإرسال خالد بدلا عني.

هل تعرفون ما حدث لي؟

ـ على أحد منكم أن ينهى تلك المأساة لأن اللى فينا مكفينا والحكاية ديه بالذات منقولة من حكاية حصلت بس مش بالشكل الوحش اللى عمله الهباب ده اللى اسمه الكاتب.

40

- رؤية الإخباريين لأهم مشاكل الحكر

1 - يتفق معظم الإخباريين على أن أهم مشكلات تواجه الحكرهي البطالة، وسوء حالة مياه الشرب،(أهل الحكر يعتمدون على المياه الجوفية وترتفع فيها نسبة الرصاص والمنجنيز)

وسوء حالة الخبز.(يذكر أحد الإخباريين وهو للعلم لا يعرف العربية.أن المخبز الوحيد المصرح به بالحكر ينتج في اليوم ما لو تم تقسيمه على العدد الكلى لقاطنى أبو دحروج لطلع كل مواطن بشقفة ناشفة بايتة)

تبين وجود عمارات (تبدأ من عشرة أدوار حتى 12 دور) بكثرة وبينهم عشش تخص العربجية.

تبين وجود نسبة مرتفعة من الأمراض غريبة المنشأ مثل التحجر الجيري،(أرجع الأطباء ذلك لوجود حكر ابو دحروج تحت مصنع أسمنت بورتلاند حلوان سابقا أسيك حاليا)

كما تبين وجود نسبة مرتفعة تدور ما بين 43 % الى 76 % من السكان مصابين بالسرطان ، أرجع الأطباء ذلك بسبب مرور سلك الضغط العالى التى تأتى من السد العالى لتمر على كل بيوت الحكر يتخللها عمارات مرتفعة)

تبين انتشار العته (التخلف العقلى) بين نسبة غير قليلة من السكان ربما تجاوزت الحد المسموح بكثير(الحد المسموح حسب قرار السيد وزير الإعلام صفوت الفقى 65 %)

مشكلة الفقر المدقع.

تلك المشكلة لم يجد أى من الإخباريين رأى فيها لأنهم لم يجدوا سابقا فقراً مثل ذلك ومن أجل ذلك كتبوها بخط أحمر ولم يعلقوا عليها

أذا قدرالدخل السنوى للمواطن الدحروجي65، 24 (فقط أربعة وعشرين جنيها(فضة) نصيفا وخمسة وستون قرشا)

2ـ يتبين من الخصائص السكانية للحكر التحسن النسبى للحالة المزاجية.

مثل توافر عدد المقاهى إذ أنه ووفق التراخيص الممنوحة من رئاسة حى حلوان يعتبر الحكر من ضمن أحسن عشرة أماكن بها تلك الخدمة على مدار 24ساعة. (879 قهوة مرخصة،2275 قهوة بدون رخصة.9999 قهوة قيد الإنشاء) يعمل 85 % من الساكن على استمرار النمو الاقتصادي بالنسبة

للقهاوي البلدي بينم يعمل 15 % من السكان على مساعدة الكافتريات.

كما يتبين من تلك الخصائص أن النشاط الأكبر هو تجارة الباجو.

تبين ارتفاع نسبة تدخين الباجو بين النساء العجائز وهناك أكثر من حادثة مشهورة لخروج مجاميع من العجائز وهم عرايا.

كما تبين عدم وجود أي نسبة بين الأطفال لا تدخن السجائر على الأقل.

41

كنت عائدا من كفر هلال محافظة المنوفية إثر مشوار عائلى جعلنى أغير كل مواعيدى خلال ثلاثة أيام. كان ابن عم أبى قد مات عن عمر يناهز الرابعة والثمانين. ورغم وفاة ابن عمه منذ عشرة أعوام وانعدام الصلة بينه وبيننا نحن أولاد المرحوم الذى عاش إلى الخامسة والخمسين بالكاد إلا أن الواجب واجب كما صرح بذلك أخى الأكبر الشيخ مجدى الذى أصبح كبير العائلة والذى كان قد ذهب خلال الشهور القليلة الماضية أكثر من سبعة مشاوير ما بين محافظة الغربية بلد أمى ومحافظة المنوفية بلد أبى ومن هنا قرر أن يستريح ويرسلنى كنائب عنه. لم أنم خلال الأيام الثلاثة فى بيتنا الموجود هناك نظرا لتواصل زيارات الأهل والأقارب الذين كانوا فى الحقيقة يحتفلون بى نظرا لعدم وجودى بينهم منذ أن مات أبى. فتحت صدرى لكل الأحضان الساخنة والمشاكل المزمنة أيضا ما بين الأهل على الميراث وفى الحقيقة شغلت وقتى كله منذ أن عدت من تشييع الجنازة إلى محطة عبود حين ودعت آخر المتأثرين بعدم الوقوف على صيغة مرضية لتقسيم

سبع فدادين ودوار وبيت من دور واحد فلم أجد مفرا منه بعد أن استلمني في البيجو من قويسنا إلى عبود إلا أن أكتب له رقم المحمول في ورقة مع الوعد بإنهاء الموضوع مع الشيخ مجدي. ركبت ميكروباص أحمد حلمي وفتحت الجريدة أتابع الأوضاع التي غبت عنها 72 ساعة بالكمال والتمام.لم يكن هناك أي جديد مما جعلني أغلق الجريدة وأغلق عيوني قليلا. نزلت بعد أن هزني أحد الركاب بعد أن استمع مثلي إلى صوت السائق وهو يقول له:

ـ صحي الأستاذ وقوله أحمد حلمي.

كانت عربات حلوان من بعيد تمتد في صف طويل وممل، تقدمت إلى العربة الأولى والتي كان بها ثلاثة زبائن فقط ودخلت وأنا أمني النفس بالدفء الذي لم أعد له العدة من الملابس.بعد قليل خرجت لأشعل سيجارة ووقفت بجوار الرصيف.تقدم إلي قليلا ثم اخرج علبة سجائره ودنا مني وقال:

ـ تسمح تولعلي.

أعاد السيجارة لي وهو يخرج من أنفه الدخان في طريقة مقززة وراح ينظر إلي ثم قال بهدوء وصوت ضعيف وهو يسترق النظر إلى السماء الملبدة بالغيوم:

ـ حاجة في السريع،وواحد بتنين،والست بعيد عنك،ونور الكابينة نيون.

كان أثناء الكلام يتعمد النظر في عيوني وحين انتهى نظر إلى منادي الموقف الذي كان يتحرك بالقرب منا.ثم عاد لينظر إلى منتظرا الرد. كانت

الجمل مبتورة وغريبة ومشتتة مما جعلني أفكر إنه معرص أو مجنون أو حتى خول. طالت نظرته لي ولم أستقر له على مهنة محددة. أخرجت النفس وقلت له وأنا اتعمد أن أرسم على وجهي علامات العارف ببواطن الأمور وأغمض عيني وأشير بيدي:

ـ إيه الموضوع بالظبط ؟

ـ موضوع إيه يا بيه ؟ بقولك لو مستعجل أنا كمان مستعجل ويالا بينا.

ـ يالا بينا على فين ؟

ـ على حلوان. مش الأستاذ برضه رايح حلوان للمواخذة.

ـ من غير المواخذة رايح حلوان. بس أنت مالك ؟ وتطلع مين ؟ تعرفني قبل كده وأنا مش واخد بالي. ؟

ـ اتشرف ياأستاذ، أنا الأسطى ريعو.

ـ أهلا وسهلا. وعاوز إيه يا أسطى ريعو مني إن شاء الله ؟

كنت أقولها وأنا أتعمد صناعة القرف أثناء الكلام. في الحقيقة لم أكن أتعمد صناعة القرف منه لكنني كنت بالفعل قرفان منه ومن ملابسه وطريقة كلامه وحركة عيونه التي كانت تتابع منادي الموقف وهدوء صوته الذي يشي بشيء غير طبيعي. ولقد أنبت نفسي كثيرا على ذلك بعد أن عدت إلى البيت وسوف تشاركوني تأنيب الضمير حين انتهي من سرد قصة الأسطى ريعو الذي تجاهل نظرة القرف الواضحة على وجهي وقال:

ـ يظهر الباشا مش واخد باله من الكلام.

ـ هو أنت قلت كلام يتفهم؟ ولا يتاخد البال منه؟

ـ مش قلت لسعادتك حاجة في السريع والواحد بتنين والكابينة نيون وبعيد عنك للست أم كلثوم.

ـ أيوه سمعت الكلام ده. مالي أنا ومال التخاريف اللي قلتها.؟

ـ أبدا يا باشا يعني لو كنت مستعجل تيجي معاي سكة وأنا وأنت على جناح الكريم، تقعد جاني في الكابينة وأنزل الكرسي اللي في النص وأنت تدفع أجرة نفرين يعني وأشغلك شريط الست ولو مش غاوي أو لعلك الكابينة وتتصفح الجورنال بدل ما أنت هتقعد يجي ساعة تقفأف من البرد لغاية العربية ماتتملي. ثم سكت قليلا وهو يأخذ نفسه وأضاف إيه رأيك؟

استغربت من المصطلحات الكثيرة التي قالها، لكن حالة الجو كانت تشي بالفعل إنه لن يأتي بقية الركاب قبل ساعة إن لم تزد ومن هنا قلت له:

ـ ماشي يا ريعو. الواحد بتنين ونص علشان خاطرك.

ضحك وهو يشي على فراسته وكياسته حسب تعبيره ثم قال لي:

ـ بعد إذنك أمشي بقى لغاية الناصية التانية، وأناهخطف العربية وآجي وراك علشان الواد ابن القحبة بتاع السرفيس خدني منظر وهرش الموضوع وممكن يسيح لي في الموقف، وأهو الواحد بيحتاجه في الوردية الأولى علشان نكمل قسط الثورة السودة اللي جبتها لنفسي.

تحركت بقدمي إلى الكشك الموجود أمام الموقف واشتريت علبة سجائر رغم وجود علبتين في الشنطة الصغيرة التي أمسك بها ورحت أنظر إلى

منادي الموقف الذي كان يتبعني مما جعلني أمعن في الغطية التي أحست إنني مطالب بها من أجل منظري قبل منظر ربعو.ما إن وقفت عند النقطة التي أشار عليها ربعو إلا ووجدت باب العربة يفتح وهو يقول:

ـ ماانا عسل بإذن الله،ربنا يجعل طريقنا مفروش بالطحليح ويبعد عنا ولاد المؤذية والضباير.

أعطيته سيجارة بعد أن فتح المسجل على صوت أم كلثوم وقررت أن أعيش بقية الطريق مع الأغنية التي كانت تحمل ذكريات كثيرة مع بعض الحبيبات ولكنه لم يتركني كثيرا مع الأفكار التي بدأت في رأسي والتي كانت تتركز في إحضار صورة إيمان للمرة الأولى ونحن نستمع معا إلى بعيد عنك، وعندما كدت أمسك بتفاصيل وجهها ولون فستانها قال:

ـ الزبون ده لغاية المعادي يالله ، 75 قرش أحسن من 50 على العموم. نص العمى ولا العمى كله.

دخل الرجل إلى العربة وهو يستمع مثلي تماما إلى السعر الذي حدده ربعو والذي كان يزيد عن السعر في أي وقت آخر بربع جنيه.جلس في الكنبة الأخيرة دون أن يعلق على كلام ربعو الذي وجه الحديث إلى بعد أن وجد أن الراكب لم يعيره أدنى التفاتة وبعث له بجنيه.

ـ الزبون المتأخر إذا مقلطوش على الأجرة قبل ما يركب يعمل موضوع. وبعدين الزبون ده غلباوي قوي وأنا عارفه ويا ما وجع الجمجمة.

لم أكد أعاود تذكر وجه إيمان إلا ووقف لثلاثة زبائن أمام فندق رمسيس

هيلتون وحين عرف منهم إنهم سينزلون عند مدخل المرديان قال:

ـ النفر بنص جنيه.

ـ النفر برضه يا عم الباشا ؟.أنت بتحمل أكياس جوافة.خد اللي أنت عاوزه بس أتكلم أحسن من كده ،

هكذا علق أحد الشباب والذي كان يمسك بيده محمولا ومن صدره وتحت التي شيرت الرمادي الذي يرتدي عليه جاكيت كجول تظهر سلسلة عريضة من الذهب الخالص.

ـ لمؤاخذة يا باشا. الواحد طول النهار بيشوف أصناف غريبة لما ميقاش يعرف العمي من الهنا،اتفضلوا ومن غير فلوس خالص علشان الشباب الروش المجدع.

كان يقولها وهو يتصنع العطف والمسكنة مما زاد من قرفي منه.احتلوا الكنبة الأولى وراحوا يتحدثون فالتفت بوجهه تماما علي ولم يعد ينظر إلى الطريق مماجعلني انتبه إلى العربات أكثر منه وقال بصوت هادي:

ـ الشباب عنده حق.الواحد ولا كأنه بيقاول علي شولة تبن. بس أعمل إيه بابيه.السواق منا برضه علي حق. أنا اتورطت واشتريت عربية مش عارف دلوقتي أجيب قسطها ،وبضرب نفسي لمؤاخذة بالجزمة.حد يصدق ياباشا إن السرفيس بياخد 3 آلاف علي العربية في السنة.

أرسل أحدهم ورقة مالية فئة الخمسة جنيهات وراحوا يكملون حديثهم بصوت عال:

ـ بس محمد كان على حق. وقدر يقهر حسين ويعرفه شغله. راحوا ثلاثتهم يؤكدون في نفس واحد على الكلام. ثم قال الشاب الذي كان يلبس فانلة برقبة وكأن الجو لا يؤثر فيه:

ـ محمد استحمله على الآخر. أنت لو تفتكر الشهر اللي فات في مارينا برضه هلل كده وخد شو كبير ومحمد لم الدور علشان الكوماندا المهم.

ـ النهارده كمان حاول يتجنبوا على الآخر وإداله الطرشة لكن هو كان رخم قوي. هكذا علق أحد الشباب والذي كان يجلس بجوار الشباك وأخرج من محفظته الصغيرة الخمسة جنيهات.

ـ بس إيه رأيكم الواد البص كان هيتجنن من محمد وكان نفسه يعمل معاه أي شو بس الواد محمد واد جدع قوي يا جماعة مدلوش فرصة مسك حسين وقاله مفيش داعي نخسر بعض نهائي.

ـ محدش من الشباب العالي قوي معاه فكة؟ ـ هكذا قال ريعو وهو يقف أمام فندق الميرديان.

ـ إيه يا عم ده الواحد كان خد تاكسي أحسن؟

ـ يا عم سيبه.

هكذا قال الشاب الذي كان قد تحدث مع ريعو في كيفية معاملة الزبائن وهو يغلق الباب وضرب على صدر زميله الذي كان ينتظر الباقي من يد ريعو الذي راح يبحث في جيبه الخطأ عن الفكة رغم وجودها الظاهر في سقف العربة فوقه مباشرة وهو ينظر إليهم من تحت لتحت.

ـ حلال عليك يا عم السواق بس ابقى ميز الشيكولاتة من الجوافة اتكلم حلو عن كده.

ـ ماشي يا عم الشباب كلهم. مقبولة الإكرامية والتغليم مع بعض، ما كم عسل وشيكولاتة كمان،

ثم ابتسم وهو يتحرك بالعربة ويقول لنفسه بصوت عالي:

ـ أهي كدة أتعدلت وبقت فل الفل كمان، ثم ترك الطريق كعادته ونظر في عيوني وأضاف مش قلت لحضرتك أنا وسعادتك على فيض الكريم، فعلا محدش بيبات من غير عشا.

ثم وضع على وجهه وجه الحكيم وهو مازال ينظر في عيني بعد أن التفت سريعا للطريق وأكمل:

ـ بس هو الإشكال اليومين دول في الفطار والغدا.

ثم قهقه بصوت غريب وبطريقة استعراضية، ووقف أمام مستشفى القصر العيني والتقط نص جنيه طائر من غير صاحب حسب تعبيره وهو يدخل بالزبون. ثم قال:

ـ نص زائد نص تقضي بعون الله والواحد يريح ساعتين زيادة قبل الغم الأزلي اللي إحنا فيه.

كنت قد انتهيت من اختراع طريقة للتأقلم مع الأسطى ريعو الا وهي وضع ابتسامة مناسبة لكل ما يقوله بعد أن منعني من أم كلثوم، بنفس الطريقة التي منعني بها من قراءة الجريدة لدقيقة واحدة. ورحت أمني نفسي بأمية

سعيدة مع زوجتي التي ذهبت إلى بيت أختها وفي نفس الوقت بيت زوجها صديقي الدكتور محمود إثر غيابي عنها لمدة ثلاثة أيام بعد أن أعود بها إلى بيتنا في المعادي وبعد عشاء أو فطور أي ما يسمى وشربي لسيجارة معمرة من الصنف ورحت أراجع كل السيناريوهات الممكن حدوثها، وبين الحين والآخر أفشخ حنكي ردا على كلام ربعو الذي لم يترك أي مناسبة للكلام وخصوصا بعد أن صار يقف على كل محطة في انتظار نص يبحث عن صاحب نصيبه ولم يعد يجيب عن تعليقات بعض الركاب الذين كانوا يحثونه على المضي والاكتفاء بالرزق الذي بعثة الله له إلا بجملة صغيرة مكررة.

ـ حاضر يا أستاذ ،بالراحة. دقيقتين بإذن الله وغشي.

هكذا راح يرد على كل الزبائن الذين لم يملوا من الكلام وراحوا يسلمون الراية بعضهم لبعض بعد كل محطة.

ـ همه عندهم حق. كل واحد فيهم عاوز يروح يدفى في حضن مرآته بالسلامة وخصوصا في الجو اللي ما يعلمه إلا الله ده. بس أنا كمان على حق،أعمل إيه وأنا خاطب بقالي أربع سنين ومعاي حماه أجارك الله. مبتطلش طلبات،أخلص من حاجة تفتح في حاجة تانية،بنت الإيه مسكاني من إيدي اللي بتوجعني ، مش بتحب البت. هات بقى يا حلو. طب يا ست بحب البت ماشي، بس إن كان حبيك عسل متلحسوش كله. مش المثل بيقول كده ؟

ولم ينتظر حتى هزة الرأس وأكمل:

ـ لكن على مين. ده ست من بتوع إن كان حبيبك عسل خليه يجيب زيت. أربع سنين وأنا قاعد على الطارة والمؤاخذة (طيزي) مبتشفش، بنزل من عربيتي اللى عليها أقساط 150 ألف جنيه أركب التانية. وكله ده ليه. ؟علشان أعرف أسدد أقساط المخروبة ويفضل حاجة أجوزبيها واجيب عيال الله أعلم هيعيشوا إزاى فى الزمن الأغبر ده؟. الدنيا عماله تولع وكل حاجة بقت الواحد منها باتنين زى حضرتك كده لمؤاخذة.

قالها وهو ينظر إلى ضاحكا تاركا عيونى تنظر بلوه أحسست بها منذ ركبت معه وهو يسألني:

ـ تصدق وتآمن بالله ؟

ولم ينتظر أن أكمل ما أؤمن به وأكمل.

ـ إمبارح الحاجة بتقولى عاوزين نجيب شهر تموين علشان رمضان على الأبواب ولازم نبعت لأختك موسمها. هى قالت لى كده وأنا طلعت فيها عديلك. ما حنا كنا متفقين إنها شايلة الأربع تشهر تموين لما آجى أتجوز فى العيد إن شاء الله. الأربع تشهر صفوا على شهرين. قلنا ماشى. كمان عاوزة تصفصفهم على شهر؟. رحت قلتلها ده ميرضيش ربنا الأربعة صفصفوا على اتنين، كمان عاوزة شهر يامه. راحت بصالى كده وعنيها دمعت وقالت لى إن قزازة الزيت بقت بخمسة جنيه ونص. والله العظيم تلاتة يمين يسألنى فيه ربنا، إمى شارية قزازة الزيت ب 16 قرش. والكلام ده فى عهد المرحوم

السادات قبل ما يتكل بشهور. معقولة يوصل في عهد اللي يجعل كلامنا خفيف عليهم لخمسة ونص.

ثم نظر إلى مليا وأضاف

ـ ده يبقى موت يا أستاذ. والله العظيم ثلاثة موت.

ولم يفتح فمه بكلمة بعدها. كانت العربة المسرعة قد أطاحت بالجزء الخاص به في لحظة فارقة دون أن يصاب أي منا بأذى. وكأنه حين كان يذكر الموت قد استدعاه. للحظات لم أتبين ما حدث كنت قد ارتطمت بتبلوه العربة وعدت إلى مكاني مرة أخرى ولم أغمض عيوني منذ انفجر زجاج العربة. فتحت الباب بهدوء وأنا أفرد كف يدي لأطمئن عليه وقبل أن أضع رجلي على الأرض نظرت إلى ربعو لأعرف ما حدث له. لكن لم يكن هناك شيء يذكرني به غير بقية من رأس على عجلة القيادة وفوقها تماما بعض الجنيهات الملوثة بالدماء التي كانت قد نزلت إلى الأرض قبل قدمي.

42

هل تذكرون قصة أيوب المصري ؟

أيوب المصري ذلك الإنسان الذي كان يتمتع بصبر لا حدود له ، حتى أنعم الله عليه بالشفاء. دعونا من هذا وحاولوا أن تتذكروا معي قصة السلحفاة البطيئة جدا ، لكنها تعرف أهدافها ، ومثابرة حتى الوصول إليها. تلك السلحفاة التي استطاعت أن تسبق الأرنب السريع العدو ، وفازت في الشوط النهائي.

لماذا اختار الله نبيه أيوب المصري لكي يفعل به ذلك؟

ـ أليس الله يفعل ما يريد؟

قال الملاك وفي عيونه يظهر نور الحق.

ـ لحكمة فسرها علماء الأديان على مر التاريخ بداية من لحظة أن خلق الله آدم عليه السلام إلى كتاب صراع الحضارات.هل تعرفه أم أشرح لك بداية من الإصحاح الأول الذي يبدأ هكذا

ـ1 كان رجلٌ في أرض عوصٍ اسمه أيوب

نهاية بقوله عز شأنه بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأيوب إذ نادى ربه نداءً خفياً.أني مسني الضر...)

كل ذلك لأقول لك فضل الصبر على الابتلاء.

لا شك الجلوس إليك أيها الكاتب له فوائد لا يحمد عقباها.

ثم هز قدمه ونظر إلى طرف حذائه اللميع وهو يحس بالفخر لقربه من صحن الملك الذي جعله يفحم الكاتب الذي يقف أمامه في وضع يرثى له. هكذا أحس المهرج وهو يرفع نظره ويضيف بصوت الحكيم

يجب عليك أ لا ترهق نفسك كثيراً يا صديقي. لدرجة أن تأتي بجملة من كتاب الأبراج وتصعها باختلاف بعض التراكيب التي كتبها كاتب حقيقي لا يرهق نفسه مثلك. انظر. الناس في الشارع تمضي من طريق إلى طريق وأنت ترهقنا معك دون جدوى. ألم أكن صادقا معك حين قلت لك أن ترتق نعال بشكل جيد خير لك كثيرا مما ترهق به نفسك وأنت تحس أنك تصنع شيئا ذا بال.

بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلام) صدق الله العظيم

قال الكاتب بصوت رائق وهو يشعل سيجارة ويتحرك ليقف إلى جوار المهرج الذي يليه دائما قبل أن يذهب إلى الملاك الذي هناك ليجلس جواره وهو يضيف

ـ أعلم أن الله فعال لم يريد. كما أعرف حكمة خلق أيوب عليه السلام

كما وردت في الكتاب المقدس والقرآن الكريم. وأفهم ما يرمي إليه ربيب صحن الملك بعلماء الأديان.وليس من أجل ذلك طرحت سؤالي الذي أعيده عليكم الآن دون أن أطلب منكم رداً لأني سوف أفسر مغذى لماذا اختار الله نبيه أيوب المصري لكي يفعل به ذلك؟

أولا يجب علي أن أقول أن الله يفعل كل شئ بسبب يدخره عنده أوحتى يظهر حكمته. أظن أن ذلك الكلام بديهي لأن كل منكم كاد أن يتهمني بالكفر ليفوز بالإيمان وحده. لذلك أعود لأقول أن لأيوب بجوار النبوة والصبر والابتلاء شيء يجب الانتباه له وهو في الحقيقة لا يقل عن كل الصفات السابقة ألا وهو

الهوية المصرية.

هل أخذ أحد باله مما كتب الله على المصريين.

وغير المصدق يراجع التاريخ لأني لن أستنفذ قوتي وأرهق نفسي في شرح كتب الله الغني عنها.

أعود إلى الفقرة الثانية في المقدمة وهي.

دعونا من هذا وحاولوا أن تتذكروا معي قصة السلحفاة البطيئة جدا ، لكنها تعرف أهدافها ، ومثابرة حتى الوصول إليها.تلك السلحفاة التي استطاعت أن تسبق الأرنب السريع العدو ، وفازت في الشوط النهائي.

لأقول لكم إن تلك القصة مكتوبة لشعب مصر.مصر..........مصر الجديدة والقديمة جدا

(صفر)

ما تم الخروج به من خلال البحث.

1ـ إزالة تلك البؤرة المليئة بالفساد.

2ـ محاكمة المسئولين عن انتشار تلك العشوائيات منذ بداية الثمانيات في عهد الرئيس الحالي.

3ـ إستئجار أرض في أدغال أفريقيا لإقامة مراعي لتدريب الأسود على أن يتغذوا على قاطني حكرأبو دحروج بعد فشل أي إصلاح نتيجة الفساد التام عملا بقول الرسول لكريم (تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي) مع الاستفادة فيما بعد من الأسود في سرك الحلو.

4 ـ سحب بطاقاتهم الانتخابية لتوزيعها على المستحقين للدعم في انتخابات الرئاسة المقبلة وعليكم خير

تكونت تلك اللجنة المشكلة بتعليمات من السيد القائد الأعلى للقوات الجوية والقائد الأعلى للقوات المسلحة والقائد الأعلى للشرطة والقائد الأعلى للصحافة والقائد الأعلى للحزب والقائد الأعلى لكل ما هو أعلى

وأوطى في بلاد تركب الراما والعربات المصفحة.

من الآخر أحلى قائد لكافة مصالح العباد، ورب العباد مطلع وشايف إنه أحسن رئيس مسكنا بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيدنا محمد.. صلى الله على لاعنه وصالح)..وتحت رعاية (الشريف جدا الفقى الجديد) السيد وزير الإعلام وبمباركة السيد ولى الله الصالح الخضر عليه السلام (أبو الحسن كمال الشاذلى سابقا العز حاليا) وصدق رسول الشعر إذ قال.

وعلشان كده إحنا اختر.............ن الك.

ناقص واحد

(1.)

تأخير.

السلطة تفسد،وكذلك يفعل الضعف. والضعف المطلق يُفسد إفسادا مطلقا.

جوزيف جوبه

القاهرة. حلوان. أغسطس 2005

شكر

ـ تمّ الاستفادة من مجموعة كتب الصديق الأستاذ نبيل عبد الفتاح

ـ تمّ الاستفادة من كتاب إفقار الفلاحين للدكتور الصديق حسين كشك

الجزء الثاني بعنوان: المهرج والملاك والكاتب الذي لم يكن هناك

(أم مليحة)

صدر له

1ـ أوراق العربة الجنونية مجموعة مستر عام 1988.

2ـ كلما رأيت بنتا حلوة أقول ياسعاد رواية 1995 سلسلة ابداعات هيئة قصور الثقافة.

3ـ دائما ما أدعوا الدواتي رواية 2001 مكتبة الاسرة.

4ـ مثال صغير لشكوك 2004 متتالية دار ميريت.

5ـ 61 شارع زين الدين 2006 روايات الهلال.

6ـ ملاك الفرصة الاخيرة 2008 دار فكرة.

7ـ أحزان الشماس 2010 المجلس الاعلى.

8ـ ملاك الفرصة الاخيرة جزء ثاني 2012 دار رؤية.

تحت الطبع:

ـ أم مليحة رواية.

ـ رجال اتلفها الهرا رواية.

ـ رب الحكايات الصغيرة رواية.

ـ كلب عجوز رواية.

ـ لم يكن يجب على الملائكة مجموعة.

ـ كما كان يجب على الملائكة متتالية.

ـ هنا وبالتحديد يجب أن نعيش نوفلا.

ـ عن المصائر رواية.

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراكيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

على الملاك الذي كان هناك وصف ذلك المشهد، فوجه محمد فرج في تلك اللحظة لن يتشكل بالدقة والوضوح المطلوبين لإظهاره بالروعة التي كانت عليه من خلال المهرج الكاتب... أو الكاتب المهرج.

الغلاف: أحمد شوقى





www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : جنيهان